

# البنائيات الجمالية

علم المعاني

تأليف

عبد المتعال الصعيدي

الأستاذ بكلية اللغة العربية  
من كليات الجامعة الأزهرية

قدم له وراجعته وأعدت فهارسه

دكتور محمد الفاضل

معيد قسم البليغة والنقد  
جامعة الأزهر

مكتبة لطبع والنشر

مكتبة الآداب ومطبعها بالجمايز ت. ٣٩١٩٣٧٧

٤٢ ميدان الأوبرا ت. ٣٩٠٠٨٦٨

الطبعة النموذجية

٣٥٠٠٠ نسخة الشامية والجلدية الجديدة

الطبعة الثانية

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

كافة حقوق الطبع محفوظة لمكتبة الآداب

# تقديم

للدكتور عبد القادر حسين

رئيس قسم البلاغة والنقد

جامعة الأزهر

كتاب « البلاغة العالية » لفضيلة المرحوم الشيخ عبد المتعال الصميدى ، أساذ البلاغة بجامعة الأزهر ، لم يسكد يعرفه شباب الجيل من قراء هذا العصر ؛ فقد طبع منذ أكثر من نصف قرن سنة خمس وخمسين واثمئة وألف بعد الهجرة . وقد تلقيت دروس البلاغة على يدى هذا العالم الفاضل ، وتلمذت على كتبه الرائعة ، مثل كتاب « المظم الفنى فى القرآن » الذى تناول فيه أسلوب القرآن ، وروعه ، وأسرار إعجازه .

و « بغية الإيضاح » وهو شرح وتحقيق لكتاب « الإيضاح » للخطيب القزوينى ( ت ٧٣٧ هـ ) الذى طبعت شهرته الآفاق ، فهو كتاب غنى عن البيان ، يعرفه القاصى والدانى من طلاب العربية ؛ لأنه جمع فأوعى ، وخلق عليه فضيلته بما حرف عنه من دقة وبراعة ، وعمل على تنزيح أشعاره وأعلامه فى وقت كان يعد فيه لإنجاز هذا العمل المضى :

وله أيضا مصنف باسم « دراسة كتاب فى البلاغة » يسرد فيه كثيرا من المؤاخذات على شرح كتاب من كتب البلاغة الشهيرة ، فكان عفة اللسان فى نقده ، كريما فى أخذه وردده ؛ لأن للعلم حقوقا فوق الصداقة ، وفوق الزمالة . كما أخرج إلى النور كتابا خطيرا قيا هو « سر الفصاحة » لابن سنان الخفاجى ( ٦٦٤ هـ ) ، هذا الكتاب يعد من أهمات كتب البلاغة التى اعتمد عليها الباحثون ، وأقاد منه القدامى والمحدثون فى البلاغة العربية .

أما كتاب « البلاغة العالية » فهو ثرى بأفكاره الجديدة ، وتأملاته العديدة ، وكل فقرة من فقراته تدهوك للتأمل فيها ، وتحدثك على النظر إليها ومراجعتها ؛ لأن

( د )

المؤلف لم يلتق بآرائه اتفاقاً ، وإنما استنفد فيها الفكر ، وقاب فيها الرأي ، قبل أن يخرجها إلى القارىء في صورتها المطبوعة .

والكتاب رغم صغر حجمه ، إلا أنه نفيس بمادته الغزيرة التي يفتقر إليها دارس البلاغة حين يود اقتحام ميدانها الفسيح ، فلا بد أن يكون مساعداً بما في هذا الكتاب من آراء متطورة تخالف ما استقر عليه البلاغيون حصراً وراء عصره ، ليس هذا ادعاءً أو تزويداً في القول ، وإنما هي حقيقة واقعة ستبينها معي أيها القارىء حين تبدأ في قراءة الصفحات الأولى من الكتاب ، وتخطو فيه بضع خطوات : ففي كل فقرة منه فكرة جريئة ، قد تنفق معه فيها أو تختلف ، وقد ترضى عنها أو تسخط عليها ، وإمكانك في كل حال تحترم صاحبها ، ولا تملك إلا أن تحمل له الشناء والإعجاب .

وقد سعدت أيما سعادة حين طاب مني أن أكتب مقدمة لهذا الكتاب . الذي أله ذلك العلم الكبير من أعلام البلاغة في العالم العربي ، سعدت لإعادة طبع هذا الكتاب النفيس ، ليعرفه طلاب البلاغة كما عرفناه من قبل ، يعرفون كيف تكون دراسة البلاغة ، وأنها ليست مجرد نقل من هنا وهناك ، ولسكنها كما أخذناها على يدي هذا الأستاذ القدير ، إحاطة وفكر وتأمل ومقارنة بين هذه وتلك من الآراء ، ثم بعد ذلك استنباط واستخراج آراء جديدة لم تكن مألوفة من قبل .

سيبصر الطلاب تلك الحقيقة حين يطلعون على هذا الكتاب في طبعته الحديثة ، ومن ثم يتاح لهم ولشباب هذا الجيل أن يناقوا فنون البلاغة على يديه ، وأن يعشقوا منهجه في مناقشة الآراء التي حذفت بها كتب التراث ، فكل رأي مهما بدا لامعاً براقاً ، قد يكون وراءه شيء يخفى لمعانه وبريقه إذا تأملناه ، وغصنا إلى أغواره ، فترى الرأي الذي نظمه سديداً قد أصبح متهاقاً لا يستحق ما بذل فيه من عناء ، وقد نتوصل بعد ذلك إلى رأي جديد مبتكر .

ليس مهماً أن نردد آراء السابقين أو نتكلفها ؛ بل المهم أن نستقصى ونفكر ، ونعذب ، فربما اكتشفنا شيئاً لم يكشفه السابقون ، وبذلك نضيف للبلاغة آراء جديدة .

( ٥ )

هكذا كان منهج الشيخ في الدراسة والتعليم ، تلقاه هذه تلاميذه وطلابه ،  
وزرّدهم به في محاضراته قبل أن يضعه في هذا الكتاب ويقدمه للقراء .  
والشيخ الصميدى قد تخرج على يديه ألوف من الطلاب ، وأنا واحد من هؤلاء  
الطلاب الذين يدينون له بالعلم ، والسير على منهجه في تناول المسائل البلاغية .

\*\*\*

يرى المؤلف رحمه الله أن البلاغة قد مرت بأربعة أطوار :

الطور الأول : يبتدىء من عهد الجاحظ ( ت ٢٥٥ هـ — ٨٦٨ م ) إلى عهد  
عبد القاهر الجرجاني ( ت ٤٧١ هـ — ١٠٧٨ م )

الطور الثاني : من عهد عبد القاهر إلى عهد السكاكي ( ت ٦٢٦ هـ — ١٢٢٩ م )  
الطور الثالث : من عصر السكاكي إلى عصر النهضة ، أى من العصور الوسطى  
إلى العصور الحديثة منذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادى ، وبلغت أوج  
ازدهارها في نهاية القرن السادس عشر .

والطور الرابع : يبتدىء من عصر النهضة إلى وقتنا هذا .

فالطور الثالث الذى يبتدىء من عصر السكاكي طغت فيه المسائل الفلسفية  
على الصبغة الأدبية ، كما طغت العلوم النحوية والمنطوية على العبارات التى تخاطب  
الوجدان وتمس المشاعر والفؤاد .

أما الطور الرابع فقد درج فيه علماء البلاغة على الأخذ بطريقة العلوم الرياضية  
التي سادت منذ عصر النهضة ، من ذكر البلاغة في مسائل موجزة ، وتمريعات  
شعرية ونثرية ، وأجوبة عن هذه التمريعات ، يطلب من المتعلم معرفتها والوقوف  
عليها . ويرى عالمنا الفاضل أن استعمال الطريقة الرياضية في علوم البلاغة كانت غير  
عمودة الأثر ، كان أن طغيان الطريقة الفلسفية في عصر السكاكي كانت عديمة الجدوى ،  
فأراد أن ينأى بالقارىء الذى يود أن يأخذ حظه من البلاغة عن الطريقة الرياضية  
والطريقة الفلسفية ؛ لأن هذه وتلك سارت في مجرى غير مجرى البلاغة الأصلية ،  
وخفرت أخايد عميقة أبعدت البلاغة عن تيارها الحقيقي من التذوق الفنى ، وهو  
الإنسان الذى تركز عليه البلاغة العربية . فألف كتابه « البلاغة العالية » في علم

(و)

المعاني، وإن كان قد أراد للكتاب أن يشمل علوم البلاغة الثلاثة من معان وبيان وبديع، إلا أن الظروف قد حالت دون أن يكتمل الكتاب بأقسامه الثلاثة، فلم يخرج إلى النور إلا القسم الأول من علوم البلاغة.

ويبدو واضحاً أن الهدف من تأليف «البلاغة العالية» أن يزيج عن فن البلاغة ما حشر فيها من المسائل التي لا تمت إليها بصلة، والتي جلبت إليها من عصر السكاكي إلى عصر النهضة.

كما نلاحظ في هذا الكتاب بعض الخطرات النقدية — وإن كانت قليلة — كما في باب الفصل والوصل حين يتحتم على الشاعر أن يراعى المناسبة في المعطف، فالمعجمة ينبغي أن تكون ملائمة لأخواتها، تنخرط معها في ملك واحد، فإن لم تكن ملائمة، بل كانت من واد آخر لا تتفق مع بنية السكيمات التي بنى عليها البيت من الشعر، أو الفقرة في النثر، تبدو غريبة مستهجنة بين لداثها، ويضرب أمثلة على ذلك من شعر أبي فراس وشعر السكيت، ويبين الفقرة بين السكيمات، وما ينبغي أن تكون عليه من الصحة.

وهو في هذا الكتاب يحاول أن يتأى بالأبحاث البلاغية عن الأبحاث الأخرى الدخيلة على فن البلاغة، كالأبحاث الفلسفية والمنطقية، وخاصة الأبحاث النحوية التي يتطرق إليها العلماء في تناولهم لمسألة من مسائل البلاغة حتى امتلأت بها الكتب البلاغية، فيعمل على تنقيتها عما علق بها من شوائب، وما لحق بها من أضرار، فيستبعد كثيراً من الأمور التي ليس للنحو فيها إلا حظ الأعراب، كحروف المعطف، والنقييد بحروف الجر، والشرط، وذكر التوابع وغيرها مما يكتفى فيها بالحكم الإعرابي وحده، يستبعد كل ذلك ليبدل ببلوه في صميم الفنون البلاغية، ويركز على الأسرار واللطائف التي يزيج فيها الدارسون عن الصواب، كأن يقول حين يتناول بلاغة الصفة: «الذمت في النحو للتوضيح في المعارف والتخصيص في التكرات»، ومقاً أريد به ذلك كان ذكره واجباً في الكلام، ولا يصح أن نبحث عنه من هذه الناحية — لأنها نحوية خالصة — وإنما نبحث عنه إذا كان الكلام يتم بدونه، فيكون ذكره لا غرضاً آخر غير هذا الغرض النحوي. ص ٨٩

( ٥ )

ويقول في موضع آخر : إن منزلة عطف البيان في النحو منزلة الفم يأتى للإيضاح والتخصيص أما هنا — في البلاغة — فيؤتى بعطف البيان لأغراض منها المدح والذم . . . .

والبدل شأنه هنا شأن التوكيد ، فليس للنحو منه إلا حظ الإعراب ؛ لأنه يأتى على نية تكرار العامل . ثم يسترسل لينذكر الأغراض البلاغية للبدل فيقول : وفيه مع هذا منزلة الإجمال ثم التفصيل ، ص ٩١ إلى غير ذلك .

فهو يحاول جاهدا أن يعيد ترتيب أبواب البلاغة ، ويفصلها عن غيرها من أبواب العلوم الأخرى ، بدلا من الخلط بينها ، ونظمها جميعا في سلك واحد مما تتمتع به معه الرؤية الفنية ، فأدى بهذا الفصل بين علوم البلاغة وغيرها من العلوم الأخرى إلى رؤية جديدة محددة تسير المنهج الحديث الذى يقوم على الاستقلال والتفرد ،

وفي الفصاحة والبلاغة لا يأخذ برأى الجاحظ الذى يرى أن البديع — وهو يشمل أنواع البلاغة كلها من معان وبيان وبديع — خاص بالعرب ، وأن من سواهم من شعوب الأرض قاطبة كان يجهل البديع جهلا مطلقا ، لا يأخذ بهذا الرأى ، وينصف اللغات الأخرى من تعصب الجاحظ للغة العربية ، فللغات الأخرى جمالها وبلاغتها وتأثيرها ، وشأنها في ذلك شأن العربية سواء بسواء ، فتراجع خطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها ؛ بل إن للفرس أمثالا مثل أمثال العرب معنى وصناعة ، وربما كان اللفظ الفارسي يفوق في فصاحته اللفظ العربي ويضرب الأمثلة على ذلك . ( ص ٥ ، ٦ )

هذا الإنصاف في الحكم دون التأثر بالعاطفة سمة من سمات العلماء ، خاصة في العصر الحديث . الذى ينظر فيه العالم للمسألة نظرة علمية محايدة ، دون جري وراء عاطفة ، أو وقوع تحت تأثير معين يفسد عليه علمه وحياده :

ويرى العلماء أن البلاغة أخص من الفصاحة ، بمعنى أن كل كلام بليغ يشمل في طياته النصيحة ، وليس كل كلام فصيح يعد بليغا ، كالإسهاب في غير موضعه ، فاللغة فصيحة موافرة فيها شروط الفصاحة ، إلا أنها استعملت في غير موضعها ، فعروض من البلاغة ؛ لأن البلاغة تتعلق بملاحظة أحوال المخاطب مع الإيضاح

## ( ح )

المعنى وتحسين اللفظ ، فإن فقد الكلام هذه الصفات ، فهو غير بليغ .  
هذه الفكرة سادت عند علماء البلاغة ، وتناقلها العلماء جيلاً بعد جيل ، وقرناً  
وراء قرن حتى صارت بمثابة قانون يعمل به ، ولا يصح التخلف عنه ، وإذا  
بالمؤلف ينتقد هذا الرأي الذى ساد فى كتب البلاغة كلها ، ويرى أن الكلام قد  
يكون بليغاً ولكنه لا يعد فصيحاً ، ويضرب مثلاً يؤيد به هذا القول من شعر  
إبراهيم بن العباس :

تمر الصببا صفحاً بساكفة الغضا      ويصدق قلبي أن يهيه هبوبها  
قريبة همدٍ بالحبيب وإنما      هوى كل نفس حيث حل حبيبها

يقول : إن البيت الأول فصيح وبليغ ، والبيت الثانى بليغ وليس بفصيح ؛  
لأنه عرى من غامة الألفاظ وشدها وجواتها ، يذكر هذا رأى نقلا عن أبى هلال  
المسكى الذى رجع عنه بعد ذلك ، ونفى عنه البلاغة والفصاحة معا . ( ص ١٠ )  
والحق أن الفصاحة والبلاغة لا تكون فى الألفاظ وحدها ، أو فى المعانى  
وحدها ، وإنما فى تركيب الجملة ونظم الكلام ، أى فى أسلوبه ، وهو رأى الذى  
انتهى إليه عبد القاهر الجرجاني .

ويتحدث المؤلف عن غرابة الألفاظ التى تؤدى إلى هدم الفصاحة فى الكلام ؛  
وليس كل غريب عنده قبيح ؛ بل من الغريب ما هو حسن لا يقبح استعماله ، فليست  
الغرابة إلا وصفا طارئا يزول بالاطلاع على معناه ، وقد جاء القرآن بألفاظ غريبة  
استنكرتها قريش وقد نزل بلغتها ، ولم تؤثر هذه الغرابة فى فصاحة القرآن ،  
كقوله تعالى ﴿ وَمَكْرُوهًا مَّكْنُورًا كُيَّبَارًا ﴾ نوح ٢٢ وقسورة ،  
فى قوله تعالى ﴿ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ المدثر ٥١ ،

أما الألفاظ المبتذلة ، وهى ما تسمى بالألفاظ العامة ، على التقيض من الألفاظ  
الغريبة ، يرى المؤلف أنها أهون من أن تخل بفصاحة الكلام ؛ فالألفاظ العامة  
مثل « صحبة الشطار » ومثل كلمة « القمل » مقامات يقتضيها المقام شأنه فى ذلك  
شأن الألفاظ الخاصة ، ومن أمثال الألفاظ العامة قول بشار :



(ط)

وبابة ربة البيت تصب الخل في الزيت  
لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت  
وكقول أبي نواس في الرثاء :

يا أبا عثمان أبكيت عيني يا أبا عثمان أوجعت قلبي

فالغرابية أو الابتذال في الألفاظ لا تخلان بالفصاحة عنده إلا إذا وضعت  
في غير موضعها .

فشيئنا لم يتف جامداً أمام هذه الآراء الذائعة التي أخذ بها القوم ، دون أن  
يشذ واحد منهم ؛ لأنه يرى أن لكل عصر مقوماته وضرورياته في استعمال ألفاظ  
بعضها ، ولو استعملت هذه الألفاظ كما يقتضيها المقام لما أخلت بالفصاحة ؛ بل يرى  
أنها هي الفصاحة في جوهرها ، وهذا يذكرنا بالفنون الأدبية كالفن المسرحي ،  
والفن القصصي والروائي حين يعرض الكاتب لشخصية ريفية أو شعبية ، فيضع  
على لسانها ألفاظ الريف أو الأحياء الشعبية ، إمعاناً في الواقعية ، ولئكي تساعد  
هذه الألفاظ على إبراز الملامح الشخصية في جوهر الشعبي أو الريفي ، ولو وضع  
غيرها لشعرنا إزاءها بالتكلف والسمجة ، ولا شك أن هذه الرؤية التي أخذ بها  
شيوخنا الصعيدي منذ أكثر من نصف قرن تدل على نظرات متطورة وأفكار تقدمية .

\* \* \*

ويطرق المؤلف إلى علم المعاني فيذكر الفرق بينه وبين علم النحو الذي هو  
اللبنة الأولى في أساس علم المعاني ، فالنحوي ينظر في دلالة الألفاظ على معانيها من  
جهة الوضع ، وتلك دلالة عامة ، بينما البلاغي ينظر في فضيلة تلك الدلالة ومداها ،  
وتلك دلالة خاصة ، وهذه الخصوصية من الحسن والجمال أمر وراء النحو والإعراب ،  
إلا أن السكاكي ( ت ١٢٢٦ هـ ) والخطيب القزويني ( ت ٢٣٧ هـ ) قد غفلا عن هذا  
الفرق بين نظر علم المعاني في الألفاظ ، ونظر علم النحو فيها ، فأدخلا كثيراً من  
معاني النحو في مباحث البلاغة ، فإذا كان النحو ينظر في وجوه الكلام من حيث  
الصحة والفساد ، فعلم البلاغة ينظر فيها من حيث رجحان بعضها على بعض ، والاختلاف  
بعض هذه الألفاظ للمؤثرها في المعنى دون غيرها ؛ لأنها فقدت الحسن والتأثير ،  
وهذه خاصية تفرد بها علوم البلاغة دون النحو .

ثم ينحو نحو أبواب علم المعاني فيحدث عن القصر ، ويصفه بأنه باب عظيم

## ( ى )

من أبواب البلاغة ؛ لما فيه من الإيجاز والتقرير ، فقول عمرو بن كلثوم :

لنا الدنيا ومن أضجى عايها      ونسبشش حين نبطش قادرينا

ولنا الدنيا ، هذه العبارة أفادت القصر بسبب تقديم المسند على المسند إليه ، أى الخبر على المبتدأ ، وهذا القصر يفيد الإيجاز ؛ لأن هذه الجملة بمثابة جملتين اثنتين إحداهما مثبتة ، والأخرى منفية ، أى : الدنيا لنا ، والجملة الثانية : الدنيا ليست لغيرنا .

أما التقرير فيمثل له بيت لبديد في رثاء أخيه :

وما المرء إلا كالشهاب وضوته      يخور رمادا بعد إذ هو ساطع

فالإنسان كائن حتى يملأ أسماع الدنيا بأفعاله وأقواله ، واسمه يلمح في كل سماء ، وذكره يجرى على كل لسان ، إلا أن صورته بعد موته تختفي ، ولمعانه ينطفئ ويصير رمادا بعد أن كان متوهجا ، هذه الصورة الحسية في تشبيه أخيه بالشهاب اللامع الذى يخبر لمعانه سريرا تؤكد وتقرر المعنى الذى قصد إليه لبديد في رثاء أخيه .

غير أن بلاغة القصر تشوبها كثرة التقسيمات التى تؤدى إلى التعميد والإملال ، من قصر موصوف على صفة ، وقصر صفة على موصوف ، ومن قصر أفراد ، إلى قصر قلب إلى قصر تعيين ، وهلم جرا ، وكل منها بدوره ينقسم إلى أقسام آخر ، وهكذا اتسم القصر بوفرة التقسيمات التى لا تفيد علم البلاغة ، وأشوه الغرض منها ، فهى المؤلف أن الانسياق وراء السكاكى ، ونزعته المطلقية ، وشغفه بوضع الجزئيات مدرجة تحت الكلليات ، هى التى أدت إلى هذه التفرعات ، وجعلت البلاغيين يتوجهون فى هذا المسار ، ويتبعون خطاه فى هذا المجال . ( ص ٤٩ )

هذه الأقسام التى ينبغي أن يعرض عنها البلاغيون ، يضيف إليها المؤلف مباحث أخرى ذكرها العلماء فى القصر ، تهجن من شأن البلاغة وتذهب برونقها ؛ لأنها أحكام لغوية نحوية لا يصح أن توضع فى الفن البلاغى ، كأدوات القصر ، وموقع كل من المقصور والمقصود عليه من هذه الأدوات ، وبيان جواز تقديم المقصور عليه على أداة الاستثناء أو عدم جوازه ، هذه أمور لا معنى بالبلاغة فى الصميم ، وإنما يستغنى عن ذلك كله بأن المقصور عليه فى العطف ببل ولكن هو ما بعدهما ،

## ( ك )

والعطف بلا هو ما قبلها ، وبالإلا ما بعدها ، وفي إنما هو المتأخر ، وفي التقديم هو  
المقدم . وهو منهج شديد ينقضى الأبحاث البلاغية من كل ما هو دخيل عليها ، فهي  
لا تساند الفن البلاغى ، وإنما تشعبه وتزيد من أقسامه ، وتعدل على تفتيته ،  
ففيه تضاعف معه النفور ، ويزداد فيه الزهد ( ص ٥١ )

وحين يمرض المؤلف للجملة الاسمية والجملة الفعلية يقول : إذا كان وضع الجملة  
الاسمية على إقادة الاستمرار والثبوت ، ووضع الجملة الفعلية على إقادة التجدد  
والحدوث ، فإن الجملة الإسمية تدل على معنى أوفى بما تدل عليه الجملة الفعلية ، ولهذا  
ذهب بعض العلماء إلى أن الإسمية تفيد التوكيد للمعنى ، غيثر التعبير بالجملة الاسمية  
في بعض المقامات كقوله تعالى : ( ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا :  
سلاما ، قال : سلام ) ( هود ٦٩ ) فسلاما جملة فعلية ؛ إذ التقدير : نسلم سلاما ،  
والثاني : سلام ، جملة اسمية ، إذ التقدير : سلام عليكم ، كأن إبراهيم عليه السلام  
أراد أن يحبيهم بأحسن مما حيوه به ؛ أخذاً بأدب الله تعالى ( وإذا حييتم بتحية  
حيوا بأحسن منها أو ردوها ) النساء ٨٦ ( ص ٥٧ ) .

وفي حديثه عن تعريف الخبر بأل : يرى أن هذا التعريف يأتى لغرضين : الأول :  
لإقادة القصر ، أى قصر الخبر على المبتدأ كقول المتنبي :  
أنت الحبيب وليكنى أعوذ به من أن أكون محبباً غير محبوب  
أى : أنت الحبيب دون غيرك من الناس ادعاء ، كأن حبه لهم لا جدوى منه  
ولافائدة ورامه .

الثاني : أن الخبر ظاهر لا يحمله أحد كقول للشاعر  
أسود : إذا ما أبدت الحرب نايها وفي سائر الدهر الغيوث المواطرو  
أى لا يخفى على أحد أن هؤلاء الممدوحين فى — جميع الحالات — عدا حالة  
الحرب — غاية فى العطاء والجود ، كأنهم الغيث المطير



وفي باب التقديم والتأخير ينفى المؤلف أن تكون لفافاة القرآنية مدخل

## (ل)

في البلاغة ، أو تأثير في الكلام ، فشان الفاصلة في مجردها من البلاغة شأن ضرورية الشعر ، وضرورة السجع ، لا تدعو إليه البلاغة ، فإذا جاءت الفاصلة في القرآن ، فاللزومية لا ترجع إليها وحدها ؛ إذ هي لا تتعلق بمجرد الشكل ، ففي قوله تعالى : **(قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبالُهُمْ وَعَصِيْمُهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنِهَا تَسْمَعُ ، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى)** طه آية ٦٦ ، ٦٧

قدم الجار والمجرور ، في نفسه ، على الفاعل موسى ، ، وهذا التقديم لم يأت لمجرد الفاصلة والتناسب في الألفاظ ، وإنما جاء التقديم للاهتمام بشأن السحر ، والمبالغة في الخوف الذي استولى على نفس موسى ، والاهتمام بإثباته له ، فالقرآن الكريم لم يقدم الألفاظ أو يؤخرها لمجرد الاحتفاء بالوزن الموسيقي ، أو لتكون الآيات متوازية في أنغامها ، منسابة في أصداؤها ، فهي أمور شكلية لا يلقى إليها النظم القرآني اهتماما ، وإنما الإعجاز القرآني كما في هذا السياق جاء ليعصر الافئدة عصرا بتأثير السحر والسحرة ، وبيان الخوف الذي دب في نفس موسى ، ولم يتعلاش إلا بعد أن طمأنه الله ، وشد من أزره .

هذا القول الذي نادى به المؤلف — رحمه الله — في كرن الفاصلة ليس لها أثر بلاغي ، عذافاً في ذلك رأي البلاغيين قاطبة ، يعد منه جرأة محدودة ضد هذا السيل الجارف الذي يرى أن الفاصلة أساس في البلاغة ؛ بل هي سبب من أسباب الإعجاز ، كما ذهب الرماني (ت ٢٨٦ هـ) بأن الفاصلة بلاغة ، والاسجاع عيب ، وهمل ذلك بأن الفاصلة تتبع المعاني ، والاسجاع المعاني تابعة لها ، وعد الفاصلة قسماً من أقسام البلاغة ، وهي أحد وجوه الإعجاز في القرآن الكريم (١)

ولا شك أن تصدى الشيخ الصعدي لهذا التيار الجارف الذي دعا إلى كون الفاصلة ذات أثر عظيم في بلاغة القرآن حتى عُدَّت من وجوه الإعجاز ، ليقف مجاهراً بأن الفاصلة ليس تحتها كبر في البلاغة العربية ، إلا إذا جاءت مشفوعة بنوع آخر من أنواع البلاغة ، كما رأى في الآيتين السابقتين ؛ لأن التقديم والتأخير لا يأتي لأجل مزينة الفاصلة وحدها .

وهكذا نرى المؤلف يتنقل من رأى خطير إلى رأى آخر أشد منه خطراً ، دون

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٨٩ — دار المعارف .

أن يبالي بالآراء التي انتشرت واستقرت على مر الأزمان ، ودون أن يكثرت بقائل هذا القول أو ذاك ، وكل شيء شأنه وخطره وفضله في البلاغة العربية ، لم يعبأ بهذا كله ، ولم يحفل أن يقول قولاً يجرى على خلاف ما استقر عليه الأمر ، وإن أغضب القائلين والسائر على درجهم .



وفي الحديث عن حروف العطف : الواو والفاء وثم ، يدعى المعاني النحوية جانباً ؛ لأن لها علاقة وطيدة بالمعنى البلاغى ، وتكاد تكون متداخلة في باب من أهم أبواب البلاغة وهو الفصل والوصل ، يقول : وها هنا أدرك لا بد من التنبيه إليه في هذه الحروف ، فالواو بدالاتها على مطلق الجمع يمكن أن تحمل في كل موضع مكان غيرها من هذه الحروف ، إلا أن صوغ الكلام حينئذ تتفاوت درجة بلاغته ، وانظر إلى قوله تعالى :

( والذي هو يطعمنى ويسقئ ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي يمجئنى ثم يمجين ) . الشعراء ٧٩ — ٨١

فلو قال قائل في موضع هذه الآيات : د الذى يطعمنى ويسقئ ، ويمرضنى ويشفين ، ويمجئنى ويمجين ، لكان للكلام معنى تام ، ولكنه لا يكون كعنى الآية ؛ لأن الآية كل شيء فيها قد دُفِئ بما يناسبه ، ووقع موقع السداد منه ، فالاول عطف بالواو التي هي لمطلق الجمع ، وقدم الإطعام على الإشفاء مراعاة حسن النظم . والثانى : عطف بالفاء ؛ لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما .

والثالث : عطف بثم ؛ لأن الإحياء للبعث يكون بعد الموت بزمان طويل (ص ٩٣)

فانظر إلى دقة التعبير بحروف العطف ، فالواو وإن كانت تصلح — نحوياً — أن تؤدي معنى الفاء وثم ؛ لأنها لمطلق الجمع ، فهي تفيد تأخير المعطوف على المعطوف عليه ، سواء أكان هذا التأخير بمهلة أم دون مهلة ، فهي تتضمن — إذن — معنى الفاء ، كما تتضمن معنى ثم ، وعلى الرغم من ذلك إلا أن عدم الدقة في اختيار حرف العطف ، ووضع الواو بدلاً من الفاء أو ثم نفتقد معه المعنى البلاغى

(ن)

المقصود بحسن النظم ، كما أن العبارة تكون قلقة لافتقارها الدقة .

وكما يرى المؤلف أهمية التدقيق في اختيار حروف العطف يراها أيضا في التقييد بحروف الجر ، وفي إظهار بعضها على بعض ، يكشف ما فيها من لطائف وأسرار ، فقد يبدو للوهلة الأولى أنه يجوز أن نضع حرفا مكان آخر ، وأكثر الناس يضعون هذه الحروف في غير مواضعها للاتقة بها ، فيجعلون مثلاً ما ينبغي أن يهرب على مجرورا بنى وهكذا ، حتى إن الأمر قد وصل بهم أن يزعموا أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض ، وليس الأمر كما يرى أصحاب هذه المراجع ، ولكي نرى مصداق ذلك انظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُم لَهْدَى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ فاستعمل حرفين من حروف الجر : « على » و « في » ، ولا نستطيع أن نضع أحدهما مكان الآخر ، ولا أن نختل المراد من الآية : فاللهدي بمثابة الحق الواضح ، فأدخل عليها الحرف « على » ، لأن صاحب الحق كائن مستعمل على فارس يركض به حيث شاء ، والضلال بمثابة الباطل الصريح ، فاستعمل معه الحرف « في » ، لأن صاحب الباطل كائن متختم في ظلام لا يدرى أين يتوجه ، فهذا معنى دقيق قلما يراعى مثله في الكلام ، وهذه الأسرار واللطائف لا تكاد توجد إلا في القرآن ، الكريم فأعرفها وتمس عليها .



وفي باب الفصل والوصل يتناول المؤلف مسائل بلاغية تتعلق بحروف العطف ، فيذكر أموراً دقيقة للغاية تغمض على الدارس المتخصص ، فيجليها ، ويضع الحدود الفاصلة بين ما ينبغي التسليم بصحته في النحو وفساده في البلاغة ، فيذكر في التفرقة بين صحة العطف بالواو في باب الفصل والوصل ، دون صحة العطف بالفاء ، فيصح أن نقول : « خرجت من المنزل فأمرت السماء » ، وعدائد يتحقق المعنى النحوي ، وهو عطف جملة على جملة أخرى جاءت عقبها دون نظر إلى اعتبار وجود الجامع بين الجملتين .

ومن ثم لا يجوز العطف في هاتين الجملتين بالواو : لافتقارهما إلى الجامع الذي

(س)

يجمع بينهما ، ويوجد المناسبة ، فإذا قامت : د خرجت من المنزل وأمطرت السماء ،  
افتقدنا المناسبة بين الجملتين ؛ إذ لا جامع بين إمطار السماء والخروج من المنزل ،  
فالعطف بالواو هنا لا يصح ، وإن صح العطف بالفاء ، فالواو لم تأت هنا لإفادة  
التشريك بين الجملتين كما يحدد منها علم النحو ؛ بل جاءت باعتبار أنها أداة وصل  
لا غير ، وهذا المعنى الجامع لا يفيد غيرهما من حروف العطف ، ولذلك فإن  
العطف بالفاء غير معتبر في باب الفصل والوصل .

ثم ينتقل إلى نقطة أخرى في باب الفصل والوصل ، أشد حساسية من غيرها ؛  
لأن الأمور ثبتت فيها وتجمدت دون أن يعمل أحد من جلة العلماء فكره فيها ،  
ويتنازلها بالبحث والتنقيب حتى يتبين خطوطها أو صوابها ، لجمهور النحاة يرى  
أنه لا يجوز العطف بين الجملة الخبرية والجملة الإنشائية ؛ لتفاوت الغرض فيهما ،  
فالطلب والخبر لا يجتمعان ، ولكن الشيخ الصعدي رحمه الله يعترض على هذه  
المصادرة ، ويفند هذا الرأي ، ويبين أن هذه الأحكام النحوية لا يصح أن يؤخذ بها  
في المسائل البلاغية ، فأشهر علماء النحو قاطبة على مر العصور أجاز هذا العطف ،  
فقد جوز سيدي ( ت ١٨٠ هـ ) عطف الجملتين المختلفتين بالاستفهام والخبر مثل  
أن تقول : د هذا زيد ومن همرو ؟ ، هذه الفسكرة التي سجلها المؤلف منذ أكثر  
من نصف قرن مستشهداً بسيدي على صحة عطف الإنشاء على الخبر تعتبر شيئاً  
غريباً نادراً في زمننا هذا ، وأذكر أنني تناولت هذه المسألة في رساتي للدكتوراه  
د أثر النحاة في البحث البلاغي ، منذ أكثر من عشرين عاماً ، وضربت لصحتها  
للعديد من الأمثلة القرآنية ، وناقشت فيها طلبية الدراسات العليا في رسائلهم  
الجامعية منذ عهد قريب ، فكانوا ينظرون إلى هذه المسألة بشيء من الغرابة  
والدهشة ؛ لأنها جرت على غير ما ألفوه ، ولكن هذه المسألة هي التي سبق أن  
تناولها المرحوم الشيخ الصعدي . منذ أكثر من نصف قرن في كتابه د البلاغة  
العالية ، وغير ذلك كثير تراه بين صفحات الكتاب . ورحم الله الشيخ  
عبد المتعال الصعدي ، وطيب ثراه ، وجعل الجنة مثواه .

المكتور هجر القادر حسين  
رئيس قسم البلاغة — جامعة الأزهر

هـ جمادى الأولى ١٤١١ هـ  
٢٢ / ١١ / ١٩٩٠ م





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة المؤلف

الحمد لله حمداً يليق بكماله ، وببإخ عظيم مَنِّه وإفضاله . والصلاة والسلام على نبيه المبعوث بجوامع الكلام ، محمد سيد العرب والعجم ، وأفصح من نطق بالاضاد فيما فبر ، وفيما بقى من الزمن .

وبعد ، فإن الكلام في النصاحة والبلاغة قد مرَّ إلى عصرنا هذا في أربعة أطوار : أولاً يبتدىء من عهد الجاحظ إلى عهد عبد القاهر ، وثانيها يبتدىء من عهد عبد القاهر إلى عهد السكاكي ، وثالثها يبتدىء من عهد السكاكي إلى عهد نهضتنا الحاضرة ، ورابعها يبتدىء بعد هذه النهضة إلى وقتنا هذا .

ويمتاز الطور الأول بأن الكلام فيه على الفصاحة والبلاغة كان أقرب إلى الأدب منه إلى البحث الفلسفي كما يظهر هذا بالنظر في كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ ، وكتاب « الصغاعتين » لأبي هلال العسكري ، وفي أشباههما من كتب هذا العهد .

ويمتاز الطور الثاني بأخذه في ذلك بشيء من البحث الفلسفي ، يسرف فيه أحياناً ويقتصد فيه أحياناً أخرى ، ويحاول مع هذا ألاَّ يفسرَّط في الصبغة الأدبية للطور الأول ، وأفضل مثال لهذا الطور كتابا عبد القاهر ودلائل الإيجاز ، و« أسرار البلاغة » .

ويمتاز الطور الثالث بطغيان البحث الفلسفي فيه على الصبغة الأدبية التي امتاز بها الطور الأول ، وإن كل الكلام فيه على الفصاحة والبلاغة من الناحية العلمية ، وصار فيه إلى هذه العلوم الثلاثة المعروفة .

ويمتاز الطور الرابع بمحاولة القضاء على البحث الفلسفي في هذه العلوم ، والاعخذ بها في طريقة العلوم الرياضية بدل هذه الطريقة الفلسفية ، مسائل موجزة ، وتبرينات شمعية وثرية ، وأجوبة عنها مقرونة بها ، أو مطلوب من المتعلم معرفتها .

وهذه الطريقة الرياضية هي التي تنزرو الآن سائر العلوم كما كانت تنزروها الطريقة الفلسفية قبلها، ولهذا سلبه من طغيان العلوم الرياضية على غيرها من العلوم بعد أن كانت الفلسفة صاحبة الطغيان على غيرها في العصور السابقة .

والذي أراه أن كل طائفة من العلوم لها طريقتهما التي تناسبهما في التعليم ، فإذا طغت عليها طريقة غيرهما لم تحدث إلا فساداً فيها ؛ فطغيان الطريقة الرياضية في علوم البلاغة غير محمود الأثر فيها ، كما أن طغيان الطريقة الفلسفية فيها غير محمود الأثر أيضاً .

ولهذا كله وجدت الحاجة شديدة إلى وضع كتابي هذا « البلاغة العالية » في علوم البلاغة الثلاثة ، ليسير بها في الطريقة اللائقة بها ، ويأخذ من غيرها بمقدار لا يطفئ عليها ، ويكمل تبيين مسائل هذه العلوم بعضها عن بعض ، وينصح عنها هذه المسائل النحوية التي حقرت بينها من عهد السكاكي ومن أتى بعده ، وهذه مهمة لا أجد - فيما أعلم - أحداً حاولها قبلي ، والله أسأل أن يجعله عملاً نافعا ، وسبيلاً راشداً .

١٧ صفر سنة ١٣٥٥ هـ

عبد المتعال الصعيدي

# البلاغة والفصاحة

(١) وجودهما في سائر اللغات :

مذهب الجاحظ :

من العلماء من يذهب إلى أن البلاغة والفصاحة مما استأثرت به العربية ، ولا توجد في غيرها من اللغات ، قال الجاحظ رحمه الله : (١) « ونحن أبقاك الله إذا أدعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز ، فعنا العلم على أن ذلك لهم شاهد صدق من الديباجة الكريمة ، والرواق العجيب ، والسبك والفتح الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم في البيان أن يقول في مثل ذلك إلا في اليسير ، والتبذ القليل . ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التي في أيدي الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة ، وقديمة غير مولدة ، إذا كان مثل ابن المقفع وسهل بن هارون وأبي عبيد الله وعبد الحميد لا يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل ، ويصنعوا مثل تلك السير » .

ثم قال في موضع آخر (٢) : « إن البديع أمر خاص بالعرب مقصور عليهم ، وإن سواهم من شعوب الأرض كان يجهله جهلا مطلقاً » .

مذهب أبي هلال :

والإنصاف في ذلك ما ذهب إليه أبو هلال العسكري من وجود البلاغة والفصاحة في كل اللغات ؛ وفي ذلك يقول (٣) : « العجم والعرب في البلاغة سواء ، فمن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخراج أمثلة الكتابة التي رسمها

---

(١) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٣ طبعة مطبعة الفتوح الأدبية ، مصر .

(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ٢١٢ (٣) ديوان المعاني ج ٢ ص ٨٩ طبعة مكتبة القدسي .

من اللسان الفارسي نحوها إلى اللسان العربي ، ويدل على هذا أيضا أن تراجم  
خطاب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطاب العرب ورسائلها ، والفرس أمثال مثل  
أمثال العرب معنى وصفة ، وربما كان اللفظ الفارسي في بعضها أفصح من اللفظ  
العربي ، من ذلك قول العرب : **دَوْلَتِكَ** من **دَحْمِي عَتَبَيْكَ** (١) ، وقول الفرس :  
**د هرك نژاد نرود** ، واللفظ الفارسي في هذا أفصح من اللفظ العربي وأحسن ،  
وقولهم **د كشتند بيد** ، مثل قول العربي **د من يسمع يحل** ، (٢) - سواء في المعنى ،  
والفارسي أقل حروفاً - إلى أن قال - **د وایس تصدنا لهذا المدنی فیتطبل فيه** ، ولكن  
لا يراد أمثلة في البلاغة تكون مادة اصانع الكلام . فن ذلك قول أبرويز : **د إذا**  
**نزل الخول استكشف الفاص** ، يبحث على طالب النباهة والتماس جلائل الأمور ،  
وقال بهرام جور : **د الحاکم میزان الله فی الارض** ، فوافق قول الله تعالى : **د والعلماء**  
**رفعها ووضع الميزان** ، (\*) يعنى العدل في الحكم ، ونحوه قول علي رضي الله عنه :  
**د السفر میزان القوم** ، وقول الآخر **د العروض میزان الشعر** ، وقول أنوشروان  
**لابنه هرمز** : **د لا یکن عندک لعمل البر غایة فی الکثرة** ، ولا لعمل الإثم غایة فی القلة ،  
ووافق هذا من العربي قول الأفوه الأودي :

والخيرُ تزدادُ منه ما اُقيمت به      والشرُّ یکتفیک منه قلما زادُ

وقال أبرويز يوماً لجنده : **د لا یسجد امرؤ منکم سینه حتی یسجد عقله** ، وأثن  
المتنبی الم بهذا فقال :

الرأی قبل شجاعة الشجعان      هو أولُ ، وهي المحلُ الثاني

(٢) اقوال القدماء في معنهما :

ذكر القدماء أقوالاً كثيرة في معنى البلاغة والفصاحة ، ولستهم كانوا كما قال

---

(١) كانت امرأة الطفيل بن مالك ولدت له عقيل بن الطفيل ، فتبنته كبشة ، فعربده  
عقيل على أمه فضربته فجاءتها كبشة وقالت **د ابني ابني** ، فأجابتها أمه بهذا المثل .  
(٢) معناه أن من يسمع أخبار الناس ومعايهم يقع في نفسه عليهم المنكره .  
(\*) سورة الرحمن الآية ٧

بهاء الدين السبكي (١) لا يصدقون بها حقيقة الحد ولا الرسم ، وإنما كانوا  
يقصدون ذكر أوصاف للبلاغة ، والتشويه ببعض ما يستحق التشويه من نواحيها .  
أرسسطو :

ومن تلك الأقوال ما حكى عن أرسطو أنه قيل له : ما البلاغة ؟ فقال :  
« حسن الاستعارة » .

أكتف بن صيفي :

ومنما قول أكتف بن صيفي في خطبة له : « البلاغة : الإيجاز » ،

بعض الهند :

ومنما بعض الهند : « جاع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بواقع الفرصة » .  
ومن البصر بالحجة أن يدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان طريق الإفصاح  
وعراً ، وذلك مثل ما حكى أن عبيد الله بن زياد بن ظبيان دخل على عبد الملك  
ابن مروان وأراد أن يقدم معه على ضريحه ، فقال له عبد الملك : « ما بال العرب  
تزعم أنك لا تشبه أباك ؟ فقال عبيد الله : والله لأنا أشبه بأبي من الليل بالليل ،  
والغراب بالغراب ، ولكن إن شئت خبرتك عن لا يشبه أباه » . فقال عبد الملك :  
من ذلك ؟ قال : من لم تنضجه الأرحام ، ولم يولد لتمام ، ولم يشبه الأخوان  
والأعوام . فقال عبد الملك : ومن ذلك ؟ قال : سويد بن منجوف ، فقال  
عبيد الملك : أكن ذلك أنت يا سويد ؟ قال : نعم . فلما خرجا قال عبيد الله لسويد :  
وربما بك زفادى ، والله ما يسرنى بملك حتى محمر الدنعم ، فقال سويد :  
وأنا والله ما يسرنى أنك نقصته إحرقاً وأننى سود النعم . وإنما كان عرض  
بعبد الملك وكان ولداً لسبعة أشهر .

ومن البصر بالحجة ما روى أن شاعراً أقام بباب معن بن زائدة حولاً  
لا يصل إليه ، فكتب إليه رقعة ودفعها إليه :

---

(١) حروس الأفراخ في شرح تلخيص المفتاح ص ١٣٠ ج ١ من شروح  
القلخيص ، المطبعة الأميرية .

إذا كان الجواد له حجاب<sup>(١)</sup> فما فضل الجواد على البخيل  
فكتبه معن فيها :

إذا كان الجواد قليل مال<sup>(٢)</sup> ولم يُعْتَدَ تملك بالهجاب  
فأنصرف الرجل يائسا ، ثم حمل إليه معن عشرة آلاف درهم .

ومن أفوالهم في البلاغة ما حكى عن ابن المقفع أو غيره أنها تصوير الحق  
في صورة الباطل ، وتصوير الباطل في صورة الحق ، ومن تصوير الحق في صورة  
الباطل قول عبد الملك بن صالح في المشورة : « ما استشرت أحدا إلا تكبر عليّ  
وتصاغرت له ، ودخلته العزة ودخلتني الذلة ، فعليك بالاستبداد ؛ فإن صاحبه جليل  
في العيون ، مريب في الصدور ، وإذا افتقرت إلى القول حقرتك العيون ، فتضعض  
شأنك ، ورجفت بك أركانك واستحقرك الصغير ، واستخف بك الكبير ، وما هن  
سلطان لم يغتنه عقله من عقول وزرائه ، وآراء نصحاؤه . »

ومن تصوير الباطل في صورة الحق قول الجارث بن حلوة :

هَيْشِي بِحَيْدَةٍ<sup>(١)</sup> لَا يَضِيرُ<sup>(٢)</sup> لِكَ النَّوْكَ<sup>(٣)</sup> مَا لَا فَيْتَ جَدًّا<sup>(٤)</sup>  
وَالْمِيشَ خَيْرٌ فِي ظِلَا لِكَ النَّوْكَ مِنْ عَاشِ كَسَدٍ<sup>(٥)</sup>

ذم البلاغة الساجزة :

وقد يذم هذا النوع من البلاغة ، كما روى عن عبد الله بن عباس رضي الله  
عنهما قال : « وفد إلى رسول الله ﷺ الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ، فقال  
الزبرقان : يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم ، والحجاب منهم ، آخذ لهم بحقوقهم  
وأمنهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك — يعني عمرا — فقال عمرو : أجل يا رسول الله  
لأنه لمّا نزع لحوزته ، مطاع في عشيرته ، شديد المعارضة فيهم ، فقال الزبرقان : أما  
لأنه والله قد علم أكثر مما قال ، ولمكنه حسدني شرفي ، فقال عمرو : أما لئن قال  
ما قال فوالله ما علمته إلا ضيق العطن<sup>(٤)</sup> ، كَرَمٍ<sup>(٥)</sup> المرودة ، أحقّ الأب ، لثيم  
الخال ، حديث الغنسى . فرأى السكراهة في وجه رسول الله لما اختلف قوله ،

(١) الجدة : الحظ (٢) النوك : الجهل (٣) الكد : شدة العمل .  
(٤) العطن : المناخ حول المورد . (٥) واغن .

فقال : يا رسول الله رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ ، وغضبتُ فقلتُ أقبح ما علمتُ ، وما كذبتُ في الأول ، ولقد صدقت في الثانية . فقال رسول الله ﷺ : إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكمة . وأكثَر الناس يحملون هذا من النبي ﷺ على المدح لهذا البيان ، ومنهم من يجعله ذمّا له ، وقال ابن رشيقي (١) : والذي أراه أن هذا النوع من البيان غير صحيح ، لأنه لم يحمل الباطل حقا على الحقيقة ، ولا الحق باطلا ، وإنما وصف محاسن كل شيء مرة ، ثم وصف مساوئها مرة أخرى . وأقوال القدماء كثيرة في البلاغة ، وأما أقوالهم في الفصاحة فنادرة ، وكان أكثرهم لا يفرق بينهما في المعنى .

#### أفلاطون :

وقد نقل عن أفلاطون أن الفصاحة لا تكون إلا لموجود ، والبلاغة تكون لموجود ومفروض .

#### العاص بن عدى :

وقال العاص بن عدى : الشجاعة قلب ركين ، والفصاحة لسان وزين ، واللسان في كلامه اللفظ ، والزين الذي فيه غفامة وجوالة ، وقال بعضهم : الفصاحة تمام آلة البيان ، فهي مقصورة على اللفظ أيضا ، لأن الآلة وهي اللسان تتعلق باللفظ دون المعنى .

#### (٣) تعريفيهما :

كان القدماء يذهبون في بيان معنى كل من البلاغة والفصاحة هذه المذاهب ، إلى أن جاء عهد تدوين العلوم التي تبحث في أمرها ، فأخذ العلماء يقربون من تحديد معانيها

#### تعريف أبي هلال :

وعرّف أبو هلال العسكري البلاغة فقال (٢) : إنها مأخوذة من قولهم : بلغت الغاية إذا انتهيت إليها ، فهي كل ما يُبَلِّغُ به المعنى قلب السامع فتتمكّن منه

(١) العمدة في صناعة الشعر ونقده ج ١ ص ١٦٥ د مطبعة هندية .

(٢) كتاب المناقبين ص ٦ د طبعة الاستانة .

في نفسه لِتَمَسْكُ فِيهِ في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن ، . قال بلاغة  
عنده إلتصاح المعنى وتحسين اللفظ معاً ، وأما الفصاحة فذكر أنهم اختلفوا فيها ،  
فقال قوم : إنها مأخوذة من قولهم أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهره ، وعلى هذا  
ترجع الفصاحة والبلاغة إلى معنى واحد وإن اختلف أصلهما في اللغة . وقال  
بعض العلماء : إن الفصاحة تمام آلة البيان ، وعلى هذا تكون الفصاحة مقصورة على  
اللفظ وحده ، ويكون من الكلام ما هو فصيح وليس بليغ ، كما يسمى البهائم  
فصيحاً ولا يسمى بليغاً ، لأنه يقيم الحروف ولا يقصد إلى المعنى الذي تؤديه .  
وقال قوم : إن الكلام لا يسمى فصيحاً إلا إذا كان واضح المعنى ، سهل اللفظ ،  
جيد السبك ، غير مستكره ولا متكاف ، وجمع إلى هذا غفلة وشدة جزالة ، وعلى  
هذا يكون من الكلام ما هو بليغ وليس بفصيح ، كقول إبراهيم بن العباس :

تمر الصَّبَا (١) صفحاً بساكنة الفضا ويصدجُ قلبى أن يهب هبوبها  
قريبه همدٍ بالحبيب وإنما هوى كل نفس حيث حلَّ حبيبها  
فالبيت الأول فصيح وبليغ ، والبيت الثاني بليغ وليس بفصيح ، لأنه ليس  
فيه غفلة ولا شدة جزالة . ولكن أبا هلال عاد بعد هذا فذكر (٢) أن مدار البلاغة  
على تحسين اللفظ وحده ؛ لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي ، والقروى والبدوى  
إنما الشأن في جودة اللفظ ، وصفاته ، مع صحة السبك والتركيب ، والخلو من أود  
النظم والتأليف ، ولا يطلب من المعنى الآن يكون صواباً ، ولا يفتح من اللفظ هذا  
حتى يكون على تلك الأوصاف السابقة ، فإذا خلا منها لم يكن بليغاً ، وإن بلغ  
معناه ما بلغ ؛ وهذا كقول أبي تمام :

مستسلمٌ لله سائس أمةٍ بدوى تجدهم ضماماً (٣) له استسلام  
فإنه صواب اللفظ ، وليس هو بحسن ولا مقبول ، وهذا بخلاف قول  
كثير غرة :

ولما قضينا من رضى كل حاجةٍ ومسح بالادكان من هو مسحُ

(١) الصبا : الريح الشرقية . ويقال مر بكذا صفحاً إذا مر بجانبه ولم يؤثر فيه ،

(٢) كتاب الصناعات ص ٤٢ (٣) الجهمضة : الوثوب والغلبة .



وشدّت على محدّب (١) المهارى رحالنا ولم ينظر الغادى الذى هو رافع  
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطىّ الأباطح  
فليس تحت هذه الألفاظ كبح معنى ، ولكنها راقعة معجبة .

تعريف عبد القاهر :

وقد اضطرب الشيخ عبد القاهر الجرجاني فى أمر البلاغة والفصاحة اضطراب  
أبى هلال العسكري ، فهما مترادفان عنده قطعا ، ولكنه مرة يذهب إلى أنهما  
يرجعان إلى المعنى دون اللفظ ، ومرة يذهب إلى أنهما يرجعان إلى اللفظ دون المعنى .  
ويؤخذ من كلامه أنهما مذهبان قديمان يرى ثانيهما الجاحظ ، ويرى أولهما غيره ،  
وقد حاول الخطيب القزوينى (٢) أن يجمع بين كلامى عبد القاهر فى ذلك بحمل كلامه ،  
حيث نفى أن الفصاحة والبلاغة من صفات اللفظ على نفي أنهما من صفات المفردات  
من غير اعتبار التركيب ، وحيث أثبت أنهما من صفاته على أنهما من صفاته باعتبار  
إفادته المعنى عند التركيب (٣) ، وقيل إنه لا يرى الفصاحة والبلاغة فى اللفظ ولا فى  
المعنى ، وإنما هما عنده فى نظم الكلام ، أى فى الأسلوب ، والنظم عنده عبارة عن  
توخى معانى النحو فيما بين الكلم ، وذلك كالتقديم والتأخير ، والذكر والمخطف ،  
والتعريف والتنكير ، وما إلى ذلك ، وهذا كما فى قول إبراهيم بن العباس :

فلو إذ كبتا دهر وأنكر صاحب  
أكون من الأهواز دارى بنتجوة  
ولكن مقادير جرت وأمر  
وإني لأرجو بمد هذا محمداً  
لأفضل ما يؤتى أخى وزير

فلا تجد ما فيه من الروق والطلاوة إلا من أجل تقسيمه الظرف الذى هو  
« إذ نبا » على عامله الذى هو « تكون » ، وأن قال « تكون » ولم يقل « كان » . ثم تنكّر  
الدهر وصاق هذا التنكير فى جميع ما أتى بعده ، ثم أن قال « وأنكر صاحب » ولم  
يقول « وأنكرت صاحباً » وكل ذلك من معانى النحو كما ترى . ولا يريد الشيخ عبد القاهر

(١) المهارى : جمع مهريّة منسوبة إلى مهرة . وحديثها : مهازيلها جمع حذباء .

(٢) شرح الإيضاح ج ١ ص ٢٩ ( المطبعة المحمودية التجارية )

(٣) مقدمة نقد النثر ص ٢٨ ( مطبعة دار الكتب المصرية ) .

من هذا أن المزية واجبة لهذه المعاني النحوية في أنفسها ، وإلا وجب أن يروك التذكير أبداً ، أو التعريف أبداً ، وهكذا ، وإنما يحسن ذلك عنده بإصابتة موافقه وموافقتة أغراضه ، على ما سيأتى من اعتبار المطابقة للمقتضى الحال في معنى البلاغة ، وبهذا يظهر أن اعتبار هذه المعاني عنده في الفصاحة والبلاغة غير اعتبارها في علم النحو ، فاعتبارها في البلاغة يقوم على تطبيقها على أغراضها ودواعيها في الكلام ، واعتبارها في النحو يقوم على بيانها في أنفسها ليكون الكلام صحيحاً لا خطأ فيه ، وإن كان يجب أن يعرف أن البلاغة والفصاحة لا تقومان على توخي معاني النحو وحدها . عند عبد القاهر ، كما قيل فيما سبق ، بل تقومان عنده على ذلك وعلى غيره من الإيجاز والاطناب ، والجاز والسكناية ، وغير ذلك من المعاني البيانية والبيديعية الآتية ، وقد قال في البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة إنه لا معنى لهذه العبارات وما يجرى مجراها غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتامها فيما كانت له دلالة ، وذلك بأن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ، ويختار اللفظ الذي هو أخص به ، وأكشف عنه ، وأتم له .

#### تعريف الخفاجي :

وقد ذهب ابن سنان الخفاجي (١) إلى أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، أما البلاغة فلا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني ، وعلى هذا لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثابها إنها بليغة ، وإن قيل فيها إنها فصيحة فكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل كلام فصيح بليغاً ، كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه ، والفصاحة على ذلك شطر البلاغة وأحد جزأها ، ولها شروط إذا تكاملت في الألفاظ فلا مزيد على فصاحتها ، وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من المدح ، وبوجود أضدادها تستحق الإطراح والذم ، وتلك الشروط تنقسم قسمين : فالأول منهما يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير أن يضم إليها شيء من الألفاظ وتؤلف معه ، والقسم الثاني يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض ، وقد قام كتابه على تفصيل تلك الشروط ، وبيان ما يخل بالفصاحة والبلاغة في الكلام ، وما يتحققان به فيه .

(١) سر الفصاحة ص ٥٥ « المطبعة الرحمانية »

### تعريف السكائى :

وذهب السكاكى (١) إلى أن البلاغة هى بلوغ المتكلم فى تأدية المعانى حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والسكناية على وجهها . وقسم الفصاحة إلى قسمين : قسم يرجع إلى المعنى وهو خلوص الكلام عن التعميد (٢) ، وقسم يرجع إلى اللفظ وهو أن تكون الكلمة عربية أصلية لا بما أحدثه المولدون ، ولا بما أخطأت فيه العامة ، وأن تكون سليمة عن التنافر . وعلى ذلك لا تكون الفصاحة عنده لازمة للبلاغة كما يرى ابن سنان الخفاجى .

### تعريف الخطيب :

وقد جاء الخطيب الفزوينى بعد هؤلاء الأئمة ، ففصل فى كتابه د تلخيص المفتاح ، والإيضاح ، ما أجملوه من ذلك أحسن تفصيل ، وهذب به أجمل تهذيب ، فقسم الفصاحة إلى قسمين : فصاحة فى الكلمة ، وفصاحة فى الكلام ، أما البلاغة فلا تكون إلا فى الكلام وحده .

### الفصاحة فى الكلمة :

والفصاحة فى الكلمة عنده خلوصها من ثلاثة أشياء : تنافر الحروف ، والغرابية ، ومخالفة القياس اللغوى .

### تنافر الحروف :

وتنافر الحروف : وصف فى الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وصعوبة النطق بها ، كما روى أن أعورانيا سئيل عن ناقته فقال : « تركتها ترعى الزمزم نخع » (٣) ، وكما قال ابن جهمدر :

حلفتُ بما أرفَلتُ حوله      هَمَزُ جَلَّةٍ خَلَّتْهَا شَيْظُظْمُ  
وما شَبْرَقَتِ من تَشْوِيفِيَّةٍ      بها من وَحَى الجن زِيْزِيْظُمُ (٤)

(١) مفتاح العلوم ص ٢٢٠ « المطبعة الأدبية ،

(٢) يعنى به التعميد اللفظى ، أما التعميد المعنوى ، فخلوص الكلام عنه يدخل عنده فى البلاغة لا فى الفصاحة . وسيأتى بيانها .

(٣) هو اسم شجر وقيل لأنها كلمة معايية لا أصل لها .

(٤) أوقلات : أسرعت ، والهمز جلة : الفاقة السريعة ، والشَيْظُظْمُ : الطويل ، وشَبْرَقَتِ : قطعت ، والتَشْوِيفِيَّةُ : المفازة ، والوَحَى : الصوت الخفى ، والزِيْزِيْظُمُ : تحكاة أصوات الجن ، وهو محل الشاهد من البيتين .

ومن ذلك لفظ مستشور في قول امرئ القيس :

وفرهم يزين المائن أسود فاحم  
غدا ترهم مستشورات إلى العلا  
أثبت كغير النخلة المتعشك  
فضل النخلة أرى في مشنكي وموسل (١)

يشبه فرعها بقنو النخلة المتراكم ، وفي ذلك خشونة ظاهرة .

وقد يختلف اللفظ من ذلك إذا لم يكن هناك لفظ غيره يدل على معناه ، والمعول في إدراك التناظر على الذوق الصحيح وهو لا يرجع في إدراكه إلى ضابط معروف ، أو قاعدة مطردة ، وقد ذهب ابن سنان الخفاجي إلى التعويل في ذلك على مخارج الحروف ، فإذا تركبت الكلمة من حروف متباعدة المخارج كانت سهلة النطق ، وإذا تركبت من حروف متقاربة المخارج كانت ثقيلة النطق ، وهذا أمر لا يدرك تأثيره في النطق بالكلمات ولكنه غير مطرد ، وهناك كلمات كثيرة مركبة من حروف متقاربة وهي مع هذا سهلة النطق ، مثل كلمة الشجرة والجيش والفم ونحوها .

وقد يحصل ثقل النطق من طول بعض الكلمات مثل لفظ دسوداواتها (٢) في قول أبي العلي :

إن الكريم بلا كرام منهم مثل القلوب بلا مسوداواتها

ولكن ذلك لا يلحظ أيضا ، وقد ورد منه غير مستثقل من قوله تعالى :  
( ليسخلفهم في الأرض ) (٣) ، ( فسيكفيكم الله ) (٤) .

على أن هنا أمراً يجب ألا يغفل عنه ، وهو أن أصول الالبنية لا تحسن إلا في الثلاثي وبعض الرباعي ، أما الخماسي الأصول نحو صمصم صم صم صم صم وما جرى مجراهما فإنه قبيح ، وقد خلا القرآن الكريم من مثل ذلك إلا ما كان مستتراً من أسماء الأنبياء مثل إبراهيم وإسماعيل ونحوهما ، وقد يشغل نطق بعض

(١) الأثبت : الكثير ، والقنو : العنقود ، والمتعشك : المتراكم ، والمستشورات : المرتفعات ، والمداوي : الأمشاط .

(٢) هذا ونحوه مما معنا أيضاً ؛ لأن المراد بالكلمة ما قابل المركب التام ،

(٣) سورة النور الآية ٥٥ (٤) سورة البقرة الآية ١٣٧

الأسماء الثلاثية ، مثل كلمة « الظَّيْش » ، وهو الموضع الحشن .

الغرابية :

والغرابية : أن تكون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال عند العرب  
الخاص ، بخلاف المولدين لأنه يخفى عليهم كثير مما كان مأنوس الاستعمال عند  
العرب ، ولا يضر هذا في فصاحته ، والغرابية تكون بسببين : أولهما أن تكون  
الكلمة بحيث يحتاج في معرفة معناها إلى بحث وتنقيب في كتب اللغة ، كما روى عن  
عيسى بن عمرو النحوي أنه سقط عن حماره فاجتمع عليه الناس فقال لهم : « ما لكم  
تسألونني على تسألكم وكؤؤكم على ذي جيفة » (١) افرنقوا عنى ، (٢) .

وكقول تأبط شراً يصف ابن عم له بكثرة الترطال :

يظل بموماة ويمسى بغيرها جحيشاً ويعرورى ظهور المسالك (٣)  
وكقول المتنبي :

وما أَرْضَى لِمَقْلَتِهِ بِحِلْمٍ إِذَا انْتَبَهَتْ تَوَهُمُهُ ابْتِشَاكَتَا (٤)

ومتى كانت الكلمة بهذا الوصف فإنها تكون غير فصيحة ولو أصبح معناها معروفاً  
لنا بعد البحث والتنقيب عنه ، والمدار في غرابية الكلمة على عدم ظهور المعنى الموضوع  
له فلا يدخل في ذلك مثلاً به القرآن الكريم ومجمله ، فإن معناها الوضعي لا غرابية  
فيه ، وإنما التشابه والابهال في مراد الله منهما ، كما في قوله تعالى ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ  
أَيْدِيهِمْ ﴾ (٥) و ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (٦) ، وقد وقع مثل ذلك في الشعر  
كقول أبي تمام :

وَلَمْ تَكُنْ فَأَظْلَمُ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهَا وَأَضَاءُ مِنْهَا كُلِّ شَيْءٍ مُظْلَمٌ

فإن الوله والظلمة والإضاءة أشياء مفهومة ، ولكن البيت بجملته يحتاج فهمه  
إلى استنباط ، والمراد به أنها ولعت فأظلم ما بيني وبينها من الجزع لولها ، ووضح لي  
منها ما كان مستترا عني من حبها لي .

---

(١) تسألونني : اجتمعتم . افرنقوا : انصرفوا . (٢) الموماة : المفازة ،  
وجحيشاً : فريداً ، ويعرورى : يركب فرسه هرباً . (٣) الابتشاك : الكذب .  
(٤) سورة الفتح الآية ١٠ (٥) سورة طه الآية ٥

### الغريب القبيح والحسن :

وقد ذكر ابن الأثير (١) أن الغريب ينقسم إلى قسمين : غريب قبيح، وغريب حسن ، والاول هو ما كان ثقیل النطق لتنافر حروفه ، والثاني ما كان سهل النطق لعدم تنافر حروفه ، والناس في استقباج الاول سواء ، لا يختلف فيه عربي بادي ، ولا قروي متحضر ، وأما الثاني فيختلف استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله ، وهو الذي لا يعاب استعماله عند العرب لانه لم يكن عندهم وحشياً ، وهو عندنا وحشياً ، وقد تضمن القرآن معه كلمات ممدودة هي التي يطلق عليها غريب القرآن ، وكذلك تضمن الحديث منه شيئاً هو الذي يطلق عليه غريب الحديث ، وقد كان النبي ﷺ لا يلجأ إليه إلا نادراً أو مع أهله ، كما ورد في حديث النبي ﷺ مع طهفة بن أبي زهير الهذلي ، وقد وفد عليه في قومه فقال : «أتيناك يا رسول الله من محوّر» (٢) تهامة ، إلى أكوار (٣) الميسر ، ترعى بنا العيس (٤) ، نستحلب الصبير (٥) ونستحلب الحبيرة (٦) ، ونستعصد البيرير (٧) ، ونستخيل الرهام (٨) ، ونستحيل (٩) الجهام ، في أرض غائلة النطام (١٠) ، غليظة الوطاء ، قد نكشفت التمدد هين (١١) ، ويديس النجد هين (١٢) ، وسقط الأملاك (١٣) ، ومات العسك وج (١٤) ، وهالك الهدى (١٥) ، ومات الودي (١٦) ، برثنا إليك يا رسول الله من الوثئن والفتن ، وما يحدث الزمن ، لنا دعوة السلام ، وشريعة الإسلام ، ما طما البحر ، وقام تعار (١٧) ، ولنا نعم مهملة أغفال (١٨) ،

(١) المثل السائر ص ٦١ (٢) الغور : ما انخفض من الأرض (٣) جمع كور وهو الرجل ، والميسر : شجر صلب (٤) الإبل الأبيض مع شقرة يسيرة وأحدها أعيس وعيساء (٥) سحاب أبيض متكاثف (٦) النبات والعشب ، واستخلا به : احتشاشه (٧) تمر الأراك ، واستعضاده : جنيته (٨) الأمطار الضعيفة وأحدها رهمة (٩) السحاب الذي فرغ ماؤه يعني أنهم لا ينظرون من السحاب في حال إلا إلى جهام من قلة المطر (١٠) النطام البعد ، أي تقول سالكمها ببعدا (١١) نقرة في الجبل يجتمع فيها المطر (١٢) أصل النبات (١٣) ورق من أوراق الشجر يشبه الطرقاء والسرو (١٤) الفصن الحديث الطلوع (١٥) ما يهدي إلى البيت ، والمراد الإبل كلها (١٦) صفار النخل (١٧) تعار : اسم جبل (١٨) مهملة ، وأغفال : جمع غفل يعني لا ألبان لها .

ما تَبَيَّنَ بِلَالٌ (\*) وَوَقِيرٌ كَثِيرُ الرَّسْلِ ، قَلِيلُ الرَّسْلِ (١) ، أَصَابَنَا سَنَةٌ حَرَاءُ مُمُوزِلَةٌ (٢) ، لَيْسَ لَهَا عَسَلٌ وَلَا نَهْلٌ (٣) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لِمَ فِي مَحْضِهَا (٤) وَتَمَحُّضِهَا وَكَمْزَقِهَا وَفَسْرَقِهَا (٥) ، وَأَبْعَثْ رَاعِيَهَا فِي الدَّائِرِ (٦) ، بَيَانُ الثَّرِّ ، وَانْتِجَاؤُهَا التَّمَسُّدُ (٧) ، وَبَارِكْ لَهُ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ ، مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ كَانَ مُسْلِمًا ، وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا ، وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مُخْلِصًا ، لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ وَدَائِعِ الثَّمَرِ (٨) . وَوَضَائِعُ الثَّمَرِ (٩) ، لَا يُبَالِطُهَا فِي الزَّكَاةِ (١٠) ، وَلَا يُبَالِغُ فِي الْحَيَاةِ ، وَلَا يُبَدِّشُ قَتْلُ عَنْ الصَّلَاةِ .

ثُمَّ رَأَى (١١) أَنْ يَقِيدَ مَنَعَ اسْتِعْمَالِ الْغَرِيبِ الْحَسَنَ لِغَيْرِ الْعَرَبِ بِالنَّثْرِ دُونَ الشَّغْرِ ، وَاسْتَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ لَفْظُ « مَشْمُورٌ » ، فِي آيَاتٍ بَشَرِيَّةٍ وَصَفِ الْأَسَدِ :

وَأُطْلِقَتْ الْمَشْمُورَةُ مِنْ يَمِينِي فَقَدَتْ لَهُ مِنْ الْأَضْلَاعِ عَشْرًا  
فَتَحْتَرُّ مَشْمُورًا جَاءَ بِدَمٍ كَأَنِّي هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْمُورًا

، قَالَ : وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فِي خُطْبِ الشَّيْخِ ابْنِ نَبَاتَةَ ، كَقَوْلِهِ فِي خُطْبَةٍ يَذْكُرُ أَهْوَالَ الْقِيَامَةِ : « اقْطُرْ وَبَاهَا ، وَاشْمُرْ نِكَالَهَا ، فَمَا طَابَتْ وَلَا سَاعَتْ . » ثُمَّ قَالَ : « وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا يَسُوغُ اسْتِعْمَالَهُ فِي الْكَلَامِ الْمُنْشُورِ يَسُوغُ اسْتِعْمَالَهُ فِي الْمَنْظُومِ دُونَ الْعَكْسِ ، وَذَلِكَ شَيْءٌ اسْتَبْطُطُهُ وَدَلَّنِي عَلَيْهِ الذَّوْقُ . »

لَا يَقْبَحُ عَلَى الْغَرَابَةِ لَصِيغُ الْإِلْفِ :

وَالَّذِي أَرَادَ فِي هَذَا أَنَّ الَّذِي يَقْبَحُ اسْتِعْمَالُهُ مِنَ الْغَرِيبِ هُوَ الْغَرِيبُ الْقَبِيحُ ، وَنَحْنُ فِي ذَلِكَ وَالْعَرَبُ مُوَاهِدُونَ ، وَأَمَّا الْغَرِيبُ الْحَسَنُ فَلَا يَقْبَحُ اسْتِعْمَالُهُ فِي كَلَامِنَا وَلَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَلَا فِي النَّثْرِ وَلَا فِي النِّظْمِ ، وَلَيْسَتْ الْغَرَابَةُ إِلَّا وَصْفًا طَارِئًا فِيهِ ، يَزُولُ بِالْإِطْلَاعِ عَلَى

(١) لَا يَقْطُرُ مِنْهَا لَبَنٌ .

(٢) يَعْنِي مَوَاشِي كَثِيرٌ عِنْدَ مَا يُرْسَلُ مِنْهَا إِلَى الرَّعْيِ ، لَكِنَّمَا قَلِيلُهُ اللَّبَنُ .

(٣) مَوْقَعَةٌ فِي الْأَزْلِ وَهُوَ الضَّرِيقُ (٤) لَلنَّهْلِ : أَوَّلُ الشَّرْبِ ، وَالْعَالُ ثَانِي الشَّرْبِ .

(٤) الْمَحْضُ : اللَّبَنُ الْخَالِصُ (٥) الْمَذْقُ : اللَّبَنُ الْمَخْلُوطُ بِالْمَاءِ . وَالْفَرْقُ مِثَالُ اللَّبَنِ .

(٦) الْحَتْبُ (٧) الْمَاءُ الْقَلِيلُ ، أَيْ أَفْجَرُهُ لِمَنْ حَتَّى يَصِيرَ كَثِيرًا . (٨) مَا كَانُوا

اسْتَوْدَعُوهُ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي شُرَكَائِهِمْ . (٩) مَا يُوَضَّعُ عَلَيْهِمْ مِنَ الزَّكَاةِ لَا يَزَادُ عَلَيْهَا .

(١٠) لَا يَمْنَعُ حَقًّا . (١١) الْمَثَلُ السَّائِرُ ص ٦٤ .

معناه ، وقد جاء القرآن بالفاظ غريبة في معناه فاستكثرتها قريش وقد نزل بلغتها فلم يؤثر هذا في فصاحته مثل لفظ الرحمن (١) في استعماله ارباً لله تعالى ، ولفظ دكبارا (٢) ، في سورة نوح ، ولفظ « قسورة » (٣) ، في سورة المدثر .

#### الفراية لبعء التخريج :

والثاني : ألا تخرج الحكمة إلا على وجه بعيد ، وهذا إنما يكون اذا وقعت من عربى محتج بلغته ، فلا يصح حملها على الخطأ ، بل تخرج على وجه من الوجوه ، كما في قول العجاج :

« ولاحاً وممرسناً ممرسجاً » (٤)

إن قوله « ممرسجاً » اسم مفعول من سرج بتشديد الراء ، وهذه الصيغة قد تأتي للنسبة مثل كرمت فلاناً بمعنى نسبته إلى الكرم ، ولكن ذلك يكون بمعنى نسبة الشيء إلى أصله كالكرم ونحوه ، ولا شك أن مثل هذا لا يمكن في سرج وما أخذ منه ، وقد تكلفوا له أصلاً ينسب إليه ، وقالوا إنه يدل على النسبة إلى السراج أو السيف الشرمجى ، على معنى أنه في البريق كالسراج ، أو في الباقة والامتواء كالسيف ، ووجه البعد في هذا التخريج أن هذه الصيغة تدل على نسبة الشيء إلى أصله كما سبق ، ولا تدل على ذلك التشبيه ، وقد قيل إن هذا صيغة تشبيه لا صيغة نسبة مثل كرم ونحوه ، فيكون من قبيل التشبيه المحذوف الأداة مثل التشبيه في هذا البيت :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجسٍ ومدةً تـ  
ورداً وعصفت على العنكب بالبرد

وقد جاء لذلك نظائر في اللغة مثل مدة نر من الدينار ، مذنب من الذهب

---

(١) وقد قال الله تعالى في ذلك ﴿ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا ؟ وزادهم نفورا ﴾ سورة الفرقان : الآية ٦٠ ولم يكن هذا الاسم مستعملاً في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم .

(٢) قيل إنها لغة يمانية ( سورة نوح آية ٢٢ ) .

(٣) قيل إنها الاسد بالحشية ( سورة المدثر آية ٥١ ) .

(٤) الفاحم : الشعر الشديد السواد ، والمرس : الأنف .



وممُسَّك من المسك ، وممُفْلَل من الفلفل ، ومن ذلك قول يزيد بن المُرَغ :

وَبُرُودٌ مُمْدَنَّتَاتٌ وَقَوٌّ      وَمُلَاءٌ مِنْ أَهْلِ السَّكَنَانِ

والمعنى في هذا على التشبيه أيضاً ، أى برود وشبهها كالأنانير .

غرابية التخريج من مخالفة القياس :

على أن الذى أراه أن الحل على الخطأ في ذلك أولى من تكاف تخريج له ، ولا فرق عندى فيه بين عربى ومولد ، وأن مثل هذا يليق به أن يعدّ في مخالفة القياس الآتية ، وإذن لا يبق في الغرابية شيء يصح أن يعدّ فيما يحل بمصاحبة الكلمة ، ومن الناس من يعدّ استعمال المشترك في أحد معنياه بدون قرينة من القسم الثانى من الغرابية .

مخالفة القياس :

ومخالفة القياس ألا تكون الكلمة جارية على العرف العربى الصحيح ، ويدخل في هذا كل ما ينكره أهل اللغة ، ويردّه علماء العربية ، وقد يكون ذلك لأجل أن اللفظة غير عربية كما أنكروا على أبى الشيبى قوله :

وجناح مقصوص تحيِّف ريشه      ريب الزمان تحيِّف المقرض

لأن المقرض لم يستمع إلا مثنى ، وقد أجاز سيديويه إفراده .

وقد يكون ذلك لاستعمال الكلمة في غير ما وضعت له في عرف اللغة ، كما قال أبو عباد :

يشقُّ عليه الريحُ كلَّ عشيةٍ      جيوب الغمام بين بكرٍ وأيم

فوضع الأيم ، مكان الثيب ، ، وليس الأمر كذلك ، لأن الأيم التى لا زوج لها ، بكرٌ كانت أو ثيباً .

وقد يكون ذلك لشذوذ في الكلمة ، كشذوذ الحذف في قول النجاشى :

فلستُ بآتية ولا أسستطيعه      ولاك اسقنى إن كان ماؤك ذا فضل

أراد : ولكن اسقنى .

كشذوذ الزيادة في قول الشاعر :

تنفى يداها الحصا في كل هاجرة      تنفى الدراهم تشقّاد الصيادين

يريد الدراهم والصيارف .

وكذلك الإدغام في قول أبي النجم :

الحمد لله العليّ الأجلّ الوهاب الفضل الوهوب المجزل  
والقياس الصرفي «الأجلّ» ، إلى غير ذلك من اللغات الشاذة التي هجر  
استعمالها، وقد جاء في القرآن الكريم بعض منها ذكره السيوطي في كتابه «الإتقان»  
لأنه لم يكن في لغة قريش لفظ بمعناها ، أو غير ذلك مما دعا إلى ذكرها فيه . وقد  
تبيح ضرورة الشعر بعض هذا الشذوذ ، كما تبيح قصر الجمع الممدود ، ومدّ الجمع  
المقصور ، وبعض علماء اللغة لا يغتفر للشاعر شيئاً من ذلك ، ولا يفرق فيه بين  
شعر ونثر ، وأهل هذا هو الذي يجب أن يعمل به .

وقد ترك الخطيب أمراً هذه ابن سنان الخفاجي (١) وابن الأثير فيما يخل  
بفصاحة السكامة ، وهو أن تكون السكامة مبتدلة ، وذلك على ضربين : أولهما :  
أن يكون اللفظ دالا على معنى في أصل اللغة فتجمله العامة دالا على معنى آخر  
يكروه ذكره أو لا يكروه ، كقول أبي الطيب :

أذاق الغواني محسنة ما أذقني وعفّ فجاراهنّ عني بالصّرم

فإن الصرم في اللغة القطع ، فغيرته العامة وجعلته دالا على المحل المخصوص  
من الحيوان دون غيره ، فأبدلوا السين صاداً ، ومثل هذا لا يعاب البدوى على  
استعماله كما يعاب المتحضر ، لأن الألفاظ لم تغير عن أصل معناها في زمن البدوى  
ولم تتصرف فيها العامة هذا التصرف ، ولهذا لا يعاب ذلك اللفظ على أبي صخر  
لهذا في قوله :

قد كان صرم في الممات لنا فمجلت قبل الموت بالصّرم

وثانيهما أن يكون للمعنى الواحد كلمتان عربيتان فكثر إحداهما في السنة  
العامة ويتحاشاها الخاصة ، فيتبع ما استعمله العامة لا بتذاله ، مثل لفظ الشطار ،  
في قول أبي نواس :

---

(١) سر الفصاحة ص ٦٩ والمثل السائر ص ٦٩ أيضاً .

وَمُلْحَةٌ بِالْعَتْدَلِ تُحَسَّبُ أَنِّي بِالْجَهْلِ أَتْرَكَ صَحْبَةَ الشُّطَارِ  
ولا يكاد يخلو من ذلك شعر شاعر ، لكن منهم المقل " ومنهم المكثّر ، حتى إن  
العاربة قد استعملته في أشعارها وإن كان فيها أقل . ومن ذلك لفظ « آجر » في  
قول النابغة الذبياني :

أَوْ مَذْمِيَّةٍ فِي سَمَرٍ مَرِ مَرْفُوعَةٍ مُبْلِيَّةٍ بِأَمْجَرٍ يَشَادِرُ مَرْمَدٍ  
وكلفظ « القمل » في قول زهير بن أبي سُلي :

وَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنْسَازِلِ مِنْ رَمِي  
وما « سَحِيفَتِ » (١) فيه المقتاديرُ والقسمُ

لا قبح في ابتزال الكلمة :

وإني أرى أن أمر العامة أهون من أن يحدث مثل هذا الأثر في ألفاظ اللغة ،  
فلا شيء عندي في استعمال هذه الألفاظ بقسميها ، ولكل من ألفاظ الخاصة وألفاظ  
العامة مقامات تقتضيها ، ولعل هذا هو السبب في إهمال الخطيب عد ذلك فيما يخل  
بفصاحة السكامة .

فلا يخل عندنا بفصاحة الكلمة إلا شيان : تنافر الحروف ، ومخالفة القياس .  
وأما الغرابة والابتذال فلا يخلان بفصاحتها عندنا .

الكراهة في السمع :

وقد ذكر ابن سنان الخفاجي (٢) فيما يخل بفصاحة السكامة أن تكون مكروهة  
في السمع مثل كلمة الجرشي في قول أبي الطيب :

مَوَارِكُ الْأَسْمِ أَعْرُ الْقَبْ كَرِيمُ الْجَرَشِيِّ (٣) شَرِيفُ السَّبْ

ومثل كلمة « حَقْلَد » في قول زهير بن أبي مُسلم :

تَقَى نَقِيٌّ لَمْ يُكْثَرْ فَنِيمةً بِنَهْكَةٍ (٤) ذِي قَرْبِي وَلَا يَحْتَقِدُ

(١) خلقت .

(٢) سر الفصاحة ص ٦١ و ٦٢ . (٣) النفس

(٤) النهكة : الغلبة ، والحقلد : السوء الخلق .

وقد ردت الخطيب ذلك بأن الكراهة في السمع لا تكون إلا من تنافر حروف  
الكلمة أو وحشيتها ، فليست شيئاً آخر غير التنافر والغرابة .

\* \* \*

الفصاحة في الكلام :

والفصاحة في الكلام عند الخطيب خلوصه من ثلاثة أشياء : ضعف التأليف ،  
وتنافر الكلمات ، والتمقيد ، فإذا خلا الكلام من هذه الثلاثة كان فصيحاً ، ولكن  
لا بد فيه مع ذلك من فصاحة كلماته التي يتألف منها ، بخلوها هي أيضاً مما يخل  
بفصاحتها ، فإذا لم تخل مما يخل بفصاحتها لم يكن هو أيضاً فصيحاً ، مثل قول  
أمرئ القيس :

غدا تره ممسكة شـ زرات<sup>١</sup> إلى العلا    أفضل التعداد رسي في ممسكة شـ ومـرسل  
فهو كلام غير فصيح ، وإن لم يكن فيه ضعف تأليف ، ولاتنافر كلمات ولا تمقيد .

ضعف التأليف :

وضعف التأليف أن لا يكون الكلام جارياً على القانون النحوي المشهور ، بأن  
يكون هناك قولان فيجرى على الضعيف فيهما ، كعود الضمير على متأخر لفظاً  
ورتبةً في قول حسان بن ثابت :

ولو أن مجدأ أخلك الدهر واحداً

من الناس أبقى سمكته الدهر مطعماً (١)

وقد أجاز ابن مالك ذلك قياساً على إجازتهم له في باب نعم وبتن وضمير الشأن  
وغيرهما ، ومن ذلك وصل الضمير بإلا في قول الشاعر :

ليس إلاك يا هلي<sup>٢</sup> مهام<sup>٣</sup> سيفه<sup>٤</sup> دون هر<sup>٥</sup> ضد<sup>٦</sup> مسلول<sup>٧</sup>

ومنه نصب المضارع مع حذف<sup>٨</sup> أن ، في قول طرفة بن العبد :

ألا أيها الزاجري أمطس<sup>٩</sup> الوضي<sup>١٠</sup>    وأن أشهد اللذات<sup>١١</sup> هل أنت مخذلي<sup>١٢</sup>

ضعف التأليف لا يخل بالفصاحة :

وقد يكون تشديد الخطيب إلى هذا الحد في أمر الإعراب واشتراطه في فصاحة  
الكلام أن يجرى على قانون النحو المشهور نتيجة تساهل قوم قبله في أمر الإعراب ،

---

(١) هو مطعم بن عدي أحد رؤساء المشركين وكان يذب عن النبي ﷺ .

ومفهوم أن لا يكون إعراب الكلام شرطاً في فصاحته ، وقد حنى ابن سنان النخاجي (١) بالرد عليهم ، ولكنه لم يشدد في مراعاة الإعراب هذا التشديد الذي سلكه الخطيب ، ولعل التوسط في ذلك خير من التشديد فيه ، فلا تكون مراعاة مذهب الجمهور شرطاً في فصاحة الكلام ، بل يكفي مراعاة ما يجوز في ذلك وإن لم يكن هو المذهب المشهور ، وقد جاء في القرآن الكريم قراءات كثيرة على غير مذهب جمهور النحاة ، قوله تعالى ( قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ) (٢) فقد جرى في بعض القراءات على لغة من يجرى المثني بالآلف في أحواله الثلاث ، وهي لغة مشهورة لكنانة ، وقيل لبنى الحارث .

لا قبح الا فيما يجيزه النحو أصلاً :

فشل هذا لذن لا يصح أن يؤثر في فصاحة الكلام ، إنما يجب أن يقصر ذلك على ما لا يجيزه النحو أصلاً ، كحذف الإعراب في قول امرئ القيس :  
 فاليومُ أشربُ غيرَ مستحقبٍ لثما من الله ولا وارغل (٣)  
 وكنحر يك ياء المنقوص المجرور في قول الشاعر :  
 ما إن رأيتُ ولا أرى في مدنتي كجوارى يلعين في الصحراء

الحاق عيوب القافية بذلك :

وقد يلحق بذلك عيوب القافية كالأقواء في قول النابغة الذبياني :  
 سقط النصفُ ولم ترد استقامته فتعارفته واتقنا باليد  
 بمخضيب رخص كأن بنا زهـ عظم يكاد من اللطافة يمتد (٤)

تنافر الكلمات :

وتنافر الكلمات ينشأ من أمور منها تكرار حرف أو حرفين في الكلام كالبيت الذي أنشده الجاحظ :

- 
- (١) سر الفصاحة ص ١٠٠ و ١٠١ . وعن يرى هذا ابن خلدون في مقدمة تاريخه ص ٦٥٠ ، المطبعة الشرقية .  
 (٢) سورة طه : الآية ٦٣ .  
 (٣) المستحقب : المكتسب ، والوارغل : الذي يدخل على قوم يشربون بدون دعوة منهم : يريد أنه تدخل من يمينه بقتل قاتل أبيه .  
 (٤) النصف : كل ما غطي الرأس من خمار ونحوه ، والرخص : الناعم .

وَقَبْرُهُ حَرْبٌ بِمَكَانٍ قَفَرٍ (١) وَلَيْسَ قَرِبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ  
ومنها إيراد أفعال يتبع بعضها بعضاً بدون عطف ، أو معه مثل قول المتنبي :  
أَقْلُ أَرْلُ أَقْطِيعُ أَحْلُ تَحْلُ سَلُّ أَعْدُ  
زِدْ مَشْشَ بَشْشَ تَفَضَّلْ أَدْنِ مَسْرَ حِيلِ  
ومثل قول ديك الجن :

أَحْلُ وَامْرُؤُ وَضُرٌّ وَانْفَتَحَ وَلِنْ وَاخْذُ  
شُشْنُ وَرِشْ (٢) وَابْرٍ وَانْتَدَبَ لِلْعَالِ  
ومنها إيراد صفات متعددة على طريق واحدة كقول المتنبي :

دَانٌ بَعِيدٌ مُحِبٌّ مَبْغُضٌ مَبْجُوعٌ أَغْرٌ مُحَلِّقٌ مُمَرَّةٌ لَسِيَّةٌ شَرِيسٌ  
ومنها تكرار الأدوات وتعاقب بعضها إثر بعض كقول أبي تمام :  
كَأَنَّهُ فِي اجْتِمَاعِ الرُّوحِ فِيهِ لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْ جَسَمِهِ رُوحٌ  
ومنها تتابع الإضافات كما في قول ابن بابك :

حَمَامَةٌ جَبْرُوعًا حَوْمَةُ الْجَنْدَلِ اسْتَجْمَعِي فَأَنْتِ بِرَأْيِ مَنْ مَسْعَادٍ وَتَسْمَعِ  
والحق أن ثقل هذه الإضافات لأن الجرعاء المسكان ذو الرمل ، وحومة الشيء  
مهظمه ، والجندل الحجارة ، ولا معنى لتكلم إضافة الحامة إلى ذلك كله . وقد جاء  
تتابع الإضافات سهلاً لا تكلف فيه في قوله تعالى ﴿ مَثَلُ دَابَّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ  
وَيَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلُمًا لِلْعِبَادِ ﴾ (٣) . وفي قول ابن المعتز :  
وظلمت تدبر الراح أبدي جاذر عتاق دنائير الوجوه ملأج (٤)

وقد جاء أيضاً تتابع الصفات سهلاً مقبولا في قوله تعالى : ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ  
طَلَقَكَ أَنْ يَبْدُلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مَسْلُومَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ

(١) قيل هذا البيت في حرب بن أمية . وقفر : بالجر على الصفة أو بالرفع على التقطع

(٢) رش : أمر من راش بمعنى أعان . (٥) سورة غافر ، الآية ٣١

(٣) الراح : الخمر ، والجاذر جمع جؤذر ولد البقرة الوحشية ، والعتاق :

السكرام جمع عتيق .

ساعات ثنيات وأبكرا (١) كما جاءت كثرة التكرار غمد مخلة بالصراحة في قول النبي ﷺ : «الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» .

فلو اوجب أن يرجع في تناثر الكلمات إلى الذوق الصحيح ، وأن يعول عليه في ذلك كما عول عليه في تناثر الحروف ، وقد سبق أنه لا يُرجع في إدراكه إلى ضابط معروف ، أو قاعدة مطردة ، كما أنه يجب ألاّ يعتد من ذلك ما لا يتناهى في الثقل ، مثل اجتماع الحاء والهاء مع التكرار في قول أبي تمام :

كريمٌ متى أمدحهُ أمدحهُ والورسُ سمعى وإذا ما لمنشهُ لمنشهُ وحدي  
فإن مثل هذا الثقل أمر محتمل ، ولا يمكن أن تدور لغة من اللغات على السهولة وحدها .

#### التعقيد

والتعقيد ألاّ يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد منه لخلل في تأليفه أو في دلالاته ، والاول يسمى تعقيدا لفظيا ، والثاني يسمى تعقيدا معنويا ، ومن الواضح أن ذلك لا يتناول الجمال والمتشابه الواقعين في كلام الله تعالى ، لأن عدم ظهورهما ليس لخلل في تأليفهما أو في دلالاتهما على نحو ما يأتي في التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي .

#### الخلاف في الالفاظ

وأما الالفاظ مثل قول الحريري في البرذون :  
وما ناكح أخيتين (٢) سراً وجمرة وليس عليه في النكاح سبيل  
ومثل قول الآخر في الضرس :  
وصاحب لا أمل الدهر صحبته يسمى لفعلى ويسمى معنوى مجتهد  
ما إن رأيت له شخصاً فند وقمت عيني عليه افترقنا فرقة الأبد  
فقد ذهب بعض علماء البلاغة إلى أنها من التعقيد لخلل بصراحة الكلام ، ومنهم من يعدّها من الحسنات البديعية ، ولا شك أنها بأسلوب المؤلفين أشبه منها بأسلوب الأدباء .

(٢) يعنى بالأختين العينين .

(١) سورة التحريم الآية ٥

### التعقيد اللفظي :

والتعقيد اللفظي أن ترتب الألفاظ على خلاف ترتيب المعاني ، فيختل بذلك نظم الكلام ، ويصعب فهم المراد منه ، كما في قول الشاعر :

فأصبحت بعد خط بهجتها كأن قفراً مُسوّماً قلباً  
يريد فأصبحت بعد بهجتها قفراً ، كأن قلباً خط رسوماً .

ومن ذلك قول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مُسَلَكاً أبوامه سمي أبوه يقاربته

يريد وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا مملوكاً أبوامه أبوه ، وقد مدح بهذا إبراهيم بن هشام المخزومي حال هشام بن عبد الملك ، وهو الذي عناه بقوله د مملوكاً ، ويعوز أن يكون نظم الكلام : د وما مثله في الناس حتى إلا مملوكاً يقاربه أبوامه أبوه ، فيكون المراد قرب النسب لا أنه يدانيه فيما مدح به ، والاولى أن يحمل هذا على الاستثناء المنقطع ، مثل قوله تعالى ( لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ) لأن شأن هشام أعلى من أن يلحقه من ذلك ما نفي عن غيره ، لأنه كان مملوكاً عظيماً ، ولم يكن إبراهيم إلا عاملاً له .

ومن ذلك أيضاً قول الفرزدق في الوليد بن عبد الملك :

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره  
يريد إلى ملك أبوه ما أمه من محارب ، وهي قبيلة من قبائل العرب .

### التعقيد المعنوي :

والتعقيد المعنوي ألا يكون الكلام ظاهراً للدلالة على المعنى المراد منه ، ويكون هذا بأن يراد باللفظ غير ما موضح له من غير اعتماد على علاقة قريبة وقرينة واضحة كما قال الخليلي :

ومن يطلب مساعي آل لاي مصعده الأمور إلى علاها

يريد أنه يلقي صعوبة كما يلقي الصاعقة من أسفل إلى علو ، فلم يعبر عنه تعجيراً  
مبيناً ، وكما قال زهير بن أبي سلمى :



ومن لم يَسُدُّ عن حوضه بسلاحه يهزم ومن لا يظلم الناس يظلم  
 أراد بقوله ومن لا يظلم الناس ، من لا يدفع الأذى عن نفسه ، فاستعمل  
 الظلم في دفع الأذى ، وإنما هو تسليط الأذى على الناس ، وقد أراد منه ذلك  
 بدون علاقة وقوية يصح معها إرادة ذلك منه ، ولولا أن ذهياً لا يليق به أن  
 يحض على الظلم لكان كلامه في هذا مثل قول عنزة العباسي :

وإذا بليت بظالم كن ظالماً وإذا بليت بذى الجمالة فاجتعل  
 ويجوز أن يكون ذلك من المشاكاة مثل قوله تعالى : ( وجزاء سيئة سيئة  
 مثلها ) (١) فلا يكون من التعقيد المعنوي .

ومن ذلك أيضاً قول أوس بن حجر :

وذا ت هدم عاد نواشرها تصبعت بالماء تولباً جدعاً  
 سمي الصبي تولباً وهو ولد الحمار ، فهي استعارة بعيدة فاحشة ،  
 وكذا قول الشاعر :

ظعنوا فكان بكاءً حولاً بدم ثم ارعويت وذاك حكماً لبيد  
 أجند بجمرة لوعة إطفائها بالدمع أن تزداد طولاً وقود  
 جعل السكف من البكاء كناية عن إطفاء غليله بدليل البيت بعده ، والمعروف  
 أن البكاء هو الذي يطفى الغليل لا السكف عنه كما قال امرؤ القيس :

ولن شفاى عبيرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول  
 ويجوز أن يكون مراده حقيقة السكف عن البكاء ، لا الكناية عن إطفاء الغليل  
 فلا يكون فيه هذا التعقيد .

وقد ذكروا من ذلك أيضاً قول العباس بن الأحنف :

ما طلب لبنة الدار عكم لتقربوا وتسكب عينناى الدموع لتجهدا  
 جعل جود العين كناية عن الضرر ، وإنما يكنى به عن بخلها بالدموع في حال  
 إرادة البكاء ، كما قال أبو عطاء في رثاء ابن هبيرة :

(١) منورة الشورى آية ٥٠

إلا إن عينا لم نجد يوم واسطٍ عليك بجارى دمعا اجتمود<sup>١</sup>  
وقد قال بهاء الدين السبكي<sup>(١)</sup>: إنه يجوز أن يراد في البيت الأول حقيقة الجود ،  
وعلى هذا لا يكون فيه تعقيد ، وقد جاء في القاموس أنه يقال عين جمود ورجل جامد  
العين بمعنى أنها جامدة لا تدمع ، ولم يقيد ذلك بحال إرادة البكاء .

#### ابتزال الكلام :

وقد ترك الخطيب ما بعد فيما يخل بفصاحة الكلام ابتذاله وسخافته الفاظه  
وفنورها ، مثل قول بشار :

ربابة ربة البيت تمسُّ الخل في الزيت  
لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت

ومثل قول أبي العتاهية في رثاء سعيد بن وهب :

مات والله سعيد بن وهب      رحم الله سعيد بن وهب  
يا أبا عثمان أبكيت عيني      يا أبا عثمان أوجعت قلبي

#### الابتزال لا يخل بالفصاحة :

وشأن هذا عدى شأن ابتزال الكلمة في فصاحة المفرد ، ولعل الخطيب أهمله  
لهذا ، وقد قيل لبشار في ذلك : يا أبا معاذ ، إنك لتجىء بالامر المهمج ! قال :  
وما ذاك ؟ قيل : إنك تقول :

إذا ما غضبنا غضبة مظسرية      هتكنا حجاب الشمس أو مطرت دما  
إذا ما أهرنا سيداً من قبيلة      ذرعى منبر صسلتى علينا وسلمنا  
ثم تقول :

وربابة ربة البيت ، . . . (البيتين)

فقال : كل شيء في موضعه ، وربابة هذه جارية لي ، وأنا لا آكل البيض من  
السوق ، وربابة هذه لها عشر دجاجات وديك ، فهي تجمع على هذا البيض  
وتحضره لي ، فكان هذا من قول لها أحب إليها وأحسن عندها من :

(١) عروس الأفراح ص ١١٢ ج ١ من شروح الدانخيص .

دَقَقْنَا نَبَشَكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَثَرِلٍ ،

فَالَا يَبْتَذَلُ إِنَّمَا يَعْدُ عَيْباً فِي الْكَلَامِ إِذَا وُضِعَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، كَمَا فَعَلَ  
أَبُو الْمُنَاهِيَةِ فِي رِثَائِهِ ، وَهَذَا عَيْبٌ لَا شَأْنَ لَهُ بِالْفَصَاحَةِ ، وَإِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى الْبَلَاغَةِ  
عَلَى مَا سَيَأْتِي فِيهَا ، وَمِنْ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُطْلَبُ فِيهَا اسْتِعْمَالُ الْمُبْتَذَلِ : الْهَزْلُ وَالْمُشَاتِمَةُ  
وَالْحِكَايَةُ وَمَا لَهَا .



### البلاغة في الكلام

والبلاغة في الكلام مطابقة لمقتضى الحال بشرط فصاحته ، فلا بد عند الخطيب  
في الكلام البليغ من أن يكون فصيحاً ، والحال هو الأمر الذي يقتضى أن يؤتى  
بالكلام على صفة مخصوصة مناسبة له ، من ذكر أو حذف أو تقديم أو تأخير أو  
غير ذلك ، ويسمى الحال : المقام أيضاً ، وتسمى تلك الصفات : خصائص ومزايا  
ونسكات ، وقد قال الخطيب إن تطبیق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه  
الشيخ عبد القاهر بالنظم ، وهو عنده عبارة عن تأخى معاني للنحو فيما بين الكلام  
على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام .

### تفاوت مقامات الكلام :

ومقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الإطلاق  
يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام  
الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافة ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ،  
ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة ، وخطاب الذكي يباين خطاب الغبي ؛  
وهكذا مما سيأتى تفصيله .

وكما تتفاوت مقامات الكلام في ذلك تتفاوت مقامات الكلمة الواحدة ؛ حتى  
تروى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تنقل عليك وتوحشك  
في موضع آخر ، كلفظة الأخذع في قول الصَّحْمَةِ بن عبد الله :

تَكَلَّمْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُ نُسْنِي وَجَعَلْتُ مِنْ الْإِصْفَاءِ (١) رَيْتاً وَأَخَذْتُ

(١) الليث : صفحة المنق ، والأخذع عرق فيها ، ومما عرقان يقال لهما أخذعان ،

وفي قول أبي تمام :

يا دهرُ قَسَوْتُ مِنْ أَخْذِ عَيْكَ فَقَدْ أَضْجَعْتَ هَذَا الْأَنَامُ مِنْ مُخْرِقِكَ  
فإن لها في المكان الأول ما لا ينقضي من الحسن ، كما أن لها في المكان الثاني  
ما لا ينقضي من الثقل على النفس ؛ ومن ذلك لفظة شيء في قول عمر بن أبي ربيعة :  
وَمِنْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَيَرِي إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجُرَّةِ الْبَيْضِ كَالدُّمَى (١)  
وفي قول أبي حية :

إذا ما تقاضى المرء يومٌ وليلة تقاضاه شيءٌ لا يميل التقاضيا  
فإن لها في ذلك كثيراً من الحسن والقبول ، ولكنها في قول المتنبي :  
لو الفلكُ الدُّوَارُ ابْغَضْتُ سَعِيهِ لَمَوْقِفُهُ شَيْئاً عَنِ الدُّوَرَانِ  
ثقلٌ وقصُول ولا يوجد فيها شيء من الحسن والقبول .

ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظين تدلان على معنى واحد ، وكلاهما حسن  
في الاستعمال ، ولكنه لا يحسن استعمال أحدهما في كل موضع تستعمل فيه الأخرى  
ومن ذلك قوله تعالى ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ (٢) وقوله تعالى :  
﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ (٣) فاستعمل الجوف في الأولى والبطن  
في الثانية ، ولم يستعمل الجوف موضع البطن ، ولا البطن موضع الجوف .  
وقد روي أن رجلاً أنشد ابن هرمة قوله :

بِاللَّهِ رَبِّكَ إِنْ دَخَلْتَ فَقُلْ لَهَا هَذَا ابْنُ هَرْمَةَ قَائِمًا بِالْبَابِ  
فقال له : ما هكذا قلت ، أكنت أصدق ؟ قال : فقاعد ، قال : أكنت أبول ؟  
قال : فماذا ؟ قال : واقفاً ، ليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى .

منزلة المحسنات البديعية في البلاغة :

وقد جرى الخطيب على أن المحسنات البديعية من المعجم والجناس ونحوهما  
لا ترجع إلى البلاغة ولا إلى الفصاحة ، وإنما تورث الكلام محسناً وقبولاً ،

---

(١) جمع ذهية وهي الصورة الحسنة .

(٢) سورة الأعراب ، الآية ٤ (٣) سورة آل عمران ، الآية ٣٥

ولا يتوقف عليها أمر بلاغته أو فصاحته ، ومن العلماء قبله من كان لا يفرق بينها وبين غيرها من وجوه البلاغة والفصاحة ، ومنهم من كان يجهلها من طرق الفصاحة ويجعل غيرها مما يتعلق بنظم الكلام أو دلالاته من طرق البلاغة ، والحق ما جرى عليه الخطيب فيها ، لأن غيرها من وجوه البلاغة والفصاحة مما يجب التزامه في الكلام عند اقتضاء الحال له ، أما هي فإيما تحسن في الكلام إذا جاءت عفواً الحاطرة ، وعند سماعه القريحة بها ، فأما أن يلزمها الإنسان في جميع قوله فذلك جهل من فاعله ، وسعى من قائله ، وسيأتي بيان ذلك فيها .

#### تكلف الاستعارات ونحوها كتكلف المحسنات :

وقد يلحق عندى بالمحسنات البديعية في ذلك مثل التشبيه والاستعارة وغيرها من وجوه البلاغة التي لا تبني على اقتضاء الحال ، ولا تأتي لأمر يستدعيها في الكلام ، فيجب الاقتصاد فيها أيضاً ، وألا تتكلف فيه تكلفاً ، وإلا كان شأنها في ذلك شأن المحسنات البديعية .

#### مراتب البلاغة :

هذا وللبلاغة طوكان : أعلى وهو الذي يبلغ رتبة الإعجاز ، وذلك هو كتاب الله تعالى ، وأسفل وهو الذي إذا غير الكلام عنه إلى ما دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات ، وإن كان صحيح الإحراب ، وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة وقد أنكر فخر الدين الرازي<sup>(١)</sup> أن يكون الطرف الأسفل من البلاغة ، لأن منزلتها عنده أهل منه ؛ ويجب على هذا ألا يسكتفي في تعريفها بما سبق .

---

(١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ص ١١ د مطبعة الآداب والمؤيد ،

# اللفظ والمعنى

## رجوع البلاغة الى اللفظ والمعنى :

قد ذكرنا خلاف العلماء في رجوع الفصاحة والبلاغة إلى اللفظ أو المعنى ، والحق أنهما يرجعان إلى اللفظ والمعنى معاً ، وقد قال ابن رشيق (١) : «اللفظ جسم ، وروح المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنةً عليه ، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ ، فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه ، وإن كان حسن الطلاوة في السمع ، وإن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى » .

## من يؤثر اللفظ على المعنى :

ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب ، منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غاية ووكده ، وهم فرق : قوم يذهبون إلى تخامة الكلام وجزأته على مذهب العرب من غير تصنع ، كقول بشار :

إذا ما غضبنا غضبةً مهتريّةً      هتكنّا حجاب الشمس أو قطرت دماً  
إذا ما أصرنا سيّداً من قبيلةٍ      مُدركى منبر صلتى علينا وسائماً  
وهذا النوع أدل دلي القوة وأشبه بما وقع فيه من مواضع الاختار ؛ وكذلك ما ممدح به الملوك يجب أن يكون من هذا النوع ، وفرقة أصحاب جلابة وعمق بلا طائل معنى إلا القليل النادر ، كأبي القاسم بن هانيء ، فإنه يقول أول مذهبه :

أصاحت فقالت وقنع أجرد شينظم

وشامت فقالت لشمع أبيض غندم

---

(١) العمدة ص ٨٠ ج ١ « مطبعة هندية » .

وما ذرعت إلا ليجرس محليتها

ولا رمت إلا برسى في مخدّم (١)

وليس تحت هذا كله إلا الفساد وخلاف المراد ، ما الذى يفيدنا أن تكون هذه المنسوب بها لبست حلها فترومته بمد الإصاغة والرقم وقع فرس أو لمع سيف غير أنها مغزوة فى دارها أو جاهلة بما حملته من زينتها ؟ ولم يخفى عنا مراده أنها كانت تترقبه ؟ فما هذا كله ؟ . ومنهم من ذهب إلى سهولة اللفظ فعنى بها ، واغتر له فيها الركافة واللين المفرط ، كأبي العتاهية والعماس بن الاحنف ومن تابعهما ، وهم يرون للغاية قول أبي العتاهية :

يا لخصوتى إن الهوسى قالى	فسيروا الأكفان من عاجل
ولا تلوموا فى اتباع الهوسى	فإننى فى مشغل شغل
عينى على عتبة مشهولة	بدمعها المنسكب السائل
يا من رأى قبل قتيلا بكى	من شدة الوجد على القاتل
بسطت كفى نحوكم سائلا	ماذا تردون على السائل
إن لم تنسبكوه فقولوا له	قولا جميلا بتدلى النائل
أو كنتم العام على مسرة	منه فمشره إلى قابل

من يؤثّر المعنى على اللفظ :

ومنهم من يؤثّر المعنى على اللفظ فيطالب معناه ، ولا يبالي حيث وقع من هجئة اللفظ وقبحه وخشونته ، كابن الرومى وأبي العايب ومن شاكلهما ، وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى ، لأن المعانى موجودة في طباع الناس ، يستوى الجاهل فيها والهاذك ، وإنما العمل على جودة اللفظ ، وحسن السبك ، وصحة التأليف ، ولو أن رجلا أراد فى المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه فى الجود بالغيث ، وفى الإقدام بالأسد ، وفى القضاء بالسيف ، فإن لم يحسن تركيب هذه المعانى فى أحسن حلاها ، من اللفظ الجيد الجامع للركة والجزالة ، والمندوبة والطلاوة ، لم يكن للمعنى قدر . وعندى أن فى دعوى أن المعانى موجودة فى طباع الناس بحيث يستوى فيها الجاهل والهاذك مغالاة ظاهرة .

(١) الأجرد : الفرس القصير الشعر ، والشيطم : الطويل الجسم ، والمخدّم :

القاطع ، والبرى : جمع برة وهى الخناخال ، والمخدّم : موضعه من الرجل .

## المعاني المحدثة

الاستشهاد بمعاني المولدين :

ذكر ابن رشيقي أن أبا الفتح عثمان بن جني قال (١) : المولدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدمات في الألفاظ ، ثم قال : والذي ذكره أبو الفتح صحيح بئس ، لأن المعاني إنما اتسعت لاتساع الناس في الدنيا ، وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض ، فصبروا الأمصار ، وتأنقوا في المطاعم والملابس ، وعرفوا بالعيان عاقبة ما دلهم عليه بداهة العقول من فضل التشبيه وغيره . ومن هنا يحكي عن ابن الرومي أن لا تماً لآمه ، فقال : لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ قال : أنشدني شيئاً من قوله الذي استعجزتني في مثله . فأنشده في صفة الحلال :

فأنظر إليه كزورقٍ من فضة قد أثقلت من محولة من عنبر  
فقال : زدني . فأنشده :

كأن آذريونها والشمس فيها كاليه  
مداهن من ذهب فيها بقايا غالية (٢)

فصاح : واغوثاه بالله ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، ذلك إنما يصف ما عون بيته لأنه ابن الخلفاء ، وأنا أي شيء أصف ؟ ولكن انظروا إذا وصفتم ما أعرف أين يقع الناس كلهم مني ، هل قال أحد قط أملح من قولي في قوس الغمام :

وقد نشرت أيدى السحاب مطاراً على الأرض دكناً وهي خضراء على الأرض

(١) العمدة ص ١٨٣ ج ٢

(٢) الآذريون ورد له أوراق حمراء في وسطه سواد له نبر وارتفاع وقد يكون أصفر ، وعليه اقتصر صاحب القاموس . وكالية اسم فاعل من كالا ومعنى كالاها للشمس أنها تدور معها حيث دارت . والمداهن : جمع مدهن وهو حق الدهن . والغالية أخلاط من الطيب .



يطرّزها قوسُ الغمام بأصفرِ      على أحمرِ في أخضرِ وسنط أبيضِ  
كأذيالِ خوذِ أقباطٍ في غلائلِ      مصبغةٍ والبهمنُ أقصرُ من بعضِ

موازنة بين القدماء والمحدثين :

وللمحدثين معان جيدة انفردوا بها عن القدماء ، ومعان شاركوا القدماء فيها  
ولكنهم زادوا فيها عليهم ، ومن هذه المعاني ما قاله الثابتة يذكر طول ليلة :

كليني لهم يا أميصة ناصب      وليل أفاقيه بطيء السكواكب  
تطاول حتى قلت ليس بمضة      وليس الذي يرى النجوم بأيب  
وقال أبو الطيب في وزنه ورويه :

أعيدوا صباحي فهو عند السكواكب      وردوا رقادي فهو لحظ الحباب  
فإن نهاري ليلة مدممة      على مقلة من قدكم في ضباب  
فأنت ترى ما فيه من الزيادة وحسن المقصد ، على أن يبقى الثابتة عندهم في  
غاية الجودة .

وأما ما انفرد به المحدثون فنل قول بشار :

يا قوم أذني لبعض الحى عاشقة      والأذن تعشق قبل العين أحيانا  
قالوا : إن لا ترى تهدي ؟ فقلت لهم      الأذن كالعين توفى القلب ما كانا

وكقول أبي نواس ، وقد ذكر المبرد أنه لم يسبق إليه :

أيها الرامحان بالوم لومنا      لا أذوق المسام إلا شيمنا  
نألق باللام فيها إمامنا      لا أرى لي خلافة مستقيم  
فأصرقنا إلى سواى فإنى      لست إلا هلى الحديث ندينا  
كشبر حطى منها إذا هى دارت      أن أراها أو أن أشم اللسيما  
فسكانتى وما أزين منها      فعسدي يزين النحكينا  
كل عن حمله السلاج إلى الحرب      فأوصى المطيق ألا يقيما

# علوم البلاغة

ادراك الجاهليين بعض مسائل البلاغة :

ليس من البعيد أن يكون العرب في الجاهلية قد عرفوا بعض مسائل البلاغة والفصاحة ، وبما يروى من ذلك (١) أن النابغة الذبياني كانت تضرب له قبة حمرام بسوق عكاظ ، فتأنيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، فأنشده الأعشى ميمون ابن قيس أبو بصير ، ثم أنشده حسان بن ثابت الانصاري :

لنا الجفائنات الغرثيلون في الضحى وأسيفنا يقطرون من نهدق دما  
ولدنا بني العنقاء وابنى محرق (٢) فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنا

فقال له النابغة : أنت شاعر ، ولذكك أقللت جفانك وأسيفك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . وإنما قال له : أقللت جفانك وأسيفك ، لأن الجفائن ، لأدنى العدد والكثير جفان ، وكذلك أسيف ، لأدنى العدد والكثير سيف . وإنما قال له : فخرت بمن ولدت ، لأنه ترك الفخر بالآباء وفخر بمن ولد نساؤه . وقد احتس من مثل هذا الزلل رجل من كلب ، فقال يذكر ولادتهم لمصعب بن الزبير وغيره من ولده نساؤهم :

وعبد العزيز قد ولدنا ومُصنَّباً وكلب أبى للصالحين ولود

فإنه لما فخر بمن ولده نساؤهم فضلل رجالهم ، وأخبر أنهم يلدون الفاضلين ، وجمع ذلك في بيت واحد ، فأحسن وأجاد .

تدوين الجاحظ فيها :

وأول من تصدى للكتابة في هذه المسائل بعد الإسلام أبو عثمان عمرو بن بحر

(١) الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء ص ٦٠ ، المطبعة السلفية ،

(٢) العنقاء : لقب ثعلبة بن عمرو ، ولقب به أطول صنقه ، ومحق : هو الحارث بن عمرو ملك الشام .

الملاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، فقد أشار في كتابه «البيان والتبيين» ، إلى بعض مسائل من هذه المسائل (١) ، ويمكن ترتيب ما جاء في هذا الكتاب غير مرتب من ذلك في أربعة فصول قصار :

(١) الكلام على صحة مخارج الحروف ، ثم على العيوب التي سببها اللسان أو الأسنان أو ما قد يصيب الفم من التشوه .

(٢) الكلام على سلامة اللغة ، والصلة بين الالفاظ بعضها وبعض ، والعيوب الناشئة من تنافر الحروف تنافرأ بهجه السمع .

(٣) الكلام على الجملة والعلاقة بين المعنى واللفظ ، ثم على الوضع والإيجاز والإطناب ، والملازمة بين الخطبة والسامعين لها ، والملازمة بين الخطبة وموضوعها .

(٤) الكلام على هيئة الخطيب وإشاراته .

تدوين ابن المعتز :

وقد حدا حذو الجاحظ في ذلك عبد الله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ ، وقدامة ابن جعفر المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، وألف الأول في هذه المسائل كتابا سماه «البديع» ، ذكر فيه سبعة عشر نوعا من فنون البديع ، منها الاستعارة والكناية والنورية والتجنيس والسجع إلى غير ذلك ، وقال : « ما جمع قبلى فنون البديع أجده ، ولا سبقنى إلى تأليفه مؤلف ، ومن رأى أن يقتصر على ما اخترنا فليفعل ، ومن رأى إضافة شيء من المحاسن إليه فله اختياره » . وقد نازعه أبو هلال العسكري (٢) في هذه الدعوى ، وذكر أن القدماء كانوا يعرفون هذه الفنون أيضا .

تدوين قدامة :

وقد ذكر قدامة في كتابه «نقد قدامة» ، وهو في نقد الشعر ، عشرين نوعا من البديع ، فزاد على ابن المعتز ثلاثة عشر نوعا ، وقد أشار في خطبة كتابه «نقد الشعر» إلى أن سبب وضعه له ما شاهده من النقص في كتاب «البيان والتبيين» ، وأن الجاحظ إنما ذكر فيه أخبارا منتخلة ، وخطبا منتخبة ، ولم يأت فيه ووصف البيان ، ولا أتى على أقسامه في هذا اللسان ، وكان بهذا غير مستحق لهذا الاسم الذي نسب إليه .

---

(١) مقدمة نقد الشعر . (٢) كتاب الصناعتين ص ٢٠٤ .

تدوين عبد القاهر :

ثم جاء عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ (١) فذلك في ذلك طريقا غير الذي سلكه من كان قبله ، إذ لم تكن مباحثهم فيه جارية بحرى البحث العلمى ، والنظر الفنى ، بل كانوا على الغالب يتناولون هذه المسائل على اعتبار أنها أبواب ذات شأن كبير من أبواب علم الأدب ، ولا يعنون فيها بشرح تعريف خفى ، ولا بتحقيق مسألة مضطربة ، فعفى هو في كتابيه دأمرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، بذلك كله ، وأمل في من القواعد ما شاء الله أن يمل ، وأحكم بيانها بضرب الأمثلة والشواهد على نحو ما كان يفعل من كتب في ذلك قبله ، وكان بهذا أول من وضع أسس الطريقة النقرية ، في تدوين هذه المسائل ، فصارت بها أقرب إلى الفلسفة منها إلى الأدب .

وكانت هذه المسائل إلى هذا الزمن تسمى تارة علم البيان ، وتارة علم البديع ، وتظهر كلها نظارة واحدة بدون فرق بين ما يرجع منها إلى النظم والتأليف ، وما يرجع منها إلى وضوح الدلالة وخفائها ، وما يرجع منها إلى المحسنات البديعية التي تلى مرتبة ذلك في البلاغة والفصاحة ، فكانت كلها علماً واحداً متحد الموضوع والغاية ، ويرجع الأمر فيه إلى البحث في أسرار البلاغة والفصاحة .

تدوين السكاكى :

ثم جاء أبو يعقوب السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (٢) فرتب هذه المسائل وبوتها ، وأفرد ما يتعلق منها بنظام الالفاظ في علم سماء (علم المعاني) ، وأفرد ما يتعلق منها بوضوح الدلالة وخفائها في علم سماء (علم البيان) ، وجعل الوجوه التي تقصد لتحسين الكلام ذبلاً لهذين العلمين ، وهى التي خضعت بعد ذلك باسم (علم البديع) ، وقد استعان على ذلك بما كان له من واسع الاطلاع على علوم المنطق والفلسفة ، ولكن ذلك جعله يحرى في تلك ( الطريقة النقرية ) بأكثر مما جرى فيها عبد القاهر ، ويعنى عما كان يعنى به عبد القاهر من الإكثار من ضرب الأمثلة والشواهد .

(١) أمالى الشيخ على عبد الرازق في علم البيان وتاريخه ص ٢٢ .

(٢) علوم البلاغة ص ٩ ، المطبعة الحديثة ،

محاولته تطبيق أساليب العرب على أساليب اليونان :

إذ كان همه في الأكثر إلى تطبيق أساليب العرب على علوم اليونان واصطلاحاتهم ، فبمسند ذلك بهذه العلوم عن غايتها ، وأبعد ثمرتها عن طالبيها ، وقد حاول الخطيب في كتابه ( الإيضاح ) أن يجمع فيه بين طريقي عبد القاهر والسكاكي ، فوصل في ذلك إلى بمض غايته ولم يصل إلى ما يجب في ذلك كله .

انكار ابن الأثير على هذه المحاولة :

وبينا كان السكاكي يحاول تطبيق أساليب العرب على علوم اليونان واصطلاحاتهم ، كان ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ هـ يحارب في كتابه ( المثل السائر ) هذه المحاولة ، ويجري فيه على سنن عبد القاهر ومن كان قبله (١) ، ويرى أن الشعر والخطابة كانا للعرب بالطبع والفطرة ، ولم تكن العرب تعرف شيئاً من المعاني الخطابية التي كان حكام اليونان أول من تكلم فيها ، وحصر أصولها ، وقد ذكر أنه وقف على ما جاء منها في كتاب ( الشفاء ) لأبي علي بن سينا فاستجمله ، لأنه طوّل فيه وعرض كأنه يخاطب بمض اليونان ، وكل الذي ذكره لغرض لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئاً ، ثم مع هذا جميعه فإن معون الفوم فيما يذكر من الكلام الخطابي أنه يورد على مقدمتين ونتيجة ، وهذا مما لا يخطر ببال عربي فيما يصوغه من شعر أو كلام مسجوع ، ولو أنه فسر أولاً في المقدمات ونتيجة ثم أتى بنظم أو أثر بعد ذلك لما أتى بشيء ينتفع به ، وإطال الخطب عليه ، على أن اليونان أنفسهم لما نظمو ما نظموه من أشعارهم لم ينظموه في وقت نظمهم ، وعندهم فكر في مقدمات ولا نتيجة ، وإنما هذه أوضاع توضع ويطول بها مصنفات كتبهم في الخطابة والشعر ، وهي كما يقال قماقم ليس لها طائل .

تدوين المتأخرين :

ولكن القوم بعد السكاكي وابن الأثير آثروا طريقة الأول على طريقة الثاني ، وجروا في الطريقة التقريرية إلى آخر حدودها ، وأهملوا في هذه العلوم إيراد الأمثلة والشواهد التي كانت تورد فيها ، ففقدت بهذا كل صفة أدبية لها ، بل صارت في البيان العربي أداة فساد لا أداة إصلاح .

(١) المثل السائر ص ١٢٠

# علم المعاني

## تعريف الخطيب :

عرف الخطيب علم المعاني بأنه علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال ، والمراد بأحوال اللفظ ما يشمل أحوال الجملة بطرفيها من الفصل والوصل والإيجاز والإطناب والمساواة ، وما يشمل أحوال كل من طرفيها كالذكر والحذف والتقديم والتأخير وغيرها ، وما يشمل أحوال الإسناد كالتأكيد والقصر وغيرها . وقد خرج بذلك علم البديع لأنه يرجع إلى تلك المحسنات السابقة ، وكذا علم البيان لأن أحوال اللفظ الذي تذكر فيه من الجواز والسكناية وغيرها لا تذكر فيه لبيان ما يقتضيه الحال منها ، وإنما تذكر فيه لبيان ما يعترض به من التعقيد المعنوي فيها

## الفرق بين موضوعات العلوم الثلاثة :

وقد فرّق بعضهم بين علم المعاني وعلم البيان بأن علم المعاني يتعلق بالأمور اللفظية من الذكر والحذف ونحوهما ، وعلم البيان يتعلق بالأمور المعنوية من التشبيه والجاز وغيرها ، أما علم البديع فيتعلق بالأمور معاً على ما سيأتي فيه ، وقد يأتي فيما يتعلق به علم البيان اعتبار المطابقة لمقتضى الحال ، ولكن اعتبار ذلك فيه لا يرجع إلى جهات مضبوطة يصح بها ذكره في علم المعاني ، ومن ذلك قول الأخطل في مدح عبد الملك بن مروان :

وقد جعل الله الخلافة منهم  
لا بلج لا عارى الخوان ولا جندب

فإن هذه كناية عن الكرم مقبولة في ذاتها ، وإن كان مثل هذا لا يمدح به الملوك ، وكذلك قول كنيش في مدح عبد العزيز بن مروان :

وما زالت رفاك تسئل ضغنى  
ومنخرج من مكانها ضبابي

ويرقني لك الراقون حتى  
أجابني حية تحمى التراب

وإنما يمدح الملوك بمثل قول محمد بن وهيب في مدح المعتصم :

له همم لا منتهى لكبارها ومهتته الصغرى أجل من الدهر  
له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر  
ومن ذلك في التشبيه قول عبيد الله بن قيس الرقيات في مدح عبد الملك  
ابن مروان :

يعتدل التاج فوق مفارقة على جبين كأنه الذهب  
فإنه لما سمع منه ذلك قال : أمّا لمصعب بن الزبير فتقول :  
إنما منصّب شهاب من اللّـه تجلت عن وجهه الظلماء  
وأتمالى فتقول : على جبين كأنه الذهب !

تعريف ثان لعلم المعاني :

وقد عرّف بعضهم علم المعاني بأنه علم يبحث فيه عن أحوال التراكيب العربية  
[ من حيث النكات والمزايا بعد فهم المعاني الأصلية من علم النحو .

الفرق بين علم المعاني وعلم النحو :

وقد فرق ابن الأنثير (١) بين نظر النحوى في الألفاظ ونظر صاحب علم البيان  
( يريد به ما يشتمل العلوم الثلاثة ) بأن موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة ،  
وصاحبه يسأل عن أحوالها المفظة والمعنوية ، وهو والنحوى يشتركان في أن  
النحوى ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع ، وتلك دلالة عامة ،  
وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة ، وهي دلالة خاصة ، والمراد بها أن  
تكون على هيئة مخصوصة من الحسن ، وذلك أمر وراء النحو والإعراب ، وقد أخذت  
أقسام النحو من واضعها بالتقليد حتى لو عكست القضية فيها بنصب الفاعل ورفع المفعول  
وهو ذلك لما كان العقل يأباه ، أما تلك النكات والمزايا البيانية فقد استنبطت بالنظر فضيلة  
العقل من غير واضع اللغة ، فإن كل عارف بأسرار الكلام من أى لغة كانت يعلم أن إخراج  
المعاني في الألفاظ حسنة رائعة يلزمها السمع ، ولا ينبو عنها الطبع ، يحير من إخراجها

في ألفاظ قبيحة ينبر عنها السمع ، ولو أراد واضح اللغة خلاف ذلك لما قلدها .

غفلة السكاكي عن الفرق بينهما :

وقد غفل السكاكي والخطيب عن هذا الفرق بين نظر علم المعاني في الألفاظ ونظر علم النحو فيها ، فأدخل كثيراً من المعاني النحوية في مباحث علم المعاني ، وهذا كما ذكرنا في أحوال التعريف أن التعريف بالإضمار يكون لأن المقام للتكلم أو الخطاب أو الغيبة ، كقول بشار :

أنا المُرْعَتُ لا أخفتي على أحدٍ ذررت في الشمس للقاصي وللداني

وقول أمانة الخشمية صاحبة ابن الدُّمَيْسَية :

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأثمت بي من كان فيك يلومُ

وقول القاسم بن حنبل المُرِّي :

من البيض الوجوه بني سنان لو انك تستضيء بهم أضواءوا

هم حلكوا من الشرف المِعْلَى ومن كرم المشيرة حيث شاءوا

فكل هذه وأشباهها معان نحوية ، وليست في شيء من وجوه الفصاحة والبلاغة . وإذا كان علم النحو ينظر في بعض ما ينظر فيه علم المعاني من الذكر والحذف والتقديم والتأخير وغير ذلك ، فإنما ينظر فيها من جهة بيان وجوه صحتها وامتناعها ، وأما علم المعاني فإنما ينظر فيها من جهة بيان الوجوه التي ترجح بعضها على بعض ، ولهذا قال عبيد القاهر (١) : فإنه إذا كان بينا في الشيء أنه لا يحتمل إلا الوجه الذي هو عليه فلا مزية فيه ، وإنما تكون المزية إذا احتمل وجهها آخر غير الذي جاء عليه ، ثم رأيت النفس تنبر عن ذلك الوجه الآخر ، ورأيت للذي جاء عليه محسناً وقبولا يعدمهما إذا أنت تركته إلى الثاني ، ومثال ذلك قوله تعالى : ( ولتجدنهم أحرقى الناس على حياة ) (٢) فإن الكلام يحتمل تهريف الحياة ، ومن هنا جاءت مزية التشكير فيه ، وسيأتي بيان ذلك في موضعه .

(١) دلائل الإعجاز ص ١٥٥ مطبعة العنوش الأدبية ،

(٢) سورة البقرة آية ٩٦



هذا والمعنى الأصلي عندهم هو عبارة عن مجرد إثبات المسند للمسند إليه ، مثل قولك د زيد قائم ، ، والمعنى الزائد عن الأصلي هو الصفة التي يقتضيها الحال زيادة عن المعنى الأصلي ، كالتأكيد عند الإنكار في قولك د إن زيدا قائم ، . ودلالة الكلام عندهم على المعنى الزائد عن الأصلي من الدلالة الالتزامية ، أو هي من مستتبعات التراكيب مثل دلالة القول على وجود قائله ، والذي أراه أن التأكيد معنى أصلي في قولك د إن زيدا قائم ، ، لأنه مستفاد من د إن ، بطريق الوضوح ، وإنما المعنى الزائد عن الأصلي في ذلك هو ما يلزمه من دفع الشك أو الإنكار أو نحو ذلك من الأغراض التي تمسك من الكلام ولا تدخل في المعنى الذي تدل عليه بطريق الوضع ،

ويمكن حصر علم المعاني في هذه الأبواب الثلاثة :

- (١) أحوال الاستناد مطلقاً خبرياً أو إنشائياً .
- (٢) أحوال الطرفين والمتعلقات من المفعول وغيره من الفضلات
- (٣) أحوال الجملة في ذاتها بتقطع النظر عن طرفيها ومتعلقاتها .

# أحوال الاسناد

## ١ - التأكيد

### مقامات التأكيد :

روى عن ابن الأنباري أنه قال : « ركب السكندى المتفلسف إلى أبي العباس وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشواً » . فقال له أبو العباس : « في أي موضع وجدت ذلك ؟ » فقال : « أجد العرب يقولون عبد الله قائم » ، ثم يقولون : « إن عبد الله قائم » ، ثم يقولون : « إن عبد الله قائم » ، فقال أبو العباس : « بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ » ، فقولهم « عبد الله قائم » ، إخبار عن قيامه ، وقولهم : « إن عبد الله قائم » ، جواب عن سؤال سائل وقولهم « إن عبد الله قائم » ، جواب عن إنكار منكر قيامه ، فتجد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني » . فما أحرار المتفلسف جواباً .

فلا يخلو المخاطب من أن يكون واحداً من ثلاثة :

### مقام خالي الذهن :

(١) خالي الذهن من الحكم ومن التردد فيه والإنكار له : فيأتي إليه الكلام بدون تأكيد ويسمى هذا الضرب ابتدائياً ، وهم يمدون مراعاة ذلك من البلاغة ، وهو عندي من الظهور بحيث يستوى فيه البليغ وغيره ، بخلاف مراعاة حالته التردد والإنكار ، فإن هذا مما ينفرد به البليغ وحده ، على أنه لا مانع عندي من أن يعد هذا الضرب في الطرف الأسفل من طرفي البلاغة ، إلا إذا اشتمل على وجوه أخرى من وجوهها الآتية في الذكر والحذف ، والتقديم والتأخير ، إلى غير ذلك مما يأتي في أوابه .

### تنزيل غير الخالي منزلة الخالي :

وقد لا يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم ، ولكنه ينزل منزلة الخالي منه

لعدم جريته على موجب علمه به ، فيلقى إليه بدون تأكيد كما يلقى إلى الجاهل ، ولا شك أن مراعاة ذلك له حظ في البلاغة أعلى من الحالة الأولى ، وهذا كقول الفرزدق لحشام بن عبيد الملك حينما سئل عن زين العابدين وقد انتف الناس في الطواف به ، فأظهر لسائله الجهل به ليصرفه عنه :

هذا ابنٌ خير عبادِ الله كلهمُ      هذا النقيُّ النقيُّ الطاهرُ المَلَمُ  
هذا ابن قاطمةٍ إن كنت جاهلُه      بجدةٍ أُنبياءُ الله قد مُختموا

#### مقام المتردد :

(٢) المتردد في ثبوت الحكم وعدمه : وهذا يجب تأكيد الحكم له ، خصوصاً إذا كان عنده ظن بخلافه ، كما إذا كان الحكم بأمر يعمد في الظن مثله لأن العادة جرت بغيره ، وهذا كقول أبي نواس :

عليك بالياس من الناس      إن رفى نفسك في اليأس

ويسمى هذا الضرب طلبياً ، ومن أمثله قوله تعالى ﴿ فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً . قال أم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ (١) . وقول الشاعر :

ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي      والصح أخل ما يباع ويوهب

#### تنزيل غير المتردد منزلة المتردد :

وقد لا يكون المخاطب متردداً في الحكم ، ولكنه ينزل منزلة المتردد إذا قدم إليه قبل الحكم ما يلوج به ، فيؤكد له الحكم أيضاً انطلاقه له تطلع المتردد الطالب كقوله تعالى : ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرفون ﴾ (٢) وقوله ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ (٣) وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة في هادئة وغموض ، ولهذا خفيت على بعض نحلة هذا الفن ، روى عن الأصمعي أنه قال : دكان أبو عمرو

(١) سورة يوسف الآية ٩٦ .

(٢) المؤمنون د ٢٧ .

(٣) يوسف د ٣٥ .

ابن العلاء وخلفه الآخر يأتیان بشارا فيسلان عليه بغاية الإعظام ثم يقولان :  
يا أبا معاذ ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتى  
وقعت الزوال ثم ينصرفان ، فأتياء يوماً فقالا : ما هذه الفصيدة التي أحدثتها في ابن  
قتيبة ؟ قال : هي التي بلغتكما ، قالاً : بلغنا إنك أكثرت فيها من الغريب ، قال : نعم ،  
إن ابن قتيبة يتباهر بالغريب فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرف ، قالاً :  
فأنشدناها يا أبا معاذ ، فأنشدهما :

بَسَكُّوا صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبكير

حتى فرغ منها ، فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان ذاك النجاح ،  
د بكرة فالنجاح ، كان أحسن . فقال بشار : إنما بنيتُها أهراوية وحشية ، فقلت  
د إن ذاك النجاح ، كما يقول الأهراب البدويون ، ولو قلت د بكرة فالنجاح ، كان  
هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ، ولا يدخل في معنى الفصيدة . فقام  
خلف فقبل بين عينيه . وإنما كان د بكرة فالنجاح ، من كلام المولدين لأنه ليس فيه  
من دقة الإشارة إلى تنزيل خير المتردد منزلة المتردد ما في الأسلوب الأول ، وإنما فيه  
تمكيد الأمر بالتبكير لتأكيد هلى وجه ظاهري ليس فيه دقة ذلك التأكيد ، والمولدون  
يؤثرون السهولة على الدقة .

#### مقام المنكر :

(٣) المنكر للحكم : وهذا يجب تأكيد الحكم له بقدر إنكاره قوة وضما ،  
فيؤتى له في ذلك بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر على حسب ما يقتضيه إنكاره .

#### ادوات التأكيد :

وأدوات التأكيد كثيرة منها : إن ، وأن ، ولام الابتداء ، ونونا النوكيد ،  
والنسم ، و د أما ، الشرطية ، وأحرف التنبيه ، وأحرف الزيادة ، وضمير الفصل ،  
والسين وسوف الداخلتان على فعل دال على بعد أو وعيد ، وقد التي للتحقيق ، وإنما ،  
ويسمى هذا الضرب لإنكاريا ومنه قوله تعالى ﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب  
القرية إذ جاءها المرسلون ، إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززا بثالث فقالوا  
لما إليكم مرسلون ، قالوا ما أئتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أئتم إلا

تسكذبون ، قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون ﴿١﴾ وقد قال تعالى في المرة الأولى :  
 ﴿ إنا إليكم مرسلون ﴾ وفي الثانية ﴿ ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون ﴾ لأن  
 تسكذبهم لهم في المرة الثانية أشد من تسكذبهم لهم في المرة الأولى :

#### تنزيل غير المنكر منزلة المنكر :

وقد لا يكون المخاطب منكراً ، ولكنه ينزل منزلة المنكر ، إذا ظهر عليه شيء  
 من أمارات الإنكار ، فيؤكد له الحكم تأكيده للمنكر ، كقول حنبل بن نضلة :

جاء شقيق عارضاً رحمه إن بني عمك فيهم رماح  
 هل أحدث الدهر لنا نكبة أم هل رقت أم شقيق سلاح (١)

إن مجيئه هكذا مدلاً بشجاعته دليل على إعجاب شديد منه ، واعتقاده  
 لا يقوم إليه من بني عمه أحد ، كأنهم كلهم عزّل ليس مع أحد منهم رماح .

#### تنزيل المنكر والمتروك منزلة غيرهما :

وكما ينزل غير المتروك منزلة المتروك وغير المنكر منزلة المنكر ، ينزل المتروك  
 والمنكر منزلة غير المتروك والمنكر ، إذا كان معهما ما إن تأملناه زال منها التردد  
 والإسكار ، وهذا يدخل فيما سبق من تنزيل غير الخالي من الحكم منزلة الخالي منه ،  
 وعليه قوله تعالى في حق القرآن ﴿ ألم ﴾ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢)  
 فإن هذا لا يسلمه الكفار المخاطبون به ، ولكنه ترك بدون تأكيد للتنبيه على أنهم  
 لا حق لهم في إنكاره .

وما اجتمع فيه تنزيل غير المنكر منزلة المنكر وتنزيل المنكر منزلة غير  
 المنكر قوله تعالى ﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون . ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ (٣)  
 أكد إثبات الموت تأكيداً وإن كان مما لا ينكر ، لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ

(\*) سورة يس ١٣ ، ١٤

(١) شقيق ابن عمه ، وعرضه رحمه أن يجعله على فخذه بحيث يكون عرضه  
 جهة الأهداء ، ووقت : من الرقية لجماعته لا يقطع شيئاً .

(٢) سورة البقرة الآية ١ ، ٢ (٣) سورة المؤمنون الآية ١٦

في إنكار الموت ، فتأديهم في الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده ، ولهذا قيل  
 ( ميتون ) دون تموتون ، لما سيأتى من أن الأول يفيد الشبوت ، والثاني يفيد  
 التجدد . ثم أكد لإثبات البعث تأكيداً واحداً مع أنهم يبالغون في إنكاره بخلاف  
 الموت ، لأنه إما كانت أدلته ظاهرة كأن جديراً بالاعتبار ، بل إما أن يعترف به  
 أو يتردد فيه ، فنزل المخاطبون المشكرون له منزلة المترددين ، تنبيهاً لهم على ظهور  
 أدلته . وحشاً على النظر فيها ؛ ولهذا جاء فيه ( تبعثون ) على الأصل ، وهذا من  
 تنزيل المنكر منزلة المتردد ، وهو قليل نادر ، والغالب تنزيهه منزلة الخالي الذهن  
 من الحكم .

#### مقامات أخرى للتأكيد :

وللتأكيد مقامات أخرى غير تلك المقامات ، منها الاعتناء بشأن الحكم  
 والاهتمام به ، مثل قولهم إن البلاء موكل بالمنطق ، إن غداً لما ظره قريب ،  
 وإنما هو الفجر أو الهجر ، (١) إن المذابح خيرها الأبرار ، (٢) . ولهذا حسن  
 استعمال ضمير الشأن مع إن مثل قوله تعالى ( إنه من يتق ويصبر ) (٣) . إنه لا يفلح  
الظالمون (٤) لأن الغرض منه الاهتمام بشأن الحكم ، وهي أدخل فيه .

ومنها بيان صدق الرغبة في الحكم وقصد رواجه ، مثل قوله تعالى ( وإذا لقوا  
الذين آمنوا قالوا آءنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ) (٥)  
 فلم يؤكدوا فيما خاطبوا به المؤمنين لأنه لا يروج منهم عندهم ، وأكدوا فيما خاطبوا  
 به إخوانهم لصدق رغبتهم فيهم ، ولأنه رائج عندهم ، متقبل منهم

(١) أى إن انتظرت حتى يعضى لك الفجر الطريق أبصرت قدرك ، وإن خبطت  
 الظلماء وركبت العشواء هجماً بك على المكروه . وهو مثل يضرب في الحوادث التي  
 لا امتناع منها .

(٢) جمع منكوحة وحقه من كبح فحذفت الياء

(٣) سورة يوسف : ٩٠ (٤) سورة الأنعام : ٢١ (٥) سورة البقرة : ١٤

ومنها التنبية على استبعاد الحكم عند المتكلم وأنه كان يظن خلافه ، مثل قوله تعالى حكاية عن أم مريم ( رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ) (١) وقوله ( رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّابُونَ ) (٢) .

ومنها ربط الجلة بما قبلها مثل قول بشار :

بَكَتْ رَا صَاحِبَتِي قَبْلَ الْهَجِيرِ    إِنَّ ذَاكَ الدَّجَاحُ فِي التَّبَعِ كَبِيرِ  
وكقول بعض الأعراب :

فَقَدَّمَا رَمَى لَكَ الْفَدَاءُ    إِنَّ غَنَاءَ الْإِبِلِ الْخُدَاءُ

ولهذا يصح أن تقع الفاء في ذلك موقع « إن » ، ولمكنه لا يكون للكلام معها من الحسن مثل الربط بـ « إن » ، ولا يوجد له من الالفة مثل الذي كان له .

ومنها تهية النكرة لصحة الإخبار عنها . فإذا كانت موصوفة كانت مع « إن » ، أحسن ، كقول الشاعر :

إِنْ دَهْرًا يَلُفُّ شَيْئًا مِثْلِي يَسْتَعْدِي    لَوْ مَا مِنْ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ

ومنها إغناؤه عن الخبر في بعض المواضع ، وهذا كما في قول الأعشى :

إِنَّ مَحْتَلًّا    وَإِنْ مُرْتَحَلًّا    وَإِنْ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهْلًا (٣)

أي إن لنا محلا في الدنيا ، وإن لنا مرتحلا عنها إلى الآخرة ، وهذه النكتة والتي قبلها نكتتان محويتان أكثر منهما بلاغيتين .

## ٢ - القصر

مزاي القصر :

القصر باب عظيم من أبواب البلاغة ، وهو ضرب من الإيجاز والتأكييد في الالفة ، فإذا نظرنا إلى قول العباس بن الأحنف :

أَنَا لَمْ أَمْرُزَقْ مَوْدَتَكُمْ    إِنَّمَا الْعَبْدُ مَا وَزَقَا

(٢) الشعراء : ١١٧

(١) آل عمران : ٣٦

(٣) محلا ومرتحلا مصدران ميميّان بمعنى الحلول والارتحال ، والسفر

المسافرون ، والمراد بهم الموقى . والمهل : الإمهال وطول الغيبة

وجدنا قوله « إنما للعبد ما رزقا » جملة واحدة تفيد معنى جملتين ، إحداهما مثبتة : « للعبد ما رزقا » ، والثانية منفية : « ليس للعبد ما لم يرزقه » ، وكذلك إذا نظرنا إلى القصر في قول عمرو بن كُثَيْلٍ شوم :

لنا الدنيا ومن أضحى عليها وتبطلش حين تبطلش قدرينا

وجدنا قوله « لنا الدنيا » في معنى هاتين الجملتين « الدنيا لنا » ، « الدنيا ليست لغيرنا » ، وقد يصريح في القصر بالنفي والإثبات ، مثل قول مَدْرِيْدِ بْنِ الصَّامِتِ :  
وما أنا إلا من هَوَِيَّةٍ إن هَوَتْ هَوَيْتُ وإن تَرُشِدُ غَوِيَّةُ أَرُشِدُ  
ولكنه على كل حال يكون أوجز من هاتين الجملتين التامتين ، وهذا الإيجاز من أهم مزايا القصر ، ولعل هذا فيه من خصائص اللغة العربية ، ومن مزايا القصر أيضا أنه يُقصد منه تمكين الكلام وتقريره في الذهن ، وسيله في هذا سبيل التأكيد فيما سبق ، ومن ذلك قول لَبِيدِ بْنِ ربيعة :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

تعريف القصر :

ولا بأس بعد هذا أن نذكر كلمة في تعريف القصر وأقسامه ، فالقصر في اللغة الحبس كما قال تعالى : ﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾ (\*) وفي اصطلاح علماء المعاني تنخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص ، والشئ الأول هو المقصور . والشئ الثاني هو المقصور عليه ، والطريق المخصوص هو أدراجه الموضوع له .

طرق القصر :

وللقصر طرق كثيرة أشهرها أربعة : العطف بلا أو إل أو لكن ، والاستثناء من النفي ، وإنما ، والتقديم .

والعطف أقوى هذه الطرق في الدلالة على القصر ، للتصريح فيه بالإثبات والنفي ، ويليه في ذلك الاستثناء من النفي ، ثم إنما ، ثم التقديم ، ودلالته على القصر بالدوق والنظر في سر التقديم حتى يفهم بالقرائن الظاهلية أنه لا تنخصيص ونفي الحكم عن غير

---

(\*) سورة الرحمن الآية ٧٢ .



المذكور فيه . أما دلالة الثلاثة قبله على القصر فبالوضع لا بالذوق (١) .

#### القصر الحقيقي والإضافي :

وينقسم القصر إلى حقيقي وإضافي ، والقصر الحقيقي هو ما كان التخصيص فيه بحسب الحقيقة والواقع ، مثل قوله تعالى (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير) (٢) فالملك مختص بيده في الحقيقة والواقع ، ولا ينعدها إلى شيء أصلا ، والقصر الإضافي هو ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معين ، لا بالإضافة إلى جميع ما عدا المذكور ، وهذا مثل قول الشاعر :

إنما الدنيا هبات وعوارٍ ممستردة  
شدة بعد رخاء ورخاء بعد شدة

فالمراد إنما الدنيا هبات وعوارٍ ، لا حال يبقى ويدوم ، وتخصيص الدنيا بالهبات إنما هو بالإضافة إلى ذلك فقط ، وإلا فإنها تتجاوز الهبات إلى ما عداها من كونها حلوة أو مرة أو غير ذلك .

#### نقد الناية بأقسام القصر

ولا يكتفى القوم هنا بتقسيم القصر إلى هذين القسمين ، بل يجرون في تقسيمه باعتبارات مختلفة إلى أن يصل بهم ذلك إلى التقييد والإملال ، فيقسمونه باعتبار المقصور إلى قصر موصوف على صفة ، وقصر صفة على موصوف . وباعتبار حال المخاطب به إلى قصر أفراد ، وقصر قلب ، وقصر معين . وقصر الأفراد عندهم يكون للرد على مخاطب يستند الشكر في حكم بين شيئين أو أكثر ، فيقصره المتكلم على أحدهما ، وقصر القلب يكون إذا كان المخاطب يعتقد عكس الحكم ، وقصر التعمين يكون إذا كان المخاطب مترددا فيه . ولا شك أن هلم البلاغة لا يستفيد شيئا من هذه الأقسام التي أشرنا إلى بعضها وأعرضنا عن بعضها الآخر حتى لا نشوه علم

---

(١) ومن غريب أمر السكاكي والخطيب أنهما بعد هذا يحاولان إثبات دلالة الاستثناء من النفي وإنما على القصر بأدلة تكلفها جريا وراء نزعتهم المنطقية .  
(٢) سورة الملك (تبارك) آية ١ .

البلاغة به . وإنما جرى المتأخرون في ذلك وراء السكاكي ونوعته المنطقية ، وشغفه باستنباط القواعد واستقراء الجريئات المندرجة في السكليات .

#### القصر الحقيقي والادعائي :

والقصر يكون حقيقياً لا ادعاء فيه، ويكون ادعائياً مبنياً على الادعاء والمبالغة .  
والقصر الادعائي مقبول في مقام المدح والفخر وما إليهما ، مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْخِزْيُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (\*) .

ومثل قول الشاعر :

هل الجودُ إلا أن تهودَ بأُنفُسٍ      على كلِّ ماضي الشَّفَرتين صَاقِلِ

وقول أبي تمام :

نَقَلْ فَوَادِكُ حَيْثُ شَدَّتْ مِنَ الْهَوَى      مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

وقول الخنساء :

تَرْتَعُ مَا رَأَيْتُ حَتَّى إِذَا أَدَّ كَرْتُ (١)      فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَسَالٌ وَإِدْبَارُ

#### القصر بالعطف :

والقصر بالعطف يكون ببل بعد النفي مثل قول الشاعر :

ليس اليتيمُ الذي قد مات والدُهُ      بل اليتيمُ يقيمُ العلمُ والأدبُ

ويكون بلا مثل قول الشاعر :

وللنفي من ماله ما قد مات      يداه قبل موته لا ما اقتنسى

ويكون بليكن مثل قول الشاعر :

إنَّ الجديدين في طول اختلافهما      لا يفسدان ولكن يفسد الناس

وتحمل في هذا دبل ، التي الإضراب لا للعطف ، ود اسكن ، التي للاستدراك

---

(\*) سورة المائدة الآية ٩٠

(١) الضمير للفاقة ، وادكرت : ذكرت .

لا للعطف على «بل» ، «ولاسكن» العاطفتين ، كما ذهب إليه ابن يعقوب السبكي (١) ، وإنما لم تنفد «بل» ، القصر به ، الإثبات ، لأنها فيه تجعل ما قبلها في حكم المسكوت عنه فقط .

والأصل في القصر بالعطف أن يُدللَّ فيه على المثبت والمنفى بالنص ، فلا يترك ذلك إلا كراهة الإطناب في مقام الاختصار ، كما إذا قيل «زيد يعلم النحو والتصريف والعروض والأدب» ، فقول : زيد يعلم النحو لا غير ، وفي معناه ليس إلا . وأما القصر بالاستثناء وإينما وبالتقديم فالأصل فيه أن يدل بالنص على المثبت دون المنفى ، وقد يحىء فيها على خلاف الأصل ، فيقال في التقديم : ما أنا قلت هذا ، بالنص على المنفى دون المثبت ، ويقال في الاستثناء : ما قام القوم إلا زيدا ، بالنص على المثبت والمنفى معا ، وإنما كان هذا خلاف الأصل لأن الاستثناء المفرغ هو الأصل في القصر .

#### القصر بالاستثناء من المنفى :

والقصر بالاستثناء من المنفى يكون بأدوات الاستثناء جميعها مثل قوله تعالى :  
( قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسلا ) (\*) ومثل قول النابغة الذبياني :  
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

وقد ذهب السبكي (٢) إلى أن الاستثناء من الإثبات يفيد القصر أيضا ؛ لأن قولك «قام القوم إلا زيدا» يفيد قصر عدم القيام على زيد دون القوم ، وذهب الجمهور إلى أن الاستثناء في هذا ليس بقصر ، وإنما هو قيد موضح للحكم ، فكأنك في هذا المثال قلت : جاء القوم المغايرون لزيد ، فالقصد فيه بالحكم القوم فقط .

#### القصر بإنما

والقصر بإنما يكون فيها مع كسر همزتها وفتحها ، وقد اجتمعا في قوله تعالى :  
( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألحكم الله واحد فاستقيموا إليه واستخفوه

---

(\*) سورة الإسراء الآية ٩٣ .

(١) مواهب الفتح ص ١٨٦ وعروس الأفراح ص ١٨٧ ج ٢ من شروح التلخيص .

(٢) عروس الأفراح ص ١٩١ ج ٢ من شروح التلخيص .

وويل للمشركين (٥) فالأمر في الأول على قصره على البشرية ، والمعنى في الثاني على قصر الألوهية على التوحيد ، وقيل إن المفتوحة لا تفيد القصر .

ومن القصر بإنما المكسورة قول الشاعر :

وما لأمرى طول الخلود وإنما بخلد طويل الشئ فيخلد

القصر بالتقديم :

والقصر بالتقديم يكون بتقديم المسند إليه في مثل قول المتنبي :

وما أنا أسقم جسمي به ولا أنا أضرم في القلب نارا

وبتقديم المسند على المسند إليه في مثل قول الشاعر :

لك القلم الأهل الذي بشباته (١) يصاب من الأمر الكئيل والمفاصل

وبتقديم بعض معمولات الفعل عليه مثل قول الشاعر :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أني أرى الأرض تبقى والآنحلاء تذهب

وقد ذهب ابن الأثير (٢) إلى أن تقديم بعض معمولات الفعل على بعض كتقديم

الحال على صاحبه يفيد القصر أيضا ، مثل : جاء راكبا زيد ، بخلاف : جاء زيد راكبا ، إذ يحتمل أن يكون ضاحكا أو ماشيا أو غيرها . وقد خالفه الجمهور في ذلك .

مقامات القصر :

وهذا هو صميم الفن في أمر القصر ، بخلاف تلك الأقسام التي أعرضنا عن ذكرها فيما سبق ، وبخلاف ما يعمنون به ويطلقون فيه من بيان موقع كل من المقصور والمقصور عليه في أدوات القصر الأربعة ، وبيان جواز تقديم المقصور عليه على أداة الاستثناء وعدم جوازه ، فهذه أحكام لغوية نحوية لا يصح ذكرها في هذا الفن ، ولا العناية بها فيه ، وقد يكفينا منها بيان أن المقصور عليه في العطف يبل أو

(٥) سورة فصلت الآية ٦ .

(٢) المثل السائر ص ١٨٠

(١) شباة كل شيء : حنة .

لكن هو ما بعدهما ، وفي العطف بلا هو ما قبلها ، وفي الاستثناء هو ما بعد إلا  
أو غيرها من أدواته ، وفي إنما هو المؤخر ، وفي التقديم هو المقدم .

#### مقام الاستثناء من النفي :

والأصل في القصر بالاستثناء من النفي أن يكون فيما يحمله المخاطب وينكره أو  
يشك فيه ، كقوله تعالى ﴿ وما من إله إلا الله ﴾ (\*) فإنه أمر ينكره المخاطبون به من  
المشركين ، وقد يكون في أمر معلوم للمخاطب وإنكاره ينزل منزلة المجهول عنده  
لاعتبار مناسب ، كقوله تعالى ﴿ وما محمد إلا رسول قد خات من قبله الرسل ﴾ (١)  
فالمنفي على أنه مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبعية من الهلاك ، وقد نزل في  
ذلك استعظامهم هلاكه منزلة إنكارهم إياه ، والاعتبار المناسب فيه هو الإشعار  
بعظم هذا الأمر في نفوسهم ، وشدة حرصهم على بقائه عندهم ، ومن ذلك قوله  
تعالى ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير ﴾ (٢) فإنه ﷺ كان لشدة  
حرصه على هداية الناس بكرر دعوة الممتنعين منهم ، ولا يرجع عنها ، فكان في  
معرض من ظن أنه يملك مع صفة الإنذار إيجاد الشيء فيما يمتنع قبوله إياه ، ومن  
ذلك أيضا قوله تعالى ﴿ قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان  
لآبائنا آباءونا فأتونا بسطان مبین ، قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله  
يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله  
فليتوكل المتوكلون ﴾ (٣) ففي القصر الأول نزل للكفار الرسل منزل من يكر أنه  
بشر لا اعتقادهم أن الرسول لا يكون بشرا ، مع إصرار الرسل على دعوى الرسالة ،  
وفي القصر الثاني جرى الرسل الكفار في كلامهم لتبكياتهم وإلزامهم وإلغامهم ، فإن  
من عادة من ادعى عليه خصمه الخلاف في أمر هو لا يخالف فيه أن يعيد كلامه على  
وجهه ، ثم يبين له أنه لا يلزمه مع ذلك ما يظن أنه يلزمه ، فكان الرسل قالوا  
لهم : إن ما قلتم من أنا بشر مثلكم هو كما قلتم لا نكره ، وإن كان ذلك لا يمنع أن

(١) آل عمران الآية ١٤٤ .

(\*) ٦٢ : آل عمران ،

(٢) سورة فاطر الآية ٢٣ .

(٣) سورة إبراهيم الآية ١٠ ، ١١ .

يمن الله علينا برسائله ، فالقصر في كلام الرسل صوري فقط يقصد منه المشاكسة اللفظية ، لتكون أقوى في المجازاة ، ولا يريد منه الرسل إلا أصل الإثبات على سبيل التجريد . وفي القصر الثالث جرى الاستثناء من النفي فيه على أصله ، لأنه في أمر يجهله المخاطب وينكره .

مقام انما :

والأصل في القصر انما أن يكون فيما شأنه ألا يجهله المخاطب كقول أبي الطيب مخاطب كافرا :

انما أنت والد والاب الفاطم طع أحتمى من واصل الأولاد  
يعنى أن كافورا لابن الإخشيده حوله بمنزلة الوالد ، ومن شأن هذا ألا يجهله كافر ، ولكنه أراد أن يذكره منه بالامر المعلوم لينبئ عليه استدعاء ما يوجهه ، والمعنى أن الأب القاطع للأولاد أحنى عليهم من الأولاد الواصلين للأباء ؛ لأن حنو الوالد على ولده ، أشد من حنو الولد على والده .

وقد يكون ما تستعمل فيه انما مجهولا للمخاطب ، ولكنه ينزل منزلة المعلوم لادعاء ظهوره ، وهذا نحو قول عبيد الله بن قيس الرقييات في مصعب بن الزبير :

انما مصعب شهاب من الله به تجلت عن وجهه الفلكاء  
ادعى أن كون مصعب كذلك جلى معلوم لكل أحد ، على عادة الشعراء إذا مدحوا أن ياتعوا في كل ما يصفون به مدوحهم الجلاء . ومثله قول شوقي :  
وانما الامم الاخلاق ما بقيت فإن هم ذهب أخلاقهم ذهبوا  
وقول الآخر :

وانما المرء حديث بعده فسكن حديثا حسنا لمن وسى  
وهذا أيضا قوله تعالى ( وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ) (١) ادعوا أن كونهم مصلحين ظاهر جلى ، ولهذا أكد في الرد عليهم بقوله ( ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ) (٢) لم يقتصر فيه على تأكيد

(١) سورة البقرة آية ١١ (٢) سورة البقرة آية ١٢ .

واحد ، بل جعل الجملة اسمية ، وعرف الخبر باللام ، ومستط ضمير الفصل ، وصدر بحرف التثنية ثم بيان .

ولذا استقرت مواقع دلائلنا ، ووجد أنها أحسن ما تكون موقعا إذا كان الغرض بها التعريض بأمر هو مقتضى معنى الكلام بعدها ، لأنه إذا كان شأن الحكم الذى تستعمل فيه أن يكون معلوما للمخاطب أو منزلا منزلة المعلوم ، فإنه لا يكون مهماً لإفادته للمخاطب ، وإنما يكون المهم معنى آخر وراءه يلوح به إليه ، لأنه جاهل به ، مصرّ على إنكاره ، كما ترى فى قوله تعالى ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ إنما يتذكر أولو الالباب (\*) فإنه تعريض بدم الكفار وأنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم فى حكم من ليس بنى عقل ، فمن يطمع منهم أن ينظروا وينذكروا كن يطمع فى ذلك من غير أولي الالباب . وكما فى قول الشاعر :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما منجح الأمور بقرة الاسباب  
فاليوم حاجتنا إليك ، وإنما يدعى الطبيب لساعة الاوصاب  
يقول فى البيت الأول إنه ينبغي أن أنجح فى أمرى حين جعلتك السبب إليه ،  
وفى الثانى إنما قد طلبنا الأمر من جهة حين استعنا بك فيما عرض لنا من الحاجة .  
وهولنا على فذلك . كما أن من عول على الطبيب فيما يعرض له من السقم كان قد أصاب فى عمله .

#### مقام العطف والتقديم :

وأما القصر بالعطف والتقديم فهو كما قال صاحب الاطول (١) يأتى فيما يأتى له القصر بالاستثناء من النفي ، كما يأتى فيما يأتى له القصر بإنما ، كما فى قوله تعالى ولما بك نعبد ولما بك نستعين ، وقول الشاعر :

سيزكرنى قومي إذا جدّ جدّهم وفى الليلة الظلماء يؤتقن قدّ البدر

وكما فى قول بعضهم :

ليس اليتيم الذى قد مات والداه بل اليتيم يقيم العلم والأدب

(٥) سورة الزمر آية ٩ (١) حاشية الجنانى على شرح السعد ص ٢٧٢ ج ١

مع قول الآخر :

وما شاب رأسي من سنين تناهت<sup>١</sup> على<sup>٢</sup> ولكن شيبني الوقائع<sup>٣</sup>  
وإذا كان هذا متامهما في القصر ، فلا شك أنه في البلاغة دون مقام القصر  
بالاستثناء والقصر يائها ، لما يمتازان به عليهما من هذه الفروق الدقيقة .

اجتماع أداتي القصر :

وقد يجتمع في الكلام أداتا قصر على حكم واحد عند قصد زيادة التحقيق  
والتأكيد ، كما سبق في قول الشاعر :

إلى الله أشكر لا إلى الناس أنى أوى الأرض تبتى والأخلاء تذهب<sup>٤</sup>

اجتمع فيه من أدوات القصر التقديم والعطف ، ومن ذلك قول الآخر :

أسامياً لم تزد<sup>٥</sup> معرفة وإنما لذة ذكرناها

اجتمع فيه إنما والتقديم ، كما اجتماعاً أيضاً في هذا البيت :

ألا فليمت<sup>٦</sup> من شاء بعدك ، إنما عليك من الأقدار كان حذاريا

ولا يجوز في ذلك لغة اجتماع الاستثناء من النفي مع لا العاطفة ، لأن شرط  
النفي بلا ألا يكون منفيّاً قبلها بغيرها ، وقد وقع في هذا الحريرى في قوله :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يوم<sup>٧</sup> على ما تجلسي يومه لا ابن أمسه

ولا يحسن اجتماع إنما ، مع لا ، العاطفة إذا كان الحكم في نفسه مختصاً  
بالمحكوم عليه ، لأنه لا يكون هناك حاجة إلى تأكيد القصر ، كقوله تعالى ﴿ إنما ﴾  
يستجيب الذين يسمعون والموتى يبشهم الله ثم إليه يرجعون ﴿\*)﴾ فإن كل عاقل يعلم  
أن الاستجابة لا تكون إلا من يسمع<sup>(١)</sup> ، والسكاكى يمنع في هذا اجتماع لا ،  
مع « إنما » ، ولعله هو الحق ؛ لأن اجتماع أداتي القصر يكون لقصد زيادة  
التحقيق والتأكيد ، ولا داعى إلى ذلك هنا .

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٩ (٥) الآية ٣٦ سورة الأنعام .



## ٣ - الاسناد الاسمي والفعل

الفرق بينهما عند عبد القاهر :

إن الفرق بين الاسناد إذا كان بالاسم وبينه إذا كان بالفعل هو كما قال عبد القاهر (١) ، فرق لطيف تسم الحاجة في علم البلاغة إليه ، وبيان أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضى تجدد شياً بعد شيء ، وأما الفعل فهو موضوعه على أنه يقتضى تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء ، فإذا قلت « زيد مطلق » فقد أثبت له الانطلاق من غير أن تجعله يتجدد منه شيئاً فشيئاً ، وكنت في هذا كما تقول زيد طويل وعمره صغير ، وإذا قلت « زيد ينطق » فقد جعلت الانطلاق يقع منه جزءاً لجزء ، وجعلته في هذا بحيث يزاوله رزقيته .

مقامات الاستمرار التجديدي في الفعل :

والحق أن الفعل لا يفيد الاستمرار التجديدي في كل المقامات ، ولا في كل أنواعه الثلاثة (الماضي والمضارع والأمر) ، وإنما موضوعه في ذلك على إفادة التجدد بمعنى حصول الشيء بعد عدمه ، ولا يفيد الاستمرار التجديدي إلا إذا كان فعلاً مضارعاً ، ولا يكون هذا إلا في مقامات خاصة تستدعيه ، وهي مقامات الفخر والمدح والهجاء ونحوها ، مثل قول طريف بن تميم العبدي :

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عُسْكَاظَ قَبِيلَةٍ بِعَشَا إِلَى عَرَفَمَ يَتَوَسَّمُ

أى يتفرد في وجوه القوم ويتوسمها وقتاً بعد وقت لعله يهتدى إلى معرفتي ، ونحو قول المتنبي :

مَنْ بَرُّ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كَفُّهُ وَإِسْ لَهْ يَوْمًا عَنِ الْجُودِ شَاغِلُ

فتمام المدح يدل على أن تدبير الملك ديدنه في كل وقت ، ويمنع أن يكون المراد أن ذلك يحصل منه مرة واحدة ، وكذلك قول الآخر :

نُرُوحٌ وَنَعْدَرُ لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقُضِي

(١) دلائل الإعجاز ص ٩٤

مقامات الاستمرار المتصل في الاسم :

وقد تفيد الجملة الاسمية الدوام والاستمرار في مثل المقامات السابقة أيضا ،  
ولكن الاستمرار في الجملة الاسمية استمرار متصل لا تجددى ، مثل قوله تعالى  
{ وإنا أنزلناه من قبلنا } (١) ومثل قول المنصور بن مرقية :  
لا يَأْلَفُ الدرهمُ المضروبُ مصرَنا لَسكنُ يمرُّ عليها وهو منطلقُ

فهم يريد أن دراهمهم دائماً الاطلاق إلى المعوزين وأرباب الحاجات ، وقد ساق  
عبد الفاهر (٢) هذا البيت شاهداً على ما ذكره من إعادة الاسم إثباتاً للمعنى للشيء  
من غير أن يقتضى تجدده شيئاً وشيئاً ، ولم يعم باثبات معنى الدوام والاستمرار  
فيه كما عني به غيره . وإني أرى أنه لو قبل في ذلك ( ينطلق ) لأفاد من الاستمرار  
التجدد ما يناسب مقام الفخر أيضاً . لكن الاستمرار المتصل أبلغ منه كما لا يخفى .  
وإذا كان وضع الجملة الاسمية على إعادة الثبوت ، ووضع الجملة الفعلية على إعادة  
التجدد ، فإن الجملة الاسمية تدل في ذلك على معنى أوفى مما تدل عليه الجملة الفعلية ،  
ولهذا ذهب بعضهم إلى أن الجملة الاسمية تفيد تأكيد المعنى ، وقد تؤثر الجملة الاسمية  
من أجل هذا في بعض المقامات على الجملة الفعلية ، كما سبق في قوله تعالى { وإذا  
لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم } (٣) وكما في قوله  
تعالى { ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء  
بعجل حنيذ } (٤) إذ أصل الأول : نسلم سلاماً ، وتفسير الثاني : سلام عايضكم ،  
كان إبراهيم عليه السلام أراد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به ، أخذاً بأدب الله  
تعالى في قوله { وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها } (٥) .

وكذلك قوله تعالى { قالوا أجهنما بالحق أم أنت من اللاعبين } (٦) أى أحدثت  
عند تعاطي الحق فيما نسمعه منك أم اللعب وأحوال الصبا بعد مستمرة عليك ؟  
وقوله تعالى { ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين } (٧)

---

(١) القلم : ٤ (٢) دلائل الإعجاز ص ٩٤ (٣) سورة البقرة : ١٤ .  
(٤) هود : ٦٩ . (٥) النساء : ٨٦ . (٦) الأنبياء : ٥٥ .  
(٧) البقرة : ٨ .

أجاب قولهم (آمننا) بقوله (وما هم بمؤمنين) لإخراج ذواتهم من جنس المؤمنين  
مبالغة في تكذيبهم ، ولهذا أطلق قوله (مؤمنين) وأكد نفيه بالباء ، ونحوه  
قوله تعالى (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) (١)

### استعمال المضارع فى مقام الماضى :

وقد يستعمل الفعل المضارع فى مقام الفعل الماضى لأغراض منها قصد  
استحضار صورته لغرابته فيها أو نحوها ، كما فى قوله تعالى (والله الذى أرسل  
الرياح فتشهر سحابا فسقناه إلى بلد ميسج فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك  
النشور) (١) إذ قال (فشهر) استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة  
الباهرة ، وكما فى قول تأبط شراً :

الآمن مبلِغٌ فيانَ فَنَهمَ      بما لا قيتُ عندَ رَحاِطَتانِ  
بأنسى قد لقيتُ الغولَ تهوى      يستهب كالصحيفة مخصحان (٢)  
فقلتُ لها كلانا نضو أرض (٣)      أخو سفير فختلنى لى مكافى  
فشدتُ شدةً نحوى فأهوتُ      لها كمتى بمصقول يمان  
فأضربُها بلا دهمش فخرتُ      صريعاً للبدن وللجيران (٤)  
إذ قال د فاضربها ، لذلك أيضا ، وسيأتى لذلك أغراض أخرى فى الكلام على  
لو من أدوات الشرط .

### استعمال الماضى فى مقام المضارع :

وقد يستعمل الماضى فى مقام المضارع لأغراض منها الإشارة إلى تحقق وقوع  
الفعل ، كما فى قوله تعالى (أتى أمر الله فلا تستمجلوه سبحانه وتعالى عما  
يشركون) (١) فأتى فيه بمعنى يأتى ، ومنها الأغراض الآتية فى استعمال الماضى  
شرطا لأن عند الكلام على النقيض - بأدوات الشرط .

(١) السهب : يفتح السين المعلاة ، والصحيحان : ما استوى من الأرض .

(٢) النضو : المزول .

(٣) الآية ٣٧ سورة المائدة .

(٤) الجران : فى الأصل مقدم هتق البعير من مذبحه إل منهجه .

## ٤ - أغراض الاسناد الخبرى

### الأغراض الأصلية :

الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين : أولهما إفادة المخاطب حكمه ، ويسمى ذلك عندهم فائدة الخبر كقوله ﷺ الخيل معهود في نواصيها الخير . وثانيهما إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم ، ويسمى ذلك عندهم لازم فائدة الخبر ، مثل قولك لمن يخفى زواجه عليك ، أنت تزوجت ، ، والأخبار التي تلقى في أحد هذين الغرضين يقال في مقام جعل المخاطب بفائدة الخبر أو لازم فائدته ، فتلقى على أصلها بدون زيادة شيء فيها من تأكيد ونحوه ، وهي الأخبار السائرة بين الناس في قضاورهم ومخاطبتهم .

### الأغراض غير الأصلية :

وقد يلقى الخبر لأغراض أخرى غير هذين الغرضين تستفاد من سياق الكلام ، وذلك يكون عند علم المخاطب بهما ، فلا يكون الغرض عن الخبر إفادتهما ، وإنما يكون الغرض واحدا من تلك الأغراض الأخرى ، فمنها إظهار الفرح والسرور كقول الشاعر :

هنا محاذك الدوام المقدما فما عبت المحزون حق تبسما

ومنها إظهار الأسف والحسرة على فائت كقول الشاعر :

ذهب الذين ميماش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر

ومنها إظهار الضعف والخشوع كنول الشاعر :

إلى عبسك العاصي أنا كما مقراً بالذنوب وقد عصا

ومنها التوبيخ كقول أمانة الخثعمية لابن الدثيمة :

وأنت الذي أخلفني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم

ومنها إظهار الامتثال في قوله تعالى ﴿ وما تلك يمينك يا موسى ، قال هي عصا أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ﴾ (\*) فلا يقصد موسى

(\*) الآية ١٨ سورة طه .

بما قاله إلا إظهار الامتثال لربه ، وليس في هذا إعلام بفائدة الخبر ولا بلازم فائدته ، لامتناع الجهل في حق الله تعالى .

ومنها قصد الوعظ والإرشاد في نحو قوله تعالى ﴿ كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ (٥) .

وفائدة الخبر تفهم من ذات الخبر ، ويدل عليها لفظه دلالة أصلية ، وما عداها من أغراضه يفهم من السياق أو نحوه ، ودلالة الخبر عليه دلالة تبعية مثل دلالة الألفاظ على المعاني غير الأصلية ، فلا توصف بأنها حقيقة ولا مجاز ولا كناية ، وقيل إن الخبر في مثل إظهار الفرج والسرور ونحوه من الأغراض بمعنى الإنشاء ، فيكون المقصد منه الدعاء أو نحوه ، وقد أوتل في هذا قول امرأة عمران ﴿ رب انى وضعتها انى ﴾ (١) بمعنى تقبل منى وهكذا .

---

(٥) الآية ٢٧ سورة الأنفال .

(١) الآية ٣٦ آل عمران .

# أحوال الطرفين والمتعلقات

## ١ - الذكر

الذكر ضرب من الاطناب :

ذكر الاستاذ أحمد المراغى (١) أن هذا الباب لم يتعرض له كثير من أئمة الفن ، كأبي هلال العسكري وعبد القاهر ، وكأنهم لم يروا فيه من اللطائف والمزايا ما يسبغ البحث عنه في علوم البلاغة ، وأول من عنى بذكره السكاكي ومن هذا من المتأخرين حذفوه ، وإنى أرى في هذا أن باب الذكر كان يدخل عند المتقدمين في باب الاطناب ، لأن الذكر ضرب من ضروبه .

وإنما يكون الذكر باباً من أبواب البلاغة إذا وجدت قرينة تدل على المذكور عند حذفه ، فلا يكون ذكره في هذه الحالة واجباً ، ويكون محتاجاً إلى تكملة ترجع ذكره على حذفه .

مقامات الذكر :

ومن مقامات الذكر زيادة الكشف والايضاح ، كما في قوله تعالى ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ (٢) ذكر اسم الإشارة ثانياً للتنبيه على أنهم كما ثبت لهم الاستئثار بالهدى ثبت لهم الاستئثار بالفلاح ، وكما في قوله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ (٣) وقوله ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴾ (٤) ومثل هذا من باب الاظهار في مقام الإيضاح أيضاً ، ومنها بسط الكلام في مقام يقتضى التبسيط ، إما لأن الإضفاء من السامع مطلوب للتمكلم ، كما في قوله تعالى ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ﴾ ، قال هي عصا أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ﴾ (٥) فكان يكفيه في الجواب أن يقول (عصاى) ، ولكنه يكلم رب العزة ، ومن يظفر بهذه المنزلة يكون

(١) علوم البلاغة ص ٨١ د المطبعة الحديثة .

(٢) سورة البقرة : آية ٥ . (٣) سورة الزخرف : آية ٩ .

(٤) سورة الاسراء : آية ١٠٥ . (٥) سورة طه : آية ١٧ .

الاستماع مطلوباً له ، ولهذا زاد في الجواب عما طلب منه . وإما لأن المقام مقام  
افتخار أو نحوه ، كقول البارودي :

أنا مصدرُ الكلام البرادي      بين المحاضر والنوادي  
أنا فارسُ أنا شاعرُ      في كلِّ ملحمةٍ ونادي

وكقول العرجي (أو مجنون ليلى) :

يا ظبياتِ القاعِ قلن لنا      ليلاي منكنَّ أم ليلى من البشر

وكقول ليلى الأخيالية في مدح الحجاج :

إذا نزل الحجاجُ أرضاً مريضةً      تتبَّع أقصى دأبها فشفاهها  
شفاهها من الداء العُضالي الذي بها      غلامٌ إذا هزَّ القناة سقاها

ومنها التعريض بغياوة السامع ، كقوله تعالى ﴿ قالوا أأنـت فعلت هذا يا لـهـتـنا يا إبراهيم ، قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ (١) كان يكفيه أن يقول ﴿ بل كبيرهم ﴾ ولكنهم أغبياء لا تكفيهم القرينة السابقة ، فأعاد ذكر الفعل تعريضاً بغياوتهم .

ومنها التسجيل على السامع فيما يشكره حتى لا يخاف له إنكاره ، كقول الفرزدق  
لهشام حين أنكر معرفته زين العابدين :

هذا ابن خير عبادِ الله كلهم      هذا التقى النقى الطاهر العـام  
ومنها المبالغة في الرد على المخاطب إذا كان يشكر محبة ما يقال له ، أو كان  
حالُه شديداً بذلك ، ومن الأول قوله تعالى ﴿ وضرب لنا مثلاً ونمى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ (٢)  
ومن الثاني قوله تعالى ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير  
ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ (٣) .  
وفي هذه النكات التي ذكرناها كفاية في ذلك ، وقد أعرضنا عن النكات  
الضحوية التي يذكرونها هنا ، لأنها لا تدخل في هذه العلوم كما سبق بيان ذلك  
في موضعه .

(٣) الأمثال : ٧ .

(٢) يس : ٧٨ .

(١) الأنبياء : ٣ .

## ٢ - الحذف

### مزايا الحذف :

الحذف ضرب من الإيجاز كما أن الذكر ضرب من الإطناب ، وهو كـل قال عبد القاهر (١) : « باب دقيق المسلك لطيف المأخذ ، عجيب الأساليب بالسير تروى به ترك الذكر والصمت عن الأثارة أزيد للإفادة ، وتجهدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين ، وإذا كان الذكر لا يعد من أبواب البلاغة إلا عند وجود قرينة يمكن بها الاستغناء عنه ، فإن الحذف أيضاً لا بد فيه من قرينة تدل على المحذوف وإلا كان تعمية وإغازا ، وهو ضربان : ضرب يظهر عند الإعراب كقولهم ( أهلاً وسهلاً ) فإن النصب يدل على ناصب محذوف ، وضرب لا يظهر بالإعراب ، وإنما يعلم مكانه بتصريح المعنى وتوقفه عليه ؛ كقولك « فلان يعطى ويمنع » أى كل أحد ، وهذا إذا قصد من الحذف التعميم كما سيأتى ، وللحذف فى الضرب الثانى من الحسن والأريحية ما لا يوجد فى الضرب الأول .

### مقامات الحذف :

وللحذف مقامات عامة فى الطرفين والمتعلقات ، ومقامات خاصة بالمتعلقات من المفعول به وغيره ، أما الأولى فمنها قصد الاختصار والاحتراز عن العبث لوجود القرينة ، وهى نكتة عامة فى جميع مقامات الحذف كما هو ظاهر ، ولكنها تستأثر بالحذف هنا وحدها ، كقوله تعالى ﴿ وما أدراك ما هية ، نار حامية ﴾ أى هى نار حامية ، وقوله ﴿ يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أسقى أن يرضوه . إن كانوا مؤمنين ﴾ أى والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ، ويجوز أن يكون ﴿ أحق أن يرضوه ﴾ خبراً عنهما ، وتوحيد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله . وكقولك أصفيت إليه أى أذنى ، وأغضيت عليه أى بعصرى — وعليه قوله تعالى ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك . الآية ﴾ أى أرنى ذاتك ، وأما قوله تعالى ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح

(١) دلائل الإعجاز ص ٨٠



ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) (\*). الآية . فقد قال الزمخشري فيه : فإن قلت كل قول يقال بالفم فما معنى قوله (ذلك قولهم بأفواههم) ؟ قلت فيه وجهان : أحدهما أن يراد أنه قول لا يعنده برهان ، فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته ، والثاني أن يراد بالقول المذهب ، كأنه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم ، لأنه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر فيها .

ومنها ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب شعراً أو توجع وتضجر ، كقول الشاعر :

قال لي كيف أنت ؟ قالت عايلٌ سهرٌ دائمٌ وحنٌ طويلٌ  
أى أنا عليل ، وسألى سهر دائم وحن طويل . وكقول ضابي البُرجمي :  
ومن يبكُ أمسى بالمدينة رحلهُ فإني وقيسار بها . لغريب<sup>(١)</sup>

أى وقيار كذلك ، ولا يصح أن يكون قيار معطوفاً على محل اسم إن (لغريب) خبر عنها ، لا محتاج للعطف على محل اسم إن قبل مضى خبرها ، ولا يجوز أيضاً أن يكون (لغريب) خبراً عن قيار ، وخبر إن هو المحذوف ، لأن خبر المبتدأ الغير المنسوخ لا يقترب باللام إلا في الشذوذ .

ومنها تعين المحذوف وعدم احتمال غيره حقيقة أو ادعاء ، وهذا يكثر في مقام الفخر والمدح وغيرهما كقوله تعالى (لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً)<sup>(٢)</sup> أى لينذر الكافرين ، فذهبهم لأن الإنذار لا يكون إلا لهم ، وذكر المؤمنين تشریفاً لهم ، وإن كان التبشير أيضاً مختصاً بهم ، وكقول الشاعر :

كسيتُ إذا صعدت المنابر أو نضاً قلماً شأى الخطباء والكتّاب<sup>(٣)</sup>  
وكقول ليلى الأخيلية :

أحجّاجٌ لا يفلس سلاحك إنما الـ حنايا بكف الله حيث تراها  
أى لا يفلس الله سلاحك ، وهذا من حذف الفاعل وإنابة المفعول عنه ، وهو

(\*) سورة النوبة آية ٣٠

(١) الرجل : المنزل والمأوى ، وقيار : اسم فرسه أو غلامه .

(٢) نضاً : جرّ ، وشأى : سبق . (٣) سورة الكهف آية ٢

داخل في باب الحذف أيضاً ، وهم يذكرون في علم النحو نكاته من العلم بالفاعل أو جملة أو الخوف منه أو عليه ، ولكن موضعها الأصلي هذا العلم .

ومنها صون المحذوف عن اللسان تعظيماً له ، أو صون اللسان عنه تحميراً له كقول الأقيشر الأسدي في ابن عم له وهو سر سألته فتمعه ثم لطمه على وجهه :

سريعٌ إلى ابن العمِّ بلطمٍ وجهه      وليس إلى داعي الندى بسريعٍ

حريصٌ على الدنيا مضيقٌ لدينه      وليس لما في بيته بمضيقٍ

وكقول الذابغة الذبياني في الغساسنة :

ملوكٌ وإخوان إذا كمدحتهم      أحسبكم في أموالهم وأقرب

وكقول عائشة رضي الله عنها : كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ، فما رأيت منه ولا رأي مني ، أي العورة .

ومنها اتباع الاستعمال الوارد بالحذف ، كقولهم في المثل دَرَمِيَّةٌ من غير رام ، أي هذه رمية ، فينطق به كما ورد لأن الأمثال لا تغير .

وكذلك اتباع الاستعمال الوارد على ترك نظائره ، كما في الرفع على المدمج أو الدم أو محوهما ، فإن المسند إليه لا يكاد يذكر في ذلك ، فيقولون بعد أن يذكروا المدموج ، غلام من شأنه كذا وكذا ، أو دفع من شأنه كيت وكيت ، كما قال ابن عتقاء الفزاري يمدح مصعب بن عمير وقد شاطره ماله لما رآه معوزاً

رأني طي ما بي مصعب بن عمير فاشتكي      إلى ماله حال أسر كما يجهر

غلام رماه الله بالخير يافعا      به يسمي يام لا يتشقق على البصر

ومن ذلك في حذف المسند قول أدهش قيس :

إن كهلاً وإن ممرت جحلاً      وإن في السفر إذ مهنوا مهلاً

لا تتراد حذف المسند مع تكرار إن وتعداد أسماء والحذف لا يباع الاستعمال واجب فهو ، ولكنه يصار إليه في أصله لمكانة بلاغية تقصصية .

ومنها المحافظة على السجع كقولهم دهن طابت سيرته ، حميت سيرته ، فلو قالوا حمه الناس سيرته لفات هذا السجع ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ والضحى والليل إذا

سبحي ، ما ودعك ربك وما قلى (\*) أى قلاك ، ويجوز أن يكون في هذا أيضا صونه عن التصريح بإبقاع لفظ قلى ، عليه مبالغة في تنزيهه عنه ، ولأنى أرى في عدد نكتة المحافظة على السجع من نكتات الخاف خلطا بين مسائل علم البديع ومسائل هذا العلم .

#### الحذف للسجع من علم البديع ؟

وإذا كانت المحافظة على السجع غير واجبة من جهة بلاغة الكلام ، فإنه لا يصح ذكرها في العلم الذي لا يبحث فيه إلا عن النكات الواجبة فيها ، ولو أنهم قالوا : من طابت سيرته ، حمد الناس سيرته ، لكان كلاما بليغا وإن قاته من ذلك السجع ما قاته ، لأن الحذف في هذا لنكتة بديعية ، وليس لمقتضى المقام الواجب مرطاته في البلاغة .

#### مقامات حذف المفعول ؟

وأما المقامات الخاصة بحذف المفعول ونحوه : فنما تنزله منزلة اللازم حيث يكون الغرض ذكر الفعل دون متعلقه ، كقوله تعالى ( قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ) (١) فالمفعول هل يستوى من له علم ومن لا علم له ، وقوله : ( وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمارت وأحيا ) (٢) وفي هذا المقام لا يكون للفعل مفعول مخصوص مقصود ، بخلاف غيره من المقامات الآتية .

ومنها قصد توفر العناية على إثبات الفعل للفاعل دون المفعول لغرض من الأغراض ، كقول البحتري يمدح المعز بالله ويعرض بالمستعين بالله :

شجـو حـساده وغيـظ هداه أن يرى مبصره ويسمع وإرهى

فالمراد أن يرى مبصر محاسنه ، ويسمع وإره أخباره ، ولكنه حذف ذلك لتوفر العناية على إثباته للفاعل ، ويوهم أن المراد أن يكون ذو رؤية وذو سمع ، لأن محاسنه وأخباره مشهورة ، فلا يقع البصر إلا عليها ، ولا يدخل في السمع غيرها ، وكقول عمرو بن معديكرب :

فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقـت ولكن الرماح أجرت (٣)

(١) سورة الضحى آية ١ (٢) سورة الزمر آية ٩ (٣) سورة النجم آية ٣  
(٤) أجـر في الأصل بمعنى شق لسان الفصيل أملا يوضع أمه ، والمراد هنا أنها قطعت لسانه عن مدحهم .

فالمراد أجزأني ، واسكنه حذف المفعول لذلك أيضا ، فيوهم أن إجمارها كان  
عاماً آله ولنيره .

ومنها البيان بعد الإبهام ليسكون أوقع في النفس ، كما في قول البحتري :  
لوشئت لم تشفسد سباحة حاتم كرماء ولم تهدم مآثر خالد  
فإن تقديره لو شئت ألا تفسد سباحة حاتم لم تفسدها ، واسكنه حذف المفعول  
في الأول ، لأنه متى قال لوشئت ، علم السامع أن هاهنا شيئاً تعلقت المشيئة بوجوده  
أو عدمه ، فإذا صرح به بعد ذلك كان أوقع في نفس سامعه ، وهذا الحذف مطرد  
في فعل المشيئة ما لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة ، فإذا كان في تعلقه به غرابة وجب  
ذكره ، كقول إسحاق النخعي يرمى يرثي حفيده :

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيتك عليه ولكن ساحة الصبر أوسع  
وأما قول علي بن أحمد الجوهري :

فلم يبق من الشوق غير تفكركي فلو شئت أن أبكي بكيتك تفكركي  
فليس منه ؛ لأن المراد بالاول البكاء الحقيقي ، والبكاء الحقيقي لا غرابة فيه ،  
ولما ذكر لأن المراد بالثاني بكاء التفكير ، فلا يصلح تفسيراً له عند حذفه ، وقيل  
إنه يجوز أن يكون المعنى فلو شئت أن أبكي تفكركي بكيتك تفكركي ، على التنازع ،  
ولكن المعنى الأول أبلغ .

ومنها دفع أن يتوهم السامع في أول الأمر إرادة شيء غير المراد ، كقول  
البحتري :

وكم دُدت هفتي من تحمل حادث وسورة أيام حزن إلى العظم  
أي حزن اللحم ، ولما حذف لئلا يتوهم السامع قبل ذكر العظم أن الحزن لم  
يصل إليه ، ولأنها إذا وصلت إلى العظم فلا بد أن تكون حوت اللحم ، فذكر العظم  
يعني عن ذكره .

ومنها إرادة ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه لإظهار  
لكمال العناية بوقوعه عليه ، كقول البحتري :

قد طلبنا فلم نجد لك في السُّور دَرَج والمجد والمكانم مثلاً  
 أى قد طلبنا لك مثلاً ، لحذفه لأنه أراد أن يوقع نفى الوجود على صريح  
 لفظه لا على ضميره اهتماماً به ، لأجل هذا المعنى عكس ذو الرُّمة في قوله :

ولم أمدح لأرضيه بشعري لئلا أن يكون أصاب مالا  
 لأن فرضه إيقاع نفى المدح على اللثيم صريحاً دون الإرضاء ، ويجوز أن يكون  
 سبب الحذف في بيت البحتري قصد البيان بعد الإبهام ، أو قصد المبالغة في التأوب  
 مع الممدوح بترك مواجهته بالتصريح بما يدل على تجويز أن يكون له مثل ، لأن  
 العاقل لا يطلب إلا ما يجوز وجوده .

ومنها قصد التعميم في المفعول مع الاختصار ، مثل قوله تعالى ﴿ والله يدعو  
 إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ (١) أى يدعو كل أحد ، ولا شك  
 أن التعميم موجود مع ذكره ولكنه لا اختصار معه ، والحذف له في ذلك تأثير في  
 الجملة ، وهذا من جهة أن تقدير مفعول خاص فيه دون آخر ترجيح بلا مرجح  
 فيكون الحل على العموم أولى .

### ٣ — التعريف والتذكير

#### مقامات التعريف والتذكير :

للتعريف مقامه الذي يرجحه على التذكير ، كما أن للتذكير مقامه الذي يرجحه على  
 التعريف ، وإنه ليدبين الفرق بينهما جلياً في قوله تعالى ﴿ وجاء رجل من أقصى  
 المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك لينتفلك فاهرج إلى لك من  
 الناصحين ﴾ (٢) فإنه لما كان لا يتعلق بتعيين هذا الرجل غرض جىء به منكراً ، ثم إنه  
 لا بد أن يكون أتى إلى موسى في خفية خوفاً على نفسه ، فكان التذكير أنسب بحاله ،  
 أما المدينة فمررت لأن المراد بها مدينة فرعون ، ولا بد من تعريفها لتعيين بها هذه  
 الحوادث التي وقعت لموسى فيها ، وأما الملأ فمررت لأن المراد بهم ملأ القتل الذي  
 قتله ولا بد من تعريفهم ليعرف موسى قوة الخطر المحدق به ، فيسمع الفصح الذي يوجه  
 له ، فمقام التعريف يكون حيث يطلب تعيين المقصود في الكلام ، وهذا هو مقام

(٢) سورة القصص : ٢٠

(١) سورة يونس : ٢٥

مطلق التعريف ، وستأتي له مقامات خاصة بأنواعه من الضمائر ، والأهلام ، والأسماء الموصولة ، وأسماء الإشارة ، والأسماء المعرفة باللام ، والأسماء المعرفة بالإضافة . ومما التنكح يكون حيث لا يطلب تعيين المقصود في الكلام ، وهذا هو المقام الأصلي فيه ، وستأتي له مقامات أخرى غيره .

### مقام الضمائر :

الأصل في الضمائر أن تكون للدلالة على تكلم أو خطاب أو غيبة ، وهذه هي معانيها النحوية المعلومة ، وقد يشعر ضمير المتكلم ( أنا ) باعتداد المتكلم بنفسه كما أشار إلى هذا بعض الشعراء :

إنّ الفقى من يقول هأنذا ليس الفقى من يقول كان أبى

ومن ذلك قول بشار :

أنا المرء عت لا أخفى على أحد ذررت بنى الشمس للقاصى ولله أنى (١)

وقد يبالغ المتكلم في تعظيم نفسه فيضع لها ضمير جماعة المتكلمين (نحن) ، ويمكن أن يكون من هذا قول عمرو بن أمية القيس الخزرجي :

نحن بما عفسدنا وأنفع بما هددك راض والرأى مختلف

وكذلك ضمير الخطاب قد يشعر بمثل ما يشعر به ضمير المتكلم وراء معناه الأصلي ، فإن الأصل في الخطاب أن يكون لمشاهد معين ، ولكنه قد يخاطب به غير المشاهد بتنزيله منزلة المشاهد ، ولشعار أنه دائم الحضور بالقلب ، مثل قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) (٢) وقول ابن زيدون :

بنيتهم ونبتنا فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم ولا سفت ما قينا

وقد يخاطب به غير المميز ليعم كل من يمكن مخاطبته على سبيل البدل ، لا على طريق التناول دفعة واحدة ، وقد قيل إن هذا يجوز في استعماله ، والحق أنه ليس من التجوز ، لأن المجاز لا يأتي في الضمائر وأشباهاها ، ومن ذلك قوله تعالى (ولو ترى إذ يجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لنعمل

(١) المرء مأخوذ من الرعثة وهي القوط ، لقب بذلك لرعثة له كانت في صغره ،

وذرت : طلعت . (٢) الفاتحة : ٦ ، ٥ .

صالحا إنا موقنون) (١) فقد أخرج الكلام في صورة الخطاب مع إرادة العموم تضييقا  
إلى تفضييع عالم ، وأنها بلغت الغاية في الظهور بحيث لا تخفى على أحد ، ومن ذلك  
قول المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا  
والأصل أيضا في ضمير الغائب أن يعود إلى مذكور في الكلام أو ما هو في حكم  
المذكور ، كما في قوله تعالى (اعدلوا هو أقرب للتقوى) (٢) أى العدل المفهوم من  
قوله (اعدلوا) وقد يعود ضمير الغيبة إلى غير مذكور لفظا أو حكما ، كما في باب  
نعم وبئس ، وباب ضمير الشأن والقصة ، مثل قوله تعالى (فإنها لا تعمى الأبصار  
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) (٣) وقول الشاعر :

نعم امرأة هريم لم تسعثر نائبة إلا وكان لمرتع بها وزرا  
وفائدة هذا النوع من البيان تمكين المعنى في نفس السامع بما فيه من نكتة  
الاجمال ثم التفصيل ، وقد يعود ضمير الغيبة إلى غير مذكور أيضا إذا أريد  
الاشعار بأنه دائم الحضور في ذهن في مقام النخل أو نحوه ، كقول الشاعر :

أبت الوصال مخافة الرقباء وأنتك تحت مدارج الظلماء  
وقد تكون نكتة ترك ذكرها لإخفاء أمرها ، حتى لا يعرفها أولئك الرقباء  
فينمونها عليها ، وسيأتى في باب الإيجاز عدة هذا الإيجاز نوما منه .

#### مقام العلم

والأصل في الأعلام أن تكون للدلالة على معين بذاتها كما هو معناها النحوى  
ولكنها قد تشعر مع هذا بمدح أو ذم أو نحوه ، كما في الألقاب والكسنى المحمودة  
أو المنمومة مثل قوله تعالى : (تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما  
كسب) (٤) وكان اسمه عبدة المزى ، فمدل عنه إلى كديته إهانة له .

مقام الموصول :

والأصل في الأسماء الموصولة أن تكون لتعيين المعنى المراد منها بصلاتها ،  
ولكنها قد تشعر مع هذا بنوع من التفضيم تقصد من أجله ، مثل قوله تعالى :  
(فغشاها ما غشى) (٥) وقول أبي نواس :

(١) السجدة : ١٢	(٢) المائدة : ٨	(٣) الحج : ٤٦
(٤) المسد : ١ ، ٢	(٥) النجم : ٥٤	

ولقد نهزت مع الغزاة بدلوهم وأسمت سرح اللحظ حيث أساموا  
وبالغت ما بلغ أمرؤ به بشباهه فإذا عصارة كل ذلك أنام (١)  
وقد يكون في صلاحها إيماء إلى ما يأتي بعدها فيكون في هذا نوع من الإيهام  
ثم البيان ، كما في قول عبدة بن الطيب :

لن الذين تركوهم لإخوانكم يشفي غليل صدورهم أن تصرعو  
وقد ذكر الخطيب (٢) في هذا البيت نكتة أخرى ذكرها في نكات التعريف  
بالصلة ، وهي نكتة تنبيه المخاطب إلى الخطأ في ظنه ، وإني أرى أن هذه نكتة  
متحملة ولا تكاد تخرج عن نكتة الإيماء السابقة . ومن الإيماء بالصلة أيضا  
قول الفرزدق :

لن الذي سمك السماء بني لنا بيتاً دعائمهُ أدو وأطول  
وقول أبي العلاء :

لن الذي الوحشة في داره تؤنسه الرحمة في لحدّه  
وهو شبيه بالإيماء في بيت عبدة في أن كلا منهما إيماء إلى نقيض ما يرمى  
فيه ، وذلك نوع عجيب من قوة البيان ، وإنه ليفعل في النفس ما يفعل فيها السحر ،  
وقد يقصد بالإيماء أن يتوجه ذهن السامع إلى ما سيخبر به ، حتى يأخذ منه مكانه عند  
اللقاء ، وهذا فن عجيب من قوة البيان أيضاً يسمى التشويق ، كما في قول  
أبي العلاء :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد (٣)  
وقد يستعمل اسم الموصول أيضاً في إخفاء أمر من الأمور لغرض من  
الاعراض ، كما في قول الشاعر :

---

(١) نهزت الدلو : ضربت به في الماء ، وأسمت : رغيت ، والعصارة : ما تلعب  
بها عصر .

(٢) شرح الإيضاح ص ٨٢

(٣) هذا على حذف مضاف والتقدير : معاد حيوان .



وأخذت ما جادَ الأميرُ به      وفضيغهُ حاجاتي كما أهوى  
وقد يستعمل في مقام التهنيت كما يستعمل في مقام التفتيح مثل قوله تعالى ﴿ وقالوا  
يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ (١) .

#### مقام اسم الإشارة :

والأصل في أسماء الإشارة أن تكون لتعيين المشار إليه بإشارة حسية ولكنها  
قد تشعر مع ذلك بتعظيمه وكالظهوره كما في قول ابن الرومي في مدح أبي الصقر :  
هـذا أبو الصقر فرداً في محاسنه      من نسل شيبان بين الضئال والسلم  
وكما في قول الفرزدق يهجو جريراً ويفخر بأبائه عليه :

أولئك آبائي فجئني بهمثلهم      اذا جمعنا يا جريرُ الجامعُ

وقد ذكروا أنه في هذا يعرض بغباوة جرير أيضاً ، ويشير إلى أنه من الغباوة  
بحيث لا تميز الأشياء لديه إلا بالإشارة الحسية .

وقد تستعمل الإشارة القريبة في التحقير كما استعملت في بيت ابن الرومي  
للتعظيم ، كما في قوله تعالى ﴿ واذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً أهذا  
الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كفرون ﴾ (٢) يريدون تحقيره بدنو منزلته وأنه  
لم يكن من ذوى الرياسة فيهم ، وقد تستعمل الإشارة البعيدة للتحقير كما استعملت  
للتعظيم في بيت الفرزدق ، نحو قوله تعالى ﴿ فذلك الذي يدعُ اليتيم ﴾ (٣) يريد  
تحقيره بعدم تربيته منه في الإشارة إليه .

وقد تتضمن الإشارة نوعاً بديعاً من البيان ، فتذكر قبلها أوصاف كثيرة ثم  
تطوى فيها طياً ، ثم يرتب عليها ما يراد ترتيبه على هذه الأوصاف ، وهذا نوع  
من البيان يسلك فيه الأجمال بمد التفصيل ، على عكس البيان بالتفصيل بعد الأجمال  
وذلك مثل قول حاتم الطائي :

وللهُ صعلوكٌ يساورُ همتهُ      ويمضو على الأحداث والدهر مُقْبِداً (٤)

(٢) الأنبياء : ٣٦

(١) الحجر : ٩

(٤) الصعلوك : الفقير ، ويساور : يواثب .

(٣) المساعون : ٢

ففي طلبات لا يرى النقص - ترحة - ولا شبهة - إن نالها عدة مغنا (١)  
 إذا ما رأى يوماً مكارم أعرضت - تيمم - كبراهن - ثمتت - صيما  
 ترى - رعمه - ونبله - ومجته - وذا شطب - غضب - الضريبة - منخما (٢)  
 وأحناء - مرج - قاتر - ولجامة - عتاد - أخى - هيجا - وطرفاً - مسوما (٣)  
 فذلك - لب - يهلك - فحسن - ثناؤه - وإن عاش - لم - يقدد - ضعيفاً - مذمما  
 وقد يستعمل اسم الإشارة لغير الحاضر المحسوس ، بتنزيل الغائب منزلة الحاضر  
 وتنزيل المفعول منزلة المحسوس ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد  
 المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عتيب الذين اتقوا وعقبى  
 الكافرين النار ﴾ (٤) وقوله : ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم  
 من الخاسرين ﴾ (٥) وقول أحمد بن يحيى بن إسحاق الرافدي :

كم عاقل عاقل أعيت مذهباً - وجاهل جاهل تلقاه مرزوقاً  
 هذا الذي ترك الأوهام حائرة - وصير العالم النحرير زنديقاً

اسم الإشارة لا يأتي موضع الضمير :

أي هذا المذكور من حرمان العاقل ورزق الجاهل . وقد جعلوا هذا من باب  
 وضع المظهر موضع المضمهر ، وهو عندي من تنزيل غير المحسوس منزلة المحسوس ،  
 واسم الإشارة في هذا مثل ضمير الخطاب إذا استعمل في غير المشاهد لتنزيله منزلة  
 المشاهد ، وهو أيضاً صالح للإشارة به إلى ما يذكر في الكلام قبله ، ولا يفتقر  
 في هذا عن الضمير في عرده إليه أيضاً .

مقام التعريف باللام :

والأصل في اللام أن تكون لتعريف الحقيقة والجنس ، ولكنها قد يفتقر  
 بها من القرائن ما يجعلها لتعريف العهد ، أو الاستغراق ، فأما التي لتعريف العهد  
 فنعود إلى مذكور قبلها في الكلام ولو بطريق الكفاية ، أو إلى معهود خارجي  
 بين المتكلم والمخاطب ، والأولى مثل قوله تعالى ﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً

(١) الخنص ، الجوع (٢) مجته : ترسه ، الشطب : الخطوط في متن السيف ،  
 غضب الضريبة : قاطع الحد ، والخلم : القاطع بسرعة .

(٣) الأحناء : جمع حنو وهو اسم لفربوس السرج وهذا فربوسان مقدم  
 ومؤخر ، والقاتر الجيد الوقوع على الظم ، والعتاد : العدة ، والطرف الفرس الكريم .  
 (٤) الرعد : ٢٥

(٥) فصلا : ٢٣

عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً، فصلى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً ويلاً (١) وهي من باب وضع المظهر موضع المضمهر، فيقصد منها ما يقصد منه من التأكيد وزيادة التمكن، والثانية يقصد منها الإيجاز والاختصار أو التنويه بشأن الشيء وأنه بحيث لا يجعله أحد، مثل قوله تعالى ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ (٢) فالمراد الشجرة التي سميت بعد شجرة بيعة الرضوان، وقد اكتفى بعدها لهم عن تعييدها بما تعين به من مكان وغيره، وما يفيد التنويه منها بشأن ما دخلت عليه قول الخطبة:

مطاعين للهيجاً مكاشيفاً للدهى بنى لهم أباهم وبني الجد  
وأما التي للاستغراق فإنها تدل عليه مع الاختصار أيضاً، مثل قوله تعالى: ﴿ والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (٣) فالمراد كل إنسان، وهذا مركب من كلمتين، وتلك كلمة واحدة. وما يدق فيه وجه الفرق بين هذه اللامات قوله تعالى: ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيداً ﴾ (٤) فتعريف الناس فيه للاستغراق، والمعنى أنه أرسله لجميع الناس من العرب والعجم لا للعرب وحدهم، لما يفيد من القصر بتدعيم الجار والمجرور على المفعول، وليس تعريف اللام للعهد أو الجدوى، لتلايفيد السلام في الأول قصر رسالته على بعض الإنس، لوقوعه في مقابلة كلهم، وفي الثاني قصرها على الإنس دون الجن ونحوهم.

تعريف الخبير باللام:

وقد تدخل اللام على خبر المبتدأ وتأتي في هذا لغرضين: أولهما قصر الخبر على المبتدأ تحقيقاً أو ادعاء، وهذا مثل قول الأعمى في القصر التحقيني هو الواهب المائة المصطفة - إما مخاضاً وإما عشاراً (٥) والقصر الادعائي مثل قول المتنبي:

(١) الزمل: ١٦ (٢) الفتح: ١٨ (٣) العصر: ٢ (٤) النساء: ٧٩  
(٥) المخاض: الحوامل لا واحد له من لفظه، والعشار: جمع عشاء كنفستاً وزناً ومعنى.

أنت الحبيب، ولكني أهوذا به من أن أكون محبباً غير محبوب  
وثانيهما : الدلالة على ظهوره وأنه لا يخفى على أحد ، ولا ينكره مفكر ، مثل  
قول الشاعر :

أسودت إذا ما أبدت الحرب نابسها وفي سائر الدهر الغيوث الموارط  
وقول الخنساء :

إذا قبّح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا  
ولا يصح حمل التعريف هنا على القصر ، لأن هذا الكلام للرد على من يتوهم  
أن البكاء على هذا القتل قبّح كالبكاء على غيره ، فيكفي فيه إخراجهم من القبح إلى  
الحسن ، ولو كان الكلام للرد على من لم يحسن البكاء على هذا القتل ويدّعى أن  
بكاء غيره حسن أيضاً ، لصح حمل التعريف في البيت على القصر ، ولكن يمنع من  
هذا صدر البيت كما هو ظاهر ، وقد ذكر الفخر الرازي (١) أنه لو جعل مفيداً للقصر  
على وجه الادعاء والمبالغة لم يكن فيه خلل .

#### تعريف المبتدأ والخبر :

والغرض من تعريف الخبر مطلقاً إفادة السامع حكماً بأمر معلوم له ، ولما كان  
يجوز ثبوته للمبتدأ ، وإلا فلا بد أن يكون الخبر مذكراً ، وهو الأصل فيه لأنك إنما  
تخبر بما يجوله المخاطب فتعرفه لإياه ، فإذا قلت زيد أخوك فلا بد أن يكون هذا  
في مقام من يعلم أن له أخاً ، وإسكته يجعل أنه زيد ، وإذا قلت زيد أخ لك فلا بد أن  
يكون في مقام من يجعل أن له أخاً ، والفرق بين قولك زيد أخوك وقولك أخوك زيد  
أن الأول يعرف المخاطب فيه زيدا بميئته واسمه ولا يعرف أنه أخوه ، أما الثاني  
فيعرف المخاطب فيه أن له أخاً ولا يعرف أنه زيد ، وفي كل منهما يتمين في هذا  
العلم أن يكون الأول هو المبتدأ والثاني هو الخبر ، وهذه فروق دقيقة لا يعبرها  
النحويون ، وقد اختلفوا في إعراب ذلك ، والمشهور عندهم أن الأول هو المبتدأ ،  
وقيل إن المبتدأ هو أعرفهما ، وقيل إنه الاسم والوصف خبر ، وقيل إن كلا منهما  
صالح للابتدائية والخبرية .

(١) دراية الإعجاز ص ٤٤

مقام التعريف بالاضافة :

والاصل في التعريف بالاضافة أن يكون لتعيين المقصود بإضافته إلى مدين يعرفه ولكنها مع هذا قد تؤثر على غيرها من المعارف في مقام تكون فيه أخصر منها مثل قول جعفر بن عتبة الحارثي :

هواي مع الركب اليانين مصعد<sup>(١)</sup> سجنيب<sup>٢</sup> وجماني بمكة موثق<sup>(٣)</sup>

فإن قوله ( هواي ) أخصر من أن يقال ( الذي أهواه ) ونحوه ، وهذا مع ما في الإضافة من تقريب محبوبه منه وإفادة اختصاصه به ، ومن ذلك قول مروان بن أبي حفصة في مدح معن بن زائدة وقومه :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لما في غيل خفان أشبيل<sup>(٤)</sup>

وقول الحارث بن وائلة :

قومي هم قتلوا أممهم أحمى فإذا رميت<sup>٥</sup> يصيبني سهمي

فبنو مطر في الأولى ، وقومي في الثاني أخصر طريق للتعريف بالمقصود فيهما ، ولو أريد فيهما التعريف بذكر الأسماء لتعذر ذلك أو تعسر .

وقد تتضمن الإضافة تظليماً أو تحقيراً لشأن المضاف أو المضاف إليهما أو غيرها كما في قول جميل :

أبوك محبوب سارق<sup>(٦)</sup> الضيف برده<sup>٧</sup> وجددي يا حجاج فارس شترا  
وقد تتضمن إشارة إلى استعطاف أو نحوه ، مثل قوله تعالى ( لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده )<sup>(٨)</sup> .

وقد تتضمن الإضافة لطفاً مغازياً إذا كانت لأدنى ملازمة بين المضاف والمضاف إليه كما في قول الشاعر :

(١) هواي : مصدر بمعنى اسم المفعول ، ومصعد : اسم فاعل بمعنى مبعداً وجناب : بمعنى مستتبع من جنب البعير قاده إلى جنبه .

(٢) الغيل : الأجمة ، وخفان : مأسدة الكوفة .

(٣) أصله سارق من الضيف برده لخذي الجار تخفيها وأضيف سارق إلى الجورور

(٤) البقرة . من ٢٣٣

إذا كوكب الخرقاء لاح بسُحرةٍ مُسهِل<sup>(١)</sup> أذاعت فزها في الأقارب  
يصف حقا بأنها لا تذكر كسوة الشتاء إلا إذا دهماء فتستعين عليهما بأقاربها ،  
وقد أضاف إليها هذا الكوكب لأنه هو الذي يذكرها بتلك الكسوة ، والإضافة  
في هذا لادنى ملاحظة كما هو ظاهر .

ولا فرق في هذه المزايا الإضافة بين أن تكون إلى معرفة وأن تكون إلى نكرة ،  
ومع الإضافة إلى نكرة لأجل إفادة التعظيم قول امرأة من بني عامر :

وحرب يضيحُ القومُ من نفثيانها ضجيج الجبال الجملة الدبرات  
سيتركها قومٌ ويصلي بجرهما بنونسوة للشكلى مصطبرات<sup>(٢)</sup>

ومن إضافتها إليها لأجل إفادة التقليل والتحقيق قول القيس الكلابي :

إذا جاع لم يفرح بأكلة ساعة ولم يبتئس من فقدها وهو مسأغب

#### مقامات التنكير

والأصل في التنكير أن يكون الدلالة على فرد منتشر بما يدل عليه ، فإذا  
كانت النكرة مفردة دلت على واحدة ، وإذا كانت مثناة دلت على اثنين ، وإذا كانت  
جماعة دلت على ثلاثة ، وإذا كانت نوحاً دلت على النوعية ، أى فرد من سائر الأنواع ،  
وهذا هو معنى النكرة في النحو ، وقد تدل في هذا العلم على معان وراء هذا المعنى  
ومن هذه المعاني الإشارة إلى أمر غير معهود للناس ، كما في قوله تعالى (نعم  
الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاة ولهم عذاب عظيم)<sup>(٣)</sup> أى نوع من  
الغشاة غير ما يتعارفه الناس ، وهى غشاة النعماني عن آيات الله ، وكذلك قوله  
(وانجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أثمركوا يود أحدهم لو يعمر ألف  
سنة وما هو بمرحح من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون)<sup>(٤)</sup> أى نوع من  
الحياة مخصوص ، هو الحياة الزائدة ، كأنه قيل ولنجدهنم أحرص الناس على أن  
يزدادوا إلى حياتهم في الماضي والحاضر حياة في المستقبل ، ولو عرفت الحياة لكان

(١) بدل من كوكب الخرقاء .

(٢) نفثيانها تراها تفضيه وتطيره في الجو ، والجملة : جمع جميل وهو العظيم  
والدبرات : المسابة بالدبر ، والشكلى : فقد الولد .

(٤) البقرة : ٩٦

(٣) البقرة : ٧

المراد منها أصل الحياة ، وهي حاصلة لهم ، فلا يكون هناك معنى لوصفهم بالحرم عليها ، لأن الانسان لا يوصف بالحرم على شيء إلا إذا لم يكن موجوداً له .  
ومنها الإشارة إلى التعظيم والتحقيق ، كما في قوله تعالى ﴿ ولکم فی القصاص حیاة ﴾ يأولى الالباب لعلمكم تتقون ﴿١﴾ أى حياة عظيمة ، وهذا المنع مما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد حتى اقتدروا عليه ، ويجوز أن يكون المراد نوع من الحياة غريب ، وهو الحاصل للمقتول والقاتل بالارتداع عن القتل ، لأن الانسان إذا هم بالقتل تذكر القصاص فارتدع ، فلم صاحبه من القتل ، وسلم هو من القود فكان القصاص سبباً للحياة نفسين ، وقد اجتمع التعظيم والتحقيق في قول مروان ابن ابى حفصة :

له حاجب عن كل أمر يشينه ، وليس له دن طالب التعريف حاجب  
أى له حاجب عظيم من نفسه يمنعه عما يشينه ، وليس له حاجب ما عن طالب نواله ، وأما قوله تعالى ﴿ يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ﴾ (٢) فيجوز أن يكون المراد عذاب عظيم ، ويجوز أن يكون المراد أدنى عذاب ، وقد اختار هذا الزمخشري ، فإنه ذكر أن إبراهيم عليه السلام لم يخل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه ، فلم يصرح بأن العذاب لاحق له لاحق به ، ولكنه قال ﴿ إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ﴾ (٣) فذكر الخوف والامس ، ونكر العذاب .

ومنها التكثير والتقابل ، وهما معنيان غير التعظيم والتحقيق ؛ لأن التعظيم والتحقيق يرجعان إلى علو الشأن وانحطاطه ، والتكثير والنقليل يرجعان إلى السكثرة والقلّة في الأعداد والمقادير ، ومن هذا قوله ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور ﴾ (٤) أى رسل ذرو عدد كثير ، وإذا كان رسل جمع كثرة ، فإن السكثرة التي يدل عليها التكثير أبلغ من السكثرة التي يدل عليها الجمع لأن كثرة الجمع يسكنى فيها أقل كثرة بخلاف التكثير فإنه يدل على كثرة لا يدرك مقدارها ، ويجوز أن يكون التكثير هنا للتكثير والتعظيم معا ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾ (٥)

(١) البقرة : ١٧٩ (٢) مريم : ٤٥ (٣) فاطر : ٤ (٤) التوبة : ٧٢

أى رضوان قليل منه أكبر من ذلك كله ، لأن لذة الرضا فوق كل لذة .  
ومنها أن يمنع من التعريف مانع فيؤثر عليه التنكير ، كما في قول الشاعر :  
إذا سئمت ممهنته عين لَطولِ الحِلِّ بَدَلَه شَمالاً  
فإن يقل يمينه لكرهته أن ينسب سأمه هذا إلى عين مدوحه ، فنسكتها ولم  
يضعها إليه .

وبهذا نختتم الكلام في التعريف والتنكير ، بعد أن أعرضنا فيه عما لا يفيد  
شيئاً في هذا الفن ، خصوصاً ما أطالوا فيه عند الكلام على التعريف باللام .

## ٤ — التقديم والتأخير

مزايا التقديم :

قال عبد القاهر في هذا الباب من دلائل الإعجاز هو باب كثير الفوائد جم  
الحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، ولا تزال ترى شعراً يروى منك مسجعه ،  
ويألف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن رأتك وألف عندك أن مذكّم فيه  
شئ ، وحول اللفظ من مكان إلى مكان ، وإنما يكون للتقديم هذا الحسن الذي ذكره  
عبد القاهر إذا لم يؤد إلى تعقيد في الكلام ، كما سبق مثل هذا في قول الفرزدق :  
وما مثله في الناس إلا مُسَلِّكاً أبو أمه حتى أبوه يقاربته

تقسيم التقديم :

والقديم يأتي على قسمين : أحدهما تقديم يأتي على أصله في النحو ، ولا كلام  
لنا في هذا التقديم ، وهذا كتقديم المبتدأ المدرف على خبره ، وتقديم العامل على  
معموله ، وكالتوابع فإن أصلها أن تذكر بعد المتبوعات .

وثانيهما تقديم يأتي لمقاهات تقضيها ، وإن أتى في هذا موافقاً لأصله النحوي ،  
كما في قوله تعالى ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم  
في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ﴾ (١)  
وقوله : ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن

(١) المؤمنون : ٣٣ .



يتفضل عليكم ولو شاء لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولى (١) فقد أتى قوله (من قوه) مقدماً في الآية الأولى ومؤخراً في الثانية لماسياً في بيانه في ذلك ، مع أنه قد أتى في موضعه النحوي من الآية الأولى ، لأنه حال من الفاعل قبله ، والموصول بعده صفة له ، ويجوز أن يكون صفة للفاعل كما هو صفة له في الآية الثانية .

وينقسم التقديم الذي يأتي لمقامات تقتضيه إلى قسمين : أحدهما يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ولو أخر لم يتغير المعنى ، وهذا القسم لا يختص بالمفردات من الطرفين ومتعلقتهما ، وثانيهما يختص بدلالة الالفاظ على المعاني ولو أخر لتغير المعنى ، ولنسب الأول تقديماً ذكرياً ونسب الثاني تقديماً معنوياً ، ولنبين بمدى هذا مقامات كل منهما .

#### مقامات التقديم الذكرى :

فأما مقامات التقديم الذكرى فإنها كما قال ابن الأثير (٢) بما لا يحصره حد ، ولا ينتهى إليه شرح ، ومنها تقديم السبب على المسبب كقوله تعالى ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ (٣) قدم العبادة على الاستعانة لأن تقديم القربة والوسيلة قبل طلب الحاجة أنجح للحصول الطالب وأسرع لوقوع الاجابة ، ولو قل إياك نستعين وإياك نعبد لكان جائزاً ولكنه لا يسد ذلك المسد .

#### تقديم الأكثر على الأقل :

ومنها تقديم الأكثر على الأقل ، كقوله تعالى ﴿ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ (٤) فالظالم لنفسه من العباد بالكفر والعصيان أكثر من غيره ، ثم يليه المقتصد . فالسابق بالخيرات ، ولو عكس الأمر كان جائزاً ، لأنه يكون قد روعى فيه تقديم الأفضل فالأفضل .

#### تقديم الأعجب فالأعجب :

ومنها تقديم الأعجب فالأعجب ، كقوله تعالى ﴿والله خلق كل دابة من ماء

(٢) المثل السائر ص ١٨١

(٤) فاطر : ٢٣

(١) المؤمنون : ٢٤

(٣) الفاتحة : ٥

فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع  
يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير (١) قدم الماشى على بطنه لأنه أدل على  
قدرته ، إذ يمشى بغير آلة تساعد على الماشى ، ثم ذكر الماشى على رجلين لأنه  
بإيه في ذلك ، ثم ذكر الماشى على أربع بعدهما في رتبته التي تليهما .

التقديم للترقي :

ومنها البدء في باب المديح بالصفة الدنيا ، ثم بما هو أعل منها وهكذا ،  
كما في قول البحري .

يتفرقون كالسراب وقد منخض ن غماراً من السراب الجاري  
كالقسي المعطفات بل الاسم م مبدية بل الاوتار  
شبه نحوها بالقسي ثم بالاسهم المبرية ثم بالاوتار وهي أشد الثلاثة نحولا ،  
وهم يكسون هذا الترتيب في باب النمل .

تقديم الاليق بالسياق :

ومنها تقديم الاليق بالسياق ، كما في قوله تعالى ( فأما الذين شقوا في النار لهم  
فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن  
ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات  
والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير محذوذ ) (٢) قدم أهل النار على أهل الجنة لأن  
الكلام قبل هذا كان في سياق التخويف والتحذير ، وقد جاء الكلام فيه عقب  
قصص الأوابين وما فعل الله بهم من التعذيب والتدمير ، فكان الاليق أن يوصل  
هذا بما يناسبه في المعنى ، وهو ذكر أهل النار ، فقدّموا في الذكر على أهل الجنة  
ومن هذا قوله تعالى ( وما تكون في شأن وما تنلو منه من قرآن ولا تعملون من  
عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة  
في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ) (٣) قدم  
الأرض على السماء ، ومن حقها التأخير عنها ، لأنه لما ذكر شهادته على شؤون أهل  
الأرض وأحوالهم ، وصل هذا بقوله وما يعزب ، ولأن بينهما ليل المعنى  
المعنى ، ويؤيد هذا أن السموات قدّمت في الآية الأخرى من سورة سبأ :

(٣) يونس : ٦١

(٢) هود : ١٠٨

(١) النور : ٤٥

( وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين (١) .

#### مقامات التقديم المعنوى :

والتقديم المعنوى كتقديم المفعول على الفاعل ، وتقديم الحبيب على المبتدأ ، وتقديم الطرف أو الحال أو الاستثناء على العامل ، والتقديم فى هذا يكون لمعنى يتغير بالتأخير كما سبق ، ولكن هذا التغير لا يظهر تماماً إلا فيما يكون التقديم فيه لإفادة التخصيص بخلاف ما يكون التقديم فيه لغير التخصيص من الأغراض الآتية ، فإنه يكاد يكون شأنه فى هذا مثل شأن التقديم الذكرى .

#### التقديم للتشويق :

ومن هذه الأغراض تشويق السامع إلى المؤخر ليتمكن فى نفسه ، كقول أبى العلاء :

والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد  
وهذا من تقديم المسند إليه ، وهو المبتدأ ، على المسند وهو الخبر ، ومثال ذلك من تقديم المسند على المسند إليه قول محمد بن وهيب فى مدح المعتصم :  
ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر  
وقول أبى العلاء :

وكالنار الحية فى رماد أو آخرها وأولها دخان  
ولكن حق هذا الاعتبار تطويل الكلام فى المقدم ليسكون الفطويل أدعى إلى التشويق ، وإلا لم يحسن ذلك الحسن .

#### التقديم للتفجيل بالمقصود :

ومنها إرادة التفجيل بالمقصود من مسرة أو إساءة أو غيرهما ، كقول الشاعر :  
سعدت بغرة وجهك الأيام وتزينت بلمتائك الأيام

## التقديم للاهتمام :

ومنها الاهتمام بالمقدم والاعتناء به ، وهذا الغرض هو الأعم الأغلب في التقديم ومنه قول الشاعر :

سلام الله يا مطر عليهما وليس عليك يا مطر السلام

ومن أجله وجب أن يتقدم المحذوف في ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (١) مؤخراً اهتماماً بشأن اسم الله تعالى ، فأما قوله تعالى ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ﴾ (٢) فإنما قدم الفعل فيه لأنها أول سورة أنزلت ، فكان ابتداء الأمر بالقراءة فيها أم . وقد ذهب السكاكي إلى أن الجار والمجرور فيها منعلق باقراً الثانية ، وهو تكاف ظاهر : وأما قوله تعالى ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ﴾ (٣) وقوله ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ﴾ (٤) فإنما قدم المخاطبون في الآية الأولى دون الثانية لأن الخطاب في الأولى للفقراء ، يدلل قوله من إملاق ، فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم ، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم . أما الثانية فالخطاب فيها للأغنياء بدليل قوله « خشية إملاق » ، فكان رزق أولادهم هو المطلوب الأهم عندهم ، فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم ، ويمكنك أن تجعل التقديم في الآيتين من التقديم الذكرى ، والخطب في هذا سهل .

ومن التقديم للاهتمام أيضاً قوله تعالى ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا موسى ﴾ (٥) قدم الجار والمجرور على الفاعل زيادة في تبييت هؤلاء القوم الذين شاهدوا من المرسلين لقربهم منهم ما لم يشاهد ذلك الرجل ، ومع هذا نصح لهم بما لم ينصحوا به أنفسهم ، وقد جاء في مثل هذا على الأصل قوله تعالى : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين ﴾ (٦) لأنه لم يقتلوه به ما يدعو إلى تقديم الجار والمجرور مثل ما اقترن بالأول .

(٢) سورة العلق الآية ١ ، ٢ ، ٣

(٤) سورة الإسراء الآية ٣١

(٦) سورة القصص الآية ٢٠

(١) الفاتحة : ١

(٣) سورة الأنعام الآية ١٥١

(٥) سورة يس الآية ٢٠

ومن التقديم للاهتمام في الاستفهام قوله تعالى : ﴿ قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ﴾ (١) لأن رغبة إبراهيم عن آلهته كانت أم شيء عنده ، فكان المقام لإنكار هذا الفعل منه ، وإفادة أنها لا ينبغي أن يرغب عنها ، وهكذا يقدم في الاستفهام سواء أكان للإنكار أم لغيره ما يكون هبط الاستفهام والإنكار ، كقول أبي العلاء :

أعندى وقد مارست كل خفية  
يصدق واش أو يخيب سائل

التقديم لدفع توهم الخطأ :

ومن أغراض التقديم دفع توهم خطأ : كتقديم الخبر على المبتدأ للتنبيه ابتداءً على أنه خبر لا نعت ، كقول أبي بكر بن السطاح في مدح أبي دؤاد :

له مسم لا مستن لكبارها  
ومسته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو أن معشار جودها  
على البر كان البر أندى من البحر

ومن هذا أيضاً أن يؤم التأخير غير المعنى المراد ، كما في قوله تعالى ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ﴾ (٢) الآية (٢) قدم قوله ﴿ من آل فرعون ﴾ على قوله ﴿ يكتم إيمانه ﴾ لأنه لو أخرجه لتوهم أنه متعلق بقوله يكتم ، فلا يفيد ذلك أن الرجل من آل فرعون ، والمراد إفادة أنه منهم ، وكذلك قوله تعالى ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بآلاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا .. ﴾ (٣) الآية . فإما قدم فيها قوله د من قومه ، وأخر في الآية السابقة التي ذكرناها معها في أول هذا الباب ؛ لأنه لو أخر في هذه الآية لاتي بعد قول د وأترفناهم في الحياة الدنيا ، وهذا يؤم تعلقه بالدنيا ، وهو على بعده كاف في إيشار تقديمه على تأخيره ، ولما لم يكن في الآية الأخرى مثل هذا جاء التأخير فيها على أصله ، والأولى أن يقال في ذلك إن الوصف بالمرصوف في الآية الأولى طال بما عطف عليه ، فقدم عليه الوصف بالجار والمجرور لأنه أقصر منه ، ولك بعده هذا أن يجعل الموصول صفة للمجرور لا للفاعل على ما سبق بيانه في ذلك

(١) مدح : ٤٦ (٢) ظفر : ٢٨

(٣) سورة المؤمنون آية ٣٣

### التقديم للضرورة :

ومنها أنه تدعو إليه ضرورة الشعر ، كقول الأقيصر الأندى :

سريع إلى ابن العم يطمح وجهه      وليس إلى داعي الشدى بسريع  
وقول الآخر :

وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت      بحمد الهى وهى منه سليب

### التقديم للضرورة ليس من البلاغة :

وفى هذا المقام من بين مقامات التقديم يتكافأ التقديم والتأخير ، فليس له شيء من الملاحاة التى لغيره ، ومثل ضرورة الشعر فى هذا ضرورة السجع وتناسب الفواصل ، وقد سبق أن هذا ليس بما تدعو إليه البلاغة كغيره بما تدعو إليه البلاغة فى هذا العلم ، ولهذا تكافأ فيه من جهة البلاغة التقديم والتأخير ، ومن التقديم لتناسب الفواصل قوله تعالى ( قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليهم من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس فى نفسه خيفة موسى ) (١) ولست القرآن الكريم لا يلجأ إلى التقديم لأجل مزية السجع وحدها ، إلا كان شأنه فى هذا شأن السجع فى غيره ، ومن مزايا التقديم فى الآيتين غير مزية السجع الاهتمام بشأن سحرهم ، والمبالغة فى الخيفة التى حدثت فى نفسه ، والاهتمام بإثباتها له .

### التقديم للتخصيص :

ومن أغراض التقديم أيضاً لإفادة التخصيص ، وهو فى هذا الغرض يعد من أدوات القصر كما سبق ، والتخصيص فى غالب الأمر لازم للتقديم ، ومن التقديم ما يعمين لإفادة التخصيص ، ومنه ما يجهوز أن يكون للتخصيص وأن يكون لتقوية الحكم فقط ،

### التقديم المتعين للتخصيص :

والتقديم المتعين لإفادة التخصيص يكون فى صورتين : إحداهما أن يكون المسند إليه واقفاً بعد نفي والمسند خبر فدى ، ويستوى فى هذا المسند إليه المضمرة والمظاهرة ، كما فى قول المتنبي :

(١) سورة طه : آية ٦٧

وما أنا أسقمتُ جسمي به ولا أنا أضربتُ في القلب نارا  
فالمعنى في هذا على أنه هناك إسقام وإضرار ، ولكن الجالب لها غيره لاهو ،  
ولهذا لا يصح أن تقول : ما أنا قلت هذا ولا غيره ، للتناقض بين أول الكلام  
وآخره .

اتفاق الشيعيين في هذه الصورة :

وقد وافق السكاكي (١) عبد القاهر في منع هذا وأشباهه ، وموافقته له في ذلك  
دليل على أنه يمتنع عنده للتخصيص بدون قيد ولا شرط مما سيأتى له في  
غير النفي ، وقد زعم الخطيب أن السكاكي يشترط ذلك في صورة النفي أيضا .

والثانية أن يكون المسند إليه نكرة والمسند خبر فعل المضى ، نحو قولهم في  
المثل المشهور شرُّ أهرَّ ذئاب ، وهو يضرب في ظهور أمارات الشر ومخايله ؛  
والمراد أن الذى أهرَّ من جنس الشر لا من جنس الخير ، لأن الكلاب قد يهر في  
الخير أيضا ، كالذئب من أصحابه ونحوه .

ولا خلاف في هذه الصورة أيضا بين عبد القاهر والسكاكي ، وإن زعم السعد للفتنازاني  
أن كلام عبد القاهر في دلائل الإيجاز ظاهر في أن بناء الفعل على النكرة قد يأتي  
للتقوية ، فإن كلام عبد القاهر (٢) فيه صريح في أنها لا تأتي في ذلك إلا للتخصيص ،  
وقد ذكر فيه أنك إذا قلت د رجل جامى ، لم يصح حتى تريد أن تعلم المخاطب أن  
الذى جامك رجل لا امرأة أو لا رجلان ، فإن لم ترد ذلك كان الواجب أن تقول  
د جامى رجل ، فتقدم الفعل .

التقديم المحتمل للتخصيص والتقوية :

والتقديم المحتمل للتخصيص والتقوية الحكم بجى في صورة واحدة ، وهي بناء  
الفعل على المسند إليه المثبت غير المنكر ، فإيه تارة يأتى للتخصيص كما في قوله تعالى  
(ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق

(١) المفتاح ص ١٥٢

(٢) دلائل الإيجاز ص ٧٤

لا تعلمهم نحن نعلمهم سبعة منهم مرتين ثم يردون إلى عذاب أليم (١) فإني في هذا على التخصيص أى لا يعلمهم إلا نحن ، وتارة يأتى لتقوية الحكم ، كقول عروة ابن أذينة :

معلمهمى أزمعت بيخستا فإين تفولها (٢) أيشتا

فلا يريد من هذا أن الإجماع كان لها وحدها دون غيرها ، وإنما يريد أن يحقق الأمر ويؤكدده .

وقد اشترط السكاكى (٣) في إفادة هذه الصورة التخصيص شرطين : أحدهما أن يجوز تقدير كونه فى الأصل مؤخرأعلى أن يكون فاعلا فى المعنى فقط ، وثانيهما أن يقدر أنه مقدم من تأخير بالفعل ، فلا يفيد التخصيص عنده على هذا إلا البناء على الضمير نحو قولك « أنا عرفت » ، لأنه هو الذى إذا آخر يكون فاعلا فى المعنى فقط بخلاف البناء على الظاهر ، نحو قولك « زيد عرف » ، لأنه إذا آخر يكون فاعلا فى اللفظ والمعنى ، ولكنه عاد بعد هذا فقال « وأما نحو زيد عرف ورجل عرف فليسا من قبيل هو عرف فى احتمال الاختيارين على السواء ، بل حق المعرفة جملة على وجه تقوى الحكم ، وحق المنكر حملة على وجه التخصيص ، وهذا ظاهر فى أن البناء على المظهر يحتمل الاختيارين عنده مثل البناء على المضمهر ، ويمكن أن يصل اشتراطه ما سبق فى إفادة التخصيص على ما هو الغالب فيه ، لأن الغالب فى البناء على الظاهر أن يكون للتقوية لا للتخصيص ، وهذا هو الذى يتفق مع ما ذهب إليه من إفادة التقديم التخصيص فى قوله تعالى ( قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فىنا ضعيفاً ولولا رهطك لرجهناك وما أنت علينا بمزين ) (٤) أى المزين علينا يا شعيب رهطك لا أنت ، ولهذا قال فى جوابهم ( قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً لأن ربى بما تعملون محيط ) (٥) ولا شك أنه لا يمكن أن يقال فى هذا التقديم إنه يجوز تأخيره على أنه فاعل فى المعنى فقط .

- |                         |                     |
|-------------------------|---------------------|
| (١) سورة التوبة آية ١٠١ | (٢) نظنها           |
| (٣) المفتاح ص ١١٩       | (٤) سورة هود آية ٩١ |
| (٥) سورة هود آية ٩٢     |                     |



## مميزات الاحتمالين :

هذا والذي يميز ما يكون من هذا التقديم للتخصيص وما يكون منه لتقوية الحكم إنما هو المقام وسياق الكلام ، ويغلب فيما يكون لتقوية الحكم أن يجيء فيما سبق فيه إنكار من مفكر مثل قوله تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (١) لأن الكاذب لا سيما في الدين لا يعترف بأنه كاذب ، فيمتنع أن يعترف بالعلم بأنه كاذب . وفي تكذيب مدّج كقوله تعالى ( وإذا جاءكم قالوا آمنا وقلد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون ) (٢) وفيما يقتضى الدليل ألا يكون كقوله تعالى ( والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ) (٣) فإن مقتضى الدليل ألا يكون ما يتخذ لها مخلوقا ، وفي المدح والافتخار كقول المعدل بن عبد الله الليثي :

مهم يفترشون اللبنة كل طمرة وأجرة سباح يبيد المغاليا (٤)  
وكقول طرفة بن العبد :

نحب في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الأدب فينا يفتقر (٥)

أبطل الحاق نحو (( زيد عارف )) بنحو (( هو عرف )) .

وقد ذهب السكاكي إلى أن نحو زيد عارف ، قريب من د هو عرف ، في إفادة تقوية الحكم ، والحق خلاف ما ذهب إليه في هذا لأنه لو كان نحو زيد عارف ، يفيد تقوية الحكم لما صح خطاب خالي الذهن به ، وهو خلاف ما سبق

(١) سورة آل عمران آية ٧٥ (٢) سورة المائدة آية ٦١

(٣) سورة النحل آية ٢٠

(٤) الطمرة : الفرس السكرية ، والانجرد : القصير الشعر ، والسباح : الذين الجرى ، والمغاليا : بضم الميم السهم ويجوز فتحها فيكون جمع مغلى أو مغلاة وهي السهم أيضا .

(٥) المشتاة : اسم مكان الشتاء ، والجفلى : الدعوة العامة ، والأدب : الداهي ، ويفتقر : يدعو بعضا ويترك بعضا .

عن أبي العباس في جواب السكندی من الفرق بين عبد الله قائم ، وإن عبد الله قائم  
وإن عبد الله لقائم ، .

التقديم في د مثل ، و د غير ، :

وما يكون فيه التقديم لتقوية الحكم تقديم لفظ د مثل وغيره ، وما بمعناها في نحو  
د مثلك لا يبخل وغيرك لا يعطى ، وما إلى هذا مما يراد فيه بلفظ مثل أو غير هين  
ما أضيفا إليه على سبيل السكناية ، فإن معنى الأول : أنت تجرد ، ومعنى الثاني : أنت  
تعطى ، لأنه إذا كان كل من هلى صفته لا يبخل كان من مقتضى القياس والعرف أنه  
أيضا لا يبخل ، وإذا كان غيره هو الذى لا يعطى كان من مقتضى ذلك أيضا أنه  
هو الذى يعطى ، وقد جرى استعمال البلغاء في هذا على تقديم لفظ مثل وغير ، وإن  
كانت هذه السكناية ممكنة مع تأخيرهما ، لأن التقديم بما يفيد من تقوية الحكم يساعد  
هلى الغرض المتصور منها وهو المبالغة فيه . ومن هذا قول المتنبي :

مثلك يئى الحزن عن صوته  
ولم اقل د مثلك ، أعنى به  
ويسترد اللمع من قرينه (١)  
صواك يا فردأ بلا مشبه  
وقوله أيضا :

هبرى بأكثر هذا الفرع ينخدع  
وقول أبي تمام :

وهبرى يأكل المعروف مسحتا  
وقول البارودى :

يمواى بتحنان الأغارب يطرِبْ  
وهبرى بالذات يلهو ويلعب

فإذا أريد بمثل وغير سوى ما أضيفا إليه لم يلزم تقديمهما لأن الكلام فيهما  
يتكون هلى سبيل الحقيقة لا السكناية ، كما في قول الصابى :

---

(١) صوته : لجهته ، وهزبه : مجراه في العبيد .

تشابهه دمه إذ جرى ومداقني فمن مثل ما في الكأس عيني تمسكبي  
وقول الآخر :

غيري جنتي وأنا المعاقب فيكم فكأنني سبابة المستندم

تقديم أداة العموم على النفي :

وما يكون التقديم فيه لتقوية الحكم أيضا تقديم أداة العموم ، مثل قولك  
د كل إنسان لم يقم ، فهو أقوى دلالة على العموم من قولك د لم يقم لإنسان ، وللعموم  
هنا كلام طويل في دلالة كل على عموم النفي إذا تقدمت عليه كما في المثال الأول ،  
وفي دلائلها على نفي العموم إذا تأخرت عنه ، كما في قولك د لم يقم كل إنسان ،  
وهو كلام على طوله لا صلة له بهذا العلم ، لأن هذه الدلالة ترجع إلى اللغة والوضع ،  
فلا يصح أن يبحث فيها هنا .

التقديم في الاستفهام :

وشأن التقديم في الاستفهام من جهة إفادة التخصيص أو تقوية الحكم كشأن  
التقديم في غيره مما سبق ، ومن التقديم فيه للتخصيص قوله تعالى : ﴿ أفأنت تكفره  
الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (١) فالمعنى على أنه لما يقدر على هذا الله لا أنت ،  
ومن التقديم فيه لتقوية الحكم قوله تعالى ﴿ قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق  
لجعلتم منه حراما وحلالا قل آله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ (٢) فالمعنى على  
إنكار أن يكون إذن من الله في هذا ، لا على أن الإذن يتسكن من الله دون غيره .

## هـ — التقييد والإطلاق

تعريفهما :

التقييد : يكون بالمناعيل ونحوها من الفضلات ، وبالقيود وغيره من التوابع ،  
وبالشرط لأنه قيد في الجواب ، فإذا قلت د إن جئتني أكرمك ، كان معنى هذا

(٢) يونس : ٥٩

(١) يونس : ٩٩

أكرمك وقت مجيئك . أما الإطلاق فترك التقييد بذلك كله ، ولكل منهما  
مقامات تقتضيه .

#### ارجاعهما الى اعتبار الذكر والحذف :

ولكن يجب أن ننبه هنا إلى أمر غفل علماء هذا الفن عنه، فجاء كلامهم فيه أقرب  
إلى علم النحو منه إلى علم المعاني، وهذا الأمر هو أن التقييد والإطلاق يرجعان  
في الحقيقة إلى اعتبار الذكر والحذف ، فإذا فهمناهما على هذا الوجه أمكننا أن  
نعرف من اعتباراتهما ما يرجع إلى هذا العلم ، وما يرجع منها إلى علم النحو ، وإذن  
لا يكون التقييد بذلك وترك التقييد به وجهين من وجوه البلاغة إلا عند قيام  
الفرقة فيهما ، وشأنهما في هذا شأن الذكر والحذف سواء بسواء . ويمكننا بعد  
هذا أن نستغنى هنا عن الكلام في التقييد بالمفاعيل ونحوها وترك التقييد بها ، لأن  
هذا قد شمله الكلام على الذكر والحذف فيما سبق فلم يبق إلا أن نتكلم هنا على  
التقييد بالتوابع ، والتقييد بحروف الجر ، والتقييد بالشرط .

#### مقام النعت :

يؤتى بالنعت في النحو للتوضيح في المعارف والتخصيص في النكرات ، ومثى  
أريد به ذلك كان ذكره واجباً في الكلام ، فلا يصح أن نبحث عنه هنا من هذه  
اللاحية ، وإنما نبحث عنه هنا إذا كان الكلام يتم بدونه ، فيكون ذكره لأغراض  
أخرى غير هذا الغرض النحوي ، ومن هذه الأغراض قصد التأكيد ، كما  
في قول الشاعر :

وأي الذي ترك الملوك وجمعهم بصُهابٍ هامةٍ كأس الدّابر<sup>(١)</sup>  
ومنها قصد المدح أو الذم كما في قوله تعالى : ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾<sup>(٢)</sup>  
وقوله ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستمعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾<sup>(٣)</sup> . وقول خنوخ نق  
أخف طرفة بن العبد :

---

(١) صهاب : قرية بالبحرين وقيل بفارس (٢) المؤمنون : ١٤ .

(٣) الفحل : ٩٨ .

لا يثبت مدن قومي الذين هم سُمُّ السُّدَّاءِ وآفة الجُذُمِ  
النَّارِلُونِ بكلِّ مُعْتَرِكٍ والطَّيِّبُونَ معاقِدُ الأُزُرِ

ومنها رفع توهم احتمال في الكلام ، مثل قوله تعالى ﴿ وقال الله لا تتخذوا  
إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون ﴾ (١) فإن الاسم الحامل لمعنى الإفراد  
والتثنية يدل على شيئين ( الجنسيتين والعدد المخصوص ) فإذا أريدت الدلالة على أن  
المقصود من ذلك المدد لا الجناش شفع بما يؤكد ، ليدل على أن القصد إليه  
والعناية به ، ولهذا لو قلت إنما هو إله ولم تؤكد بواحد لم يحسن ، ونحوه إلى السامع  
أنت تثبت الإلهية لا الوحدانية ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وما من دابة  
في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من  
شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ (٢) وصف دابة بقوله « في الأرض » ووصف طائراً  
بقوله « يطير بجناحيه » لبيان أن القصد بهما إلى الجنسيتين لا إلى الدلالة على الوحدة  
المتشعبة ، وهذا يفيد زيادة التعميم والإحاطة ، كأنه قيل : وما من دابة قط  
في جميع الأرضين السبع وما من طائر في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه .

#### مقام التوكيد :

ويمكننا أن نعتبر أغراض التوكيد كاملاً من هذا العام ، وأن نحكم بأنه  
لا حظ للنحو فيه إلا في حكم الإعراب وما إليه من أحكامه ، فمن أغراض التوكيد  
دفع توهم التجوز أو السهو أو عدم الشمول ، ولا شك أن هذا لا يكون إلا حيث  
يدعو إلى هذا داع في الكلام ، وإلا كانت التوكيد عبثاً لا فائدة فيه ، ومن  
ذلك قوله تعالى ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس أبى أن يكون  
مع الساجدين ﴾ (٣) ففي هذا التوكيد وتكراره ما فيه من الدلالة على عظام جرم  
إبليس إذ فعل من ذلك ما لم يفعله أحد غيره ييقن ، وكذلك قوله تعالى ﴿ وأقعد  
أربابه آياتنا كلها فكذب وأبى ﴾ (٤) وقول عبد الله بن مسلم الهنلي :  
لكنني شاقه أن قيل ذا رجب يا ليت عدة تحول كله رجباً

(٢) الأنعام : ٣٨

(١) النحل : ٥١

(٤) طه : ٥٦

(٣) الحجر : ٣٠

كَمْ هَوَّةٌ مُدْرَّةٌ قَدْ كُنْتُ آتِلُهَا      تُسَدُّ مِنْ دُونِهَا الْأَبْوَابُ وَالْمُخْرَجَاتُ  
قَدْ سَاغَ فِيهِ طَا مَشَى النَّهَارَ كَمَا      سَاغَ الشَّرَابُ لِعَظَمَانٍ إِذَا شَرَبَا  
وقول جميل :

لَا لَا أَبُوحُ بِحُبِّ بَشَنَّةٍ لَهَا      أَخَذْتُ عَلَى مَوَائِقَ وَعَهْدَا  
وقول بعضهم :

فَيَاكَ إِيَّاكَ الْمَرَاءَ      فَإِنَّهُ إِلَى الشَّرِّ دَعَاءٌ وَالشَّرُّ جَالِبُ

#### مقام عطف البيان :

ومنزلة عطف البيان في النحو منزلة النعم ، فيؤتى به فيه الإيضاح والتخصيص والفرق بينهما فيه أن هذا جامد وذاك معتق ، أما هنا فيؤتى بعطف البيان لأغراض منها المدح أو الذم ، كالمَدْحِ في قوله تعالى ( جعل الله السكينة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لعلوا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم ) (١) فلا يراد من قوله البيت الحرام ، التوضيح ، وإنما يراد به المدح .

وقد يقصد من عطف البيان أن يأتي الكلام فيه على سبيل الإجمال ثم التفصيل ، ويكون هذا في مثل تقديم الصفة وجعل الموصوف عطف بيان لها ، كما في قول النابغة الذبياني :

وَالْمَوْمِنِ الْعَائِذَاتِ الْعَائِرِ يَسْنَحُهَا      مَرْكَبَانِ هَكَه بَيْنَ الْغِيلِ وَالسِّنْدِ  
مَا لَنْ أَتَيْتُ بِأَمْرِ أَنْتَ تَكْرُمُهُ      إِذَنْ نَلَا رَهْبَتَ سَوْطَا إِلَى يَدَيِ

#### مقام البدل :

والبدل شأنه هنا شأن التوكيد ، فليس للنحو منه إلا حظ الإعراب ، لأنه يأتي على نية تكرار العامل فيكون إسفاده أقوى من غيره ، وفيه مع هذه دوية الإجمال ثم التفصيل السابقة في عطف البيان ؛ ولولا هذا وذاك لتمكن أن يقال في قولك

وجاء القوم أكثرهم ، : جاء أكثر القوم ، وهكذا . وإذا كان هذا شأن البديل فإنه لا يصار إليه في الكلام إلا عند وجود ما يدعو إليه كالتوكيد ، مثل قوله تعالى ( والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً )<sup>(١)</sup> فإنه يراد من هذا الاهتمام بشأن الحج بسبب تكرير الإسناد فيه مرتين ، وكذلك الإشارة إلى أن له تعلقاً بجميع الناس بحيث لا يسقط عنهم إلا إذا قام به بعضهم ، وفي ذلك قوله تعالى ( ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً )<sup>(٢)</sup> وقول النابغة الجعدي :

بلغنا السماء سجدةً وسناؤنا وإننا لنبغى فوق ذلك مظهرًا

#### الخلافاً في بدل الغلط :

وقد قيل إن بدل الغلط لا يدخل معناها لأنه لا يقع في فصيح الكلام ، والحق أنه قد يقع أيضاً في فصيح الكلام ، وهذا إذا كان بدل تداء وهو أن تذكر المبدل منه عن قصد ثم تذكر البديل بعده فتوهم أنك غلطاً لقصد المبالغة والتفنن ، وشرطه أن يرتقى فيه من الأدنى إلى الأعلى ، وحكم هذا البديل حكم العطف ببل كما في قول بعضهم :

المنعُ برقٌ تمرى أم ضوءٌ مصباح أم ابتسامتها بالمناظر الضاحى

ومن هذا البديل قول ذي الرمة :

لميساء في شفيتها محوكة للعس وفي اللثات وفي أنيابها برد

فاللحس بدل غلط من الحوة ، لأن الحوة السواد ، واللحس سواد يشوبه حمرة .

#### مقام عطف النسق :

وأما عطف النسق لحظ علم المحر فيه التشريك في الإعراب في سائر حروفه ، والتشريك في الحكم في بعضها ، وحظ علم المعاني منه إفادة هذا منعاً قصد التفصيل

(١) سورة آل عمران آية ٩٧ (٢) سورة الفرقان آية ٦٩

في المسند اليه أو المسند والاختصار في اللفظ ، ولا يكون هذا إلا لدواع في الكلام لا شأن للنحو بها .

#### مقسام الواو :

أما إفادة التفصيل في المسند اليه فيكون بالواو كقولك د جاء زيد وعمرو وخالد ، والاختصار في هذا أن العطف يغني عن تكرير الفعل : جاء زيد جاء عمرو وجاء خالد .

وللتفصيل في المسند اليه مقامه ؛ والاختصار في ذلك مقامه أيضا ، وهذا كما في قوله تعالى ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ﴾ إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴿ ١ ﴾ فقد اقتضى المقام ذكر فرعون وهامان في التفصيل ، فعطفوا بالواو لأن تبعه ذلك تقع عليهما ، وهما السبب في خطأ جنودهما ، ثم عطف الجنود عليهما على سبيل الإجمال ، لأنه لا يتعلق فيهم غرض بالتفصيل ، وفي الآية تفصيل بالواو أيضاً في خبر يكون ، لأنها قد تأتي أيضاً بالتفصيل المسند وإن كان يمكن الاستغناء عنها في غير المسند إليه ، وصيأتي هذا في باب الفصل والوصل .

#### مقسام الفاء وثم وحتى :

أما تفصيل المسند مع الاختصار فيكون في العطف بالفاء وثم وحتى ، كما في قولك د جاء زيد وعمرو وخالد ، فإن هذا يغني عن قولك د جاء زيد وجاء عمرو بعده وجاء خالد بعدهما ، ولا شك أن في هذا تفصيلاً أيضاً في المسند إليه ، ولكنه غير مقصود هنا كما يقصد في الواو .

وهنا أمر لابد من التنبية إليه في هذه الحروف ، وهو أن الواو بدالاتها دل مطلق الجمع يمكن أن تحل في كل موضع مكان غيرها من هذه الحروف ، فلا بد في مراعاة ذلك من تدقيق في صوغ الكلام تتفاوت به درجاته في البلاغة ، وهذا كما في قوله تعالى ﴿ والذي هو يطعمني ويسقيني ، وإذا مرضت فهو يشفيني ، والذي يميني ثم يميني ﴾ ﴿ ٢ ﴾ فلو قال قائل في موضع هذه الآية : الذي يطعمني ويسقيني ويمرضني

(١) سورة القمص آية ٨ (٢) سورة الشعراء آية ٨٠



ويشفيين ويميتني ويحيين . لسكان الكلام معنى تام ، ولسكنه لا يكون كمنى الآية ، لأن كل شيء فيها قد عطف بما يناسبه ، ووقع موقع السداد منه ، فالأول عطف بالواو التي هي لمطلق الجمع ، وقدم فيه الإطعام على الإسقاء ، لمراجعة حسن النظم ، والثاني عطف بالفاء لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما ، والثالث عطف بثم لأن الإحياء للبعث يكون بعد الموت بزمان طويل . ومن هذا أيضاً قوله تعالى ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ، من أي شيء خلقه ؟ من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء أنشره ﴾ (١) وقوله ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفةعلقة نخلقنا العلقة مضغة نخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ (٢) .

#### مقام بل ولا ولكن :

ومقام بل ولا ولكن لرد السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب مع الاختصار أيضاً ، وهي من أدوات القصر على ما سبق ، بل فائدة القصر فيها أظهر من فائدة العطف ، فلا معنى لإطالة الكلام عليها هنا .

#### مقام أو وإما :

وأو وإما موضوعات لإفادة الشك أو التخيير أو الإباحة ، ولكنهما قد يستعملان في مقام لا شك فيه . وهذا إذا كان المتكلم يريد تشكيك السامع ليجعل هذا وسيلة إلى بلاغ اليقين ، وإيصال الحق إلى المخالفين على وجه لا يثير غضبهم ، لينظروا فيه فيؤديهم النظر إلى العلم به ، وهذا كما في قوله تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ (٣) وقد يحمل هذا على إرادة الإيهام لا التشكيك ، وهما يتحدان في إعادة هذا الغرض ، وقد يكون للإيهام أغراض أخرى غيره ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وآخرون

(٢) المؤمنون ١٢ ، ١٣ ، ١٤

(١) عبس : ١٩

(٣) سبأ : ٢٤

مرجون لامر الله إما يغلبهم وإما يتوب عليهم والله عليهم حكيم (١) . وقول  
توبة ابن الحنبل :

وقد زعمت ليلى بأئسى فاجر لنفسى متقاها أو عليها لجورها  
وقيل إن « أو » في هذا بمعنى الواو ؛ أى وعليها لجورها .

#### التقييد بحروف الجر

والتيقيد بحروف الجر لا يخلو أيضا من أسرار ولطائف في إرشار بعضها على  
بعض ، وهذا عندما يبدو للنظر أنه يجوز حرف منها في مكان الآخر ، وأكثر  
الناس يضحون هذه الحروف في غير مواضعها ، فيجعلون ما ينبغي أن يجر على  
محروراً بى وهكذا ، ومنهم من وصل به الأمر إلى أن يزعم أن هذه الحروف  
ينوب بعضها عن بعض ، ومن هذا أنهم يقولون إن « في » للوعاء وعلى الاستعمال  
نحو « زيد في الدار وعمر على الفرس » ، ولكنهم إذا أرادوا استعمالها في غير  
هذين الموضعين إنما يشكل استعماله عدلوا فيهما عن الأولى بهما . وبما يشكل في هذا  
قوله تعالى ( وإنا أو إياكم لدلى هدى أو في ضلال مبين ) (٢) ألا ترى إلى بداعة  
هذا المعنى المقصود لمخالفة حرفي الجر ما هنا ، فإنه إنما خولفت بينهما في الدخول  
على الحق والباطل لأن صاحب الحق كأنه مستعمل على فرس جواد يركض به حيث  
شاء ، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام منخفض فيه لا يدرى أين يتوجه ،  
وهذا معنى دقيق قلما يراعى مثله في الكلام ، ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ( إنما  
الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين  
وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ) (٣) فقد عدل في الأربعة  
الآخيرة عن اللام إلى « في » للإيدان بأنهما أوسخ في استحقاق التصديق عليهم من  
سبق ذكرهم باللام ؛ لأن « في » للوعاء فتدل على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم  
الصدقات كما يوضع الشيء في وعائه ، وتكوي « في » بعد ذلك للإيدان بترجيح  
« سبيل الله » على « الرقاب والغارمين » ، لأنه أوكد في استحقاق النفقة فيه ، وهذه  
الأمرار والطائفت لا تكاد توجد إلا في القرآن الكريم ، فاهربها وقس عليها .

(١) التوبة : ١٠٦ (٢) سبأ : ٢٤ (٣) التوبة : ٦٠

## التقييد بالشرط

والتقييد بالشرط كالتقييد بحروف الجر له اعتبارات نحوية ظاهرة تعرف بمعرفة ما بين أدواته من الفروق في معانيها النحوية ، ولكن بعض هذه الأدوات لا يخلو اعتباره من أسرار واطائف يزيغ فيها كثير من الخاصة عن الصواب ، لأن هذه الأدوات كثيراً ما يستعمل بعضها مكان بعض ، فيظن أنه لا فرق بينها في ذلك ، وأنها لا تجري فيه وراء اعتبارات دقيقة ، وهذه الأدوات هي :  
إن وإذا ولو .

### مقامات « أن » و « إذا » :

فأما « أن » فهي تدل على الشك في شرطها ، ولهذا يغلب استعمالها في الأحكام النادرة الوقوع ، ويغلب في شرطها أن يسكون مضارعاً . وأما « إذا » فتدل على الجزم بشرطها ، ولهذا يغلب استعمالها في الأحكام الكثيرة الوقوع ، ويغلب في شرطها أن يكون ماضياً ، وإن كانت قلبه إلى الدلالة على الزمن المستقبل ، ومن هذا قوله تعالى ﴿ فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه إلا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ (١) أتى في جانب الحسنة بالفظ إذا لأنها كثيرة الوقوع لهم ، ولهذا عرفت تعريف المجلس الدال على الإطلاق والشيوع ، وأتى في جانب السيئة بأن لأنها كانت فادرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة ، ولهذا أتى بها على سبيل التنكير الدال على الوحدة ، وكذا قوله تعالى ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقبضون ﴾ (٢) وإنما نسكت الرحمة هنا للإشارة إلى أن قليلاً منها يفرحهم ذلك الفرج المذموم ، كما أن قليلاً من السيئة يحملهم على ذلك القنوط المذموم أيضاً .

وهذه الاعتبارات الدقيقة قلما تراعى في غير القرآن الكريم ، وكثيراً ما يخطئ فيها الشعراء والبلغاء ، كما أخطأ في ذلك عبد الرحمن بن حستان وقد سأل بعض الولاة حاجة فلم يقضها له ، ثم شفع له فيها فقضاها فقال :

ذُملت ولم تحضد وأدركت حاجتي تولى سواكم أجرها واصطفاها

(١) الأعراف : ١٣١

(٢) الروم : ٣٦

أبى لك كسب الخد رأى مقتصراً ونفسه أضاق الله بالخير باعدها  
إذا هي حشنة على الخير مرة هصاها، وإن تمت بشرط أطاعها  
فلو عكس لأصاب غرض الهجاء الذي يقصده، وقد قيل إنه يقصد الجرم بأن  
نفسه تحته على الخير ولكفه يهصها، وهذا أبانغ في الذم، كما يقصد أنه يبادر إلى  
الشر بمجرد أنهم نفسه له، وهو أبانغ في ذمه أيضاً .

استعمال ان في مقام اذا :

وقد تستعمل إن مع شرط مقطوع به لأغراض منها قصد التوبيخ ، لأن  
الشرط لا شتمه على ما يقلعه عن أصله لا يصح إلا لفرضه كما يفرض المحال ، ومن  
هذا قوله تعالى ( أنضرب عنكم الذكر صفحاً إن كنتم قوماً مسرفين ) (١) على  
قراءة الكسر ، فإن إمرافهم بحق الوقوع ، ويراد التوبيخ والتجديل على  
ارتكابه وتحويل أن الإسراف من العاقل في مثل هذا لا يضح وقوعه ، ويشك  
في صدوره منه .

ومنها تغليب الشاك على غيره ، كما في قوله تعالى ( وإن كنتم في ريب مما  
نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم  
صادقين ) (٢) فإب من يشك في ريبه من المنافقين الذين كانوا يظهرون خلاف  
ما يبطنون على من يقطع بريده من غيرهم ، وقد جرى أسلوب القرآن على هذا  
وإن كان الشك لا يتصور في حق الله تعالى لأنه وارد على أساليب كلامهم ،  
فيأتي في هذا على ما ينبغي أن يعتبر فيه على فرض أنه المخلوق يجوز عليه الشك والجرم،  
ويجوز أن يكون الإيمان بأن في الآية للتوبيخ لا للتغليب .

ومنها مجازاة الخصم لإلزامه بما ينكره ، مثل قوله تعالى ( قل إن كان للرحمن  
ولد فأنا أول العابدین ) (٣) فالشرط هنا مقطوع بنفيه ، ولكن قصد فرضه  
بجازاة للخصم ليكون هذا سبباً في إلزامه .

استعمال اذا في مقام ان :

وقد تستعمل إذا مع شرط غير مقطوع به لأغراض منها : تنزيل غير المجازم

(٢) سورة البقرة آية ٢٣

(١) سورة الزخرف آية ٥

(٣) الزخرف : ٨١

منزلة الجازم ، ومنها تغليب الجازم على غير الجازم ، ومنها قصد التوبيخ على الشك في الشرط لأنه لا ينبغي أن يكون ، واستعمال « إذا » في هذه المقامات قليل ونادر الوقوع في كلام البلغاء .

#### استعمال الماضي شرطاً أن :

ولا يستعمل الماضي شرطاً له ، لأن ، إلا لأغراض منها الرغبة في وقوعه مثل قوله تعالى ﴿ ولا تمكروا أفنياً تمكروا على البلغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد لم يكرههن غفور رحيم ﴾ (١) ومعنى إظهار الرغبة منه تعالى إظهار كمال رضاه ، أو إظهار كون الشيء مرغوباً في ذاته .

ومنها قصد التعريض مثل قوله تعالى ﴿ ولئن اتبعت أهواهم من بعد ما جاءك من العلم إنك لإذا لمن الظالمين ﴾ (٢) ولا شك أن التعريض بهم في الآية يثبت مع الإتيان بالمضارع أيضاً ، ولكن الماضي أدل عليه لأن الإشراف لم يقع منه فيكونون هم المتصورين به قطماً ، بخلاف المضارع لأن التهديد بذلك على الإشراف في المستقبل قد يحمل عليه ، وإن كان محله عليه بعيداً كل البعد .

وقد تستعمل « إن » في الماضي لفظاً ومعنى استعمالاً لغوياً لا يحتاج إلى مراعاة غرض من هذه الأغراض ، وبطريق هذا مع « كان » ، ويقال في خبرها ، مثل قوله تعالى ﴿ أن كنت قلته فقد علمته ﴾ (٣) ومثل قول أبي العلاء :

فيا وطني إن فاتني ربك سابق من الدهر فليتهم لسا كنك البالي  
وقد تستعمل « إذا » في الماضي لفظاً ومعنى أيضاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ حتى إذا صاوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا ﴾ (٤)

#### مقامات لو :

ولو تستعمل في اللغة للدلالة على امتناع الجزاء لامتناع الشرط ، ويحذف في شرطها وجوابها أن يكون كل منهما فعلاً ماضياً ، وهذا المعنى هو الشائع في استعمال البلغاء ، مثل قول أبي العلاء :

(٢) البقرة : ١٤٥

(٤) الكهف : ٩٦

(١) النور : ٣٣

(٣) المائدة : ١١٦

ولو دامت الدُّولُ كُفُورًا كُفِيرُوا رَحَايَا وَلَكِنْ مَا لَمْ يَكُنْ دَوَامٌ  
وقد تستعمل الدلالة على العلم بامتناع الشرط لأجل العلم بامتناع الجواب ،  
وهذا المعنى فيها هو الذي اعتمد عليه علماء المنطق ، وقد شاع في مقامات الاستدلال  
العقل ، كما في قوله تعالى ﴿ لو كان فيهم من آمن بالله للفسدتا فسيبجان الله رب  
العرش عما يصفون ﴾ (١) .

#### استعمال المضارع شرطاً لـ لو :

وقد تدخل « لو » على المضارع لأغراض منها تنزيله منزلة الماضي لصدوره عن  
لا خلاف في إخباره ، كما في قوله تعالى ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم  
يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لو لا أنتم لكنا  
مؤمنين ﴾ (٢) فإن المتروك في أخبار الله تعالى بمنزلة المقطوع به .

ومنها قصد الاستمرار في الماضي حينئذ ، كما في قوله تعالى ﴿ واعلموا أن فيكم  
رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في  
قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾ (٣) فإنما قال  
يطيعكم ولم يقل أطاعكم للدلالة على أنه كان في إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه  
وأنه كلما عن لهم رأى يعمل به ، بدليل قوله « في كثير من الأمر » .

#### مقامات الإطلاق :

والإطلاق كما سبق ترك التقييد ، فهو ضرب من ضروب الحذف والإيجاز ،  
ولكنه خاص بالصفة تحذف لوجود ما يدل في الكلام عليها ، وما إلى هذا من  
ضروب القيود السابقة ، كما في قوله تعالى ﴿ أما السفينة فسكانها مسلمون يعملون  
في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ (٤) فالمراد كل  
سفينة صحيحة ، وإنما أطلقها ولم يقيدها بهذا لأن ما قبله يدل عليه ، ومثل هذا قول  
أبي ذؤيب الهذلي :

- |                   |                |
|-------------------|----------------|
| (١) الأنبياء : ٢٢ | (٢) سبأ : ٣١   |
| (٣) الحجرات : ٧   | (٤) الكهف : ٧٩ |

سَجَدُوا لَهُمْ وَاعْتَقُوا طُغْيَانَهُمْ فَتَنَّا رَبَّهُمْ أَلَمْ نَجْنِبْ لَهُمْ مَصْرِعًا

أى مصرع مقدور . ومثله أيضا من ترك التقييد بالعطف قوله تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ خَلْقِ ظُلُمَاتٍ لَّكُم وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سِرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسِرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبَرْدَ ۚ وَقَدْ أَكْنَفَى بِالْأَوَّلِ غِنَى الثَّانِي لِعِلْمِهِ مِنْهُ .

## الباب الثالث

# أحوال الجمل

### ١ - الوصل والفصل

ممثل بعض الباقاء عن البلاغة فقال « هي معرفة الفصل من الوصل » ، فتصرها على معرفة ذلك للتنبيه على مزيد غموضه ، وأنه فن منها عظيم الخطر دقيق المأخذ لا يسكل أحد فيه إلا كمل في سائر فنون البلاغة .

#### تعريف الوصل والفصل :

والوصل هو العطف بالواو لجملة على أخرى لا محل لها من الإعراب ، والفصل هو ترك العطف بالواو لجملة على أخرى لا محل لها من الإعراب ، فلا يأتيان في المفردات ولا في الجمل التي لها محل من الإعراب ولا في العطف بغير الواو من حروف العطف ، وهو مذهب عبد القاهر وكثير من المتقدمين ، وذهب السكاكي وكثير من المتأخرين إلى أنهما يجريان في ذلك كله ، والحق مذهب عبد القاهر ومن تبعه .

#### إبطال اتیانهما في المفردات ونحوها :

فأما أنهما لا يأتیان في المفردات ولا في الجمل التي لها محل من الإعراب ، فلأن الأمر في عطفها يجري وراء قصد التشريك في الحكم ، فهو عطف نحوي ظرف يجب عند هذا القصد ، ولا يتوقف على الجامع الآتي المعتبر هنا ، وقد أجاز الفارسي وابن عصفور حذف حرف العطف في ذلك ، كما في قول الشاعر :

كيف أصبحت كيف أمسيت يمينا يزرعُ الودَّ في فؤادِ الكريمِ

ولكن حذف حرف العطف في هذا ليس من الفصل المقصود هنا ، لأنه مقدور



في الكلام ، والمقدر فيه كالثابت ، وهذا في غير الصفات المتتابعة ، أما فيها  
 فالأكثر ألا يعطف بعضها على بعض كما في قوله تعالى ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن  
 يبدله أزواجاً خيراً منه كن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات ساجدات ثيبات  
 وأبكارا ﴾ (١) ويجوز عطف بعضها على بعض خصوصاً إذا كانت متتالية ، ولهذا  
 حسن العطف في قوله ﴿ ثيبات وأبكارا ﴾ ، ومن العطف في ذلك قول الشاعر :

إلى الملك المقترم وابن الهمام      وأبيث الكينية في المزدحم

وقد تحسن مراعاة المناسبة في عطف المفردات إذا لم يجر الأمر فيها على الحقيقة  
 بل جرى على الخيال الشعري ، ولكن هذا يرجع كما سيأتي إلى اعتبارات بدعية ،  
 ولهذا عيب على أبي نواس قوله :

وقد حلفت يميناً      مبرورة لا تكذب

يركب زمزم والنحو      من والمثب والمجصب

فإن ذكر الحوض مع زمزم والصف والمجصب غير مناسب ، وإنما يذكر الحوض  
 مع الصراط والميزان وما جرى مجراها . ومن ذلك أيضاً أنه اجتمع 'نصب' و  
 'الكسبية' وذو الرمة فأنشده السكيت :

أم هل ظمائن بالعلياء رافمة      وإن تكامل فيها الدل والشذب

فمقد 'نصب' واحدة ، فقال له السكيت : ماذا تحصى ؟ فقال : خطأك  
 فإنك تباعدت في القول ، أين الدل من الشذب ؟ ألا قلت كما قال ذو الرمة :

لنبياء في شفتيها حوّة لعن      وفي اللثام وفي أنيابها برّد

قالد يذكر مع الغننج وما أشبهه ، والشذب يذكر مع اللعس وما أشبهه ، ولا  
 يخفى أيضاً أن هذا كله لا يجرى على اعتبار الوصل والفصل بالإتيان بالواو وتركها ،  
 بل يجرى على اعتبار الإتيان بالفاظ يناسب بعضها بعضاً بقطع النظر عن كونها  
 موصولة أو مفصلة .

(١) سورة التحريم : ٥

### إبطال آتييهما في غير الواو :

وأما أنهما لا يأتیان فی غیر الواو من حروف العطف فلأن تلك الحروف تأتي لمعانها المعروفة في علم النحو ، ولا تفيد ما تفيد الواو هنا من معنى الوصل ، فحق تحققت معانيها النحوية عطف بها ولو لم يوجد معها الجامع المعتبر هنا ، ولذلك يصح لك أن تقول " خرجت من المنزل فأمرت السماء " ولا يصح لك أن تقول " خرجت من المنزل وأمرت السماء " ، لأنه لا جامع بين لمطار السماء والخروج من المنزل .

والحقيقة أن الواو تفيد هنا معنى غير ما تفيد في النحو ، فهي تفيد في النحو التشريك في الحكم كما في قولك ( قام زيد وعمرو ) ، ولا بد من ذكرها أو تقديرها فيه وإلا يحمل الكلام على الإضراب لا على العطف ، وأما هنا فلا حكم بين الجملتين اللتين تصل بينهما الواو حتى يمكن أن يقال إنها تفيد التشريك بينهما فيه ، فهي في هذا أداة وصل لا غير ، وهذا المعنى فيها لا يفيد غير ما من حروف العطف .

### الاختلاف في الخبر والإنشاء نحوي :

وكذلك الفصل للاختلاف في الخبر والإنشاء حكم نحوي لا يصح أن يعد في اعتبارات الفصل والوصل ، فهو لا يرجع إلى مقام يقتضيه حتى يصح أن يذكر في هذا العلم ، وإنما يرجع إلى منع جمهور النحويين له ، وقد أجاز سيبويه عطف الجملتين المختلفتين بالاستفهام والخبر ، مثل أن تقول ( هذا زيد ومن عمرو ؟ ) .

### كمال الاتصال اعتبار نحوي أيضا :

ومثل هذا الفصل لما يسمونه كمال الاتصال ، وهو أن تكون الجملة الثانية تأكيداً للأولى أو بدلاً منها أو عطف بيان لها ، فترك العطف في هذا لا يرجع إلى مقام يقتضيه ، وإنما يرجع إلى امتناع العطف في النحو بين التأكيد والمؤكد والبدل والمبدل منه ، والبيان والمبين ، لأن العطف يقتضي التباين بين المعطوفين والتأكيد عين المؤكد ، وكذلك عطف البيان والبدل ، ولا فرق في هذا بين العطف في الجمل والمفردات ، وكما أنه لا يصح أن يقال إن هناك فصلاً في تأكيد تأكيدات المفردات ونحوه ، لا يصح أن يقال إن هنا فصلاً في تأكيد الجمل ونحوه ، وأما ما يسمونه عطف تفسير ، ما ليس فيه مغايرة بين المعطوفين فليس من أسلوب البلغاء ،

ولما أتى في أسلوب المؤلفين وأشباههم ، وقيل إن الواو فيه حرف تفسير لا عطف ،  
ومن هذا قول عدى بن زيد :

وَقَدْ دَتِ الْإِدِيمَ لِرَاهِشِيهِ وَالشَّفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْتًا

وقول الآخر :

أَلَا كَيْدًا هُنْدُ وَأَرْضُهَا هُنْدُ وَمَنْدُ أَمَى مِنْ دُونِهَا النَّأَى وَالْبُشْدُ  
وهذا بخلاف قوله تعالى ( أَوَّلِيْ لَكَ فَأَوَّلِيْ ، ثُمَّ أَوَّلِيْ لَكَ فَأَوَّلِيْ ) (١) فقد ذهب  
الزمخشري إلى أنه تأسيس لا تأكيد ؛ لأنه جعل الجملة الثانية أبلغ في الإنذار من  
الأولى ، فالتأخير بين الجملتين ظاهر كما ترى .

مقامات الوصل :

وللوصل مقامان : أولهما دفع الإيهام ، كما روى ابن هارون الرشيد سأل  
وزيره عن شيء ، فقال : لا وأيدك الله ، وقد قال صاحب بن عبّاد : هذه الواو  
أحسن من الواوات في حدود الملاج ، ووجه حسنها أنه بدونها يكون ظاهر الكلام  
أنه دعاء على المخاطب لا دعاء له ، ومن الممكن دفع هذا القوم بالسكوت بعد لا ،  
ولكنه لا يغنى في هذا غناءها ، ولا يكون لها حسنها ، والجملة الأولى في هذا المثال  
خبرية والثانية إنشائية ، وقد تكون الجملتان في ذلك خبريتين ، كما تقول لمن سألك :  
هل تصاحب زيداً ؟ ( لا وتركت صحبته ) ، وقيل إنه لا يصح الوصل بالواو في هذا  
ويجب أن يقال ( لا قد تركت صحبته ) . وثانيهما أن يكون بين الجملتين جامع  
خاص غير اتفاقهما في الغرض العام الذي يساق له الكلام ، بشرط ألا يمنع من  
الوصل مانع ماسيأتى في مقامات الفصل ، وهذا الجامع يكون إما بوجود اتحاد بين  
الجملتين في المسند اليه أو المسند أو قيد من قيودهما ، وإما بوجود تماثل بينهما في  
ذلك بالاتفاق في وصف أخوة أو صداقة أو نحوهما ، وإما بوجود تضاد بينهما  
في ذلك كالآبوة مع البسوة ، والعلو مع السفلى وهكذا . وإما بوجود شبه تماثل  
بينهما في ذلك كلوني بياض وصفرة ونحوهما ، وإما بوجود تضاد بينهما في ذلك

---

(١) سورة القيامة : ٣٤ و ٣٥

أو شبه تضاد كالسواد والبياض والأرض والسماء ، وإما بوجود تقارن بينهما  
في الخيال لسبب من الأسباب ، ومن الوصل لاتحاد الجملتين في الإسناد قول  
حافظ إبراهيم :

مقم يا ابن مضر فأت مخر واستعبد  
مسجدة الجلود ولا تسجد لمراح

وقول شوقي :

يا فتية النيل السعيد أخذوا السعدى  
واستأنفوا تنفس الجهاد مديدا

وقول الآخر :

أخط مع الدهر إذا ما خطنا واجر مع الدهر كما يجرى  
ومن الوصل للتأثر بالاتفاق في الأخوة قوله تعالى ﴿ ارجعوا الى آيكم فقولوا  
يا أيها الذين آمنوا ان ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين ﴾ (١)  
وقول الشاعر :

بتدونا أبنائنا وبهاتنا بنوهن أبناء الرجال الأباة  
ومن الوصل للنضائف قول الشاعر :

بادر إلى الفرصة وانقض لما تريد فيها فتهنى لا تسكبه  
فإن المبادرة إلى الفرصة والنهوض إلى المراد متلازمان في التعقل ، وكذلك  
قوله تعالى ﴿ إذ أنتم بالعدرة الدنيا وهم بالعدرة القصوى ﴾ (٢)

ومن الوصل لشبه التماثل قول الأصحاب بن عباد :

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابه فتشاكل الأمر  
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

(١) يوسف : ٨١

(٢) الأنفال : ٤٢

ومن الوصل للتضاد قول الشاعر :

المردُّ يأمل أن يعيد شـ ، وطولُ عيش قد يستمرُّه  
تفى بشاشتته ويبقى بعد حُكِّ العيش مُمرُّه  
ومن الوصل للجامع الخيالي قول الأرجاني :

فبتُّ من وصلك في لذَّة حتى هَلَّ الصبحُ مُجَبَّاهُ  
والنجمُ قد أطبق أجفانه والنومُ قد أطلق أسراه  
والليلُ سيفُ النهار في فتْرته بقتله والديك ينعاها

هذا وبما يزيد به الوصل حسناً في هذا كله اتفاق الجاهلين في الانسية والفعلية ،  
ولا يكون هذا إلا إذا كان المقصود من كلٍّ منهما الثبوت أو التجدد ، وإلا وجب  
اختلافهما في ذلك ، ومن اتفاقهما فيه قول الشاعر :

أسودَّ إذا ما أبدت الحربُ نأبها وفي سائر الدهر الغيوثُ الموطرُ  
وقول الآخر :

أعطيت حتى تركت الريح حاسرة وجئت حتى كأنَّ الغيث لم يجئ  
ومثل هذا تناسبهما في الإطلاق والتقييد ، والتناسب في الإطلاق كثير ،  
ومن التناسب في التقييد قول الشاعر :

دنوت تواضعا وعلوت مجدا فشأنك المجدار وارتفاعُ  
وقول الآخر :

تنام عيني وعين الليل ساهرة وتستهيل ورمبغ الليل لم يستحل

مناسبات خفية :

وقد تخفى المناسبة بين الجملتين الموصولتين كما في قوله تعالى ﴿ ويسألونك عن  
الآلهة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها  
ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ (١)

(١) البقرة : ١٨٩

فأى ارتباط بين أحكام الالهة وبين حكم إتيان البيوت من ظهورها ؟ والجواب على هذا من وجوه :

أحدها : أنه لما ذكر أنها موافقت للحج وكان من عادتهم إذا أحرموا لم يدخلوا بيتا ولا خيمة ، بل إن كانوا من أهل المدر تقبوا من ظاهر بيوتهم ، وإن كانوا من أهل الوبر خرجوا من خلف الخيمة ، فلما ذكر أنها موافقة للحج ناسب أن يذهبهم إلى هذه البدعة في الإحرام به . وثانيها أنه عطف على محذوف كأنه قيل : فدعوا السؤال في أفعال الله التي لا تخلو من الحكمة والموعظة ، وإنظروا في أمر تفعلونه ولا حكمة فيه . وثالثها أن يسكون وإردأ على جهة التمثيل لما هم عليه من قلب الاستمالة والتمنيت فيها ، كأنه قيل : مثلكم في هذا السؤال كمثل من ترك باب الدار ودخل من ظهرها .

ومن هذا ما يسمونه عطف القصة على القصة ، أو عطف مضمون كلام على مضمون كلام قبله ، فتعتبر فيه المناسبة بين القصتين وإن اختلفا في الخبرية والإنشائية ونحوهما ، كما في قوله تعالى ( فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ، وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وإننا به متشابهاً ولم فيها أزواج مطورة وهم فيها خالدون ) (١) فقد قال الزمخشري في قوله « وبشر » : فإن قلنا علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه ؟ قلت : المراد ليس الذي اعتمد بالاعطف هو الأمر بحق يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه ، إنما المعتمد بالاعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين ، فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول « زيدٌ يماقُتُ بالبقيد والإرهاق وبشَّيرٌ عمرًا بالعمى والإطلاق » . ثم يجوز أن يكون معطوفاً على قوله « فاتقوا » ، كما تقول : « يا بني تميم اجنروا عقوبة ما جفيتكم وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم » وجوز الخطيب أن يكون معطوفاً على محذوف تقديره : فأبذروهم بذلك وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...

ومن عطفت مضمون كلام على آخر قوله تعالى : ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ  
تضيقنا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ، ولكننا أنشأنا قزونا فتناول عليهم  
العمر وما كنت ثاويًا في أهل مدين تناول عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين ﴾ (١)  
فالخطوف هنا مجرّع قوله : ﴿ وما كنت ثاويًا ، إلى قوله ﴾ ولكننا كنا مرسلين ، وهو  
مقطوف على قوله : ﴿ وما كنت بجانب الغربي ، إلى قوله ﴾ العمر ، ولا يصح عطفت  
قوله ﴿ وما كنت ثاويًا ، على قوله ﴾ فتناول عليهم العمر ، لأن هذا يقتضي دخوله  
في معنى لكن ، فيضهر المعنى : وانكنا ما كنت ثاويًا ، وهو باطل ، وكذلك لا يصح  
عطفه على قوله ﴿ وما كنت من الشاهدين ، ، لأنه يجب حينئذ أن ينوي به التقديم  
على الاستدراك الأول ، ويكون نظم الآية كما تقول ﴿ ما جاءني زيد وما خرج  
بكر لكن هرا حاضر وانكنا أخاك خارج ، وهو باطل أيضا ، لأن ذلك لا يصح  
أن تزال عن موضعها ، وسبيلها في هذا سبيل دالاه .

#### مقامات الفصل

والفصل ثلاثة مقامات :

أولها ألا يكون بين الجملتين جامع مما سبق ، مثل قول أبي العتاهية :

الفقرُ فيما جاوز الكفايا      فمن اتقى الله رجا وخافا

فالجملتان هنا متفقتان في الغرض العام الذي جمع بينهما في الكلام ، وهو ما يجب  
مراعاته في الكلام حتى في مقام الفصل ، ولكنهما لم يوجد فيهما ارتباط بين المسند  
إليه أو المسند أو قيد من قيودهما على ما سبق ، ففصل بينهما لهذا مع اتفاقهما  
في أن كلا منهما حكمة من الحكم المسرودة في هذه المزدوجة ، ومنها في ذلك أيضا :

يفنيك عن كل قبيح تركه      يرتين الرأي الأصيل شكته

وقد يوجد الجامع بين الجملتين ولكن يفصل بينهما لاختلاف سياق الكلام ،  
كقوله تعالى ﴿ ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب  
ويقومون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من  
قبلك وبالأخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ،

(١) القصص : ٤٤

إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون (١) فلم يقطف قصة الكافرين على قصة المؤمنين مع وجود الجامع وهو التضاد، لأن هذا الكلام مسوق لبيان حال الكتاب قصداً، وذكر حال المؤمنين ليس مقصوداً على سبيل الإصالة ثانيها أن تكون الجملة الثانية جواباً عن سؤال اقتضته الأولى، فتفصل الثانية عن الأولى كما يفصل الجواب عن السؤال، ولكنه لا يصار إلى تنويل السؤال المفهوم من الكلام السابق إلا لاعتبارات لطيفة، منها إغناء السامع عن أن يسأل، ومنها القصد إلى الإيجاز ونحو هذا، وتسمى الجملة الثانية في هذا الضرب من الفصل استئنافاً، وقد يسمى الفصل نفسه بهذا أيضاً، والسؤال الذي تتضمنه الجملة الأولى إما أن يكون عن سبب عام كما في قول الشاعر:

قال لي كيف أنت؟ قالت عليلٌ سميرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلٌ

كأنه قيل: ما بالك عليلاً أو ما سبب عاتك؟ ومثله قول أبي العلاء:

وقد غرضت من الدنيا قبل زمني معطٍ حياتي أغرر بمسئد ما غرضنا

مجرّباً بئس دهرى وأمايه فما تركت لي التجارب في ود امرئ غرضنا (٢)

كأنه قيل: ما بالك غرضت؟ أو ما سبب ضجرك؟

وإما عن سبب خاص مثل قوله تعالى: ﴿وما أبرئ نفسي إن الأنفس لآمارة

بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾ (٣) كأنه قيل: هل النفس آمارة

بالسوء؟ فقيل نعم لأنها آمارة بالسوء، وهذا الضرب يقتضي تأكيد الحكم كما سبق

في الكلام على التأكيد.

وإما عن خيرهما كما في قوله تعالى: ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبهرى

قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ (٤) كأنه قيل: فماذا قال إبراهيم

في رد سلامهم؟ ومن هذا قول الشاعر:

زعم العواذل أني في غمرة صدقوا ولكن غمري لا تنجلي

(١) سورة البقرة من الآية ١ إلى ٦.

(٢) غرضت: ضجرت، وكذلك غرض في آخر البيت الأول، وبعد: متعاق

به مقدم عليه.

(٣) يوسف: ٥٣

(٤) هود: ٦٩



كأنه قيل : فهل صدقوا في هذا أم كذبوا ؟

وقد يحذف صدر الاستئناف كما في قوله تعالى ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ ، يسبّح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴿١﴾ على قراءة « يسبّح » بالبناء المفعول ، كأنه قيل : من يسبّحه ؟ فتبيل : يسبّحه رجال .

وقد يحذف الاستئناف كله ويقوم ما يدل عليه مقامه ، كما في قول مساور ابن هند :

زعمتم أن إخوتكم قریش طم ألف وليس لكم إلف  
كأنه قيل : فهل صدقوا في هذا أم كذبوا ؟ فقيل : كذبوا لأن لقریش ألفا وليس لهؤلاء الزاعمين إلف مثلهم .

ثالثها : دفع الإيهام كما في قول الشاعر :

وتظن سلمى أتني أبني بها بدلاً ، أراها في الضلال تهيم  
فلم يعطف قوله « أراها » على قوله « تظن » ، لتلايتهم أنه معطوف على قوله « أتني أبني » فيكون من مقلدونها مع أنه ليس منه ، ومن هذا قوله تعالى ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن ﴾ ، الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴿٢﴾ فلم يعطف قوله « الله يستهزئ بهم » على جملة الشرط وجوابه لتلايتهم عطفه على جملة « قالوا » أو جملة « إنا معكم » وكلاهما لا يصح .

## ٢ — فروق الحال

فروق الحال من علم المصاني :

الحال إذا كانت جملة فإنها تارة تكون مقترنة بواو الحال ، وتارة لا تكون مقترنة بها ، واقتنائها بهذه الواو وعدم اقتنائها بها يجران وراء اعتبارات دقيقة

(٢) البقرة : ١٤

(١) النور : ٣٨

لا تقل في أهميتها عن الاعتبار التي ذكرناها في اقتران الجملة بالواو الوصل وعدم اقترانها بها ، ولكن القوم غفلوا منا عن هذه الاعتبارات ، وساءلوا في الكلام هل فروق الحال مساكنة أو يراى به بيان مواضع جواز الربط بهذه الواو وهو واضح امتناعه بها ، فظن بعض الناس أن الكلام في فوق الحال لا يصح أن يذكر في هذا العلم ، لأن مثل هذا ليس من مسائله وإنما هو من مسائل النحو .

#### مقامات الربط بالواو والضمير :

والأصل في الحال أن يكون بنير واو لأنها في الحقيقة وصف لصاحبها ، فلا تدخل عليها الواو كما لا تدخل على الرفع ، ولكن هذا الأصل خالف فيها إذا كانت جملة ، فإنها تارة تربط بالضمير وحده ، وتارة تربط بالواو وحدها ، وتارة تربط بهما معاً ، وكل جملة وقعت حالاً ولم تنجى بالواو فهذا كما قال عبد القاهر لا يكون إلا إذا قصد إلى الفعل الواقع في صدرها فضم إلى الفعل الأول في إثبات واحد ، نحو قولك « جاء زيد يسرع » فهو بمنزلة قولك « جاء زيد مسرعاً » .

وكل جملة وقعت حالاً ثم اقتضت الواو إنما لا تكون إلا متى يقصد بها استئناف خبر آخر لا يقصد ضمها إلى الفعل الأول في إثبات واحد ، وهذا إنما يكون عند قصد الاهتمام بهذه الحال أو إزالة شك أو إنكار فيها ، أو نحو هذا مما يقتضى الاهتمام بها وعدم ضمها في إثبات واحد مع ما قبلها ، وهذا كما تقول : « جاء زيد وهو يسرع » فإنه يفيد من الاهتمام بإثبات هذه الحال له ما لا يفيد في قولك « جاءني زيد يسرع أو مسرعاً » فكل من هذا مقامه بما ذكرنا .

#### الجملة انصاحية للربط بالضمير :

وليست كل جملة بحيث تصلح للربط بالواو ، بل بعضها يصاح للربط بها ، وبعضها يتعين ربطه بالضمير ، فلا يؤتى به في مقام الربط بالواو ، والذي يصلح من الجمل للربط بالواو هو أولاً : الجملة الاسمية ، وهي التي تسمى منبوبة إلا بالواو لظهور قصد الاستئناف فيها ، خصوصاً إذا كان المبتدأ فيها ضمير صاحب الجمال ، نحو قولك « جاءني زيد وهو يسرع » فمن ذلك قوله تعالى ﴿ فلا تمسكوا لله أنجاداً وأنتم تعلمون ﴾ (١) وقول امرئ القيس :

(١) البقرة : ٢٢

أيقنناج والمفسر في "ممن ساجعي" ونسبونه "مورق مكافيا" أغوال  
 فإذا جاءت الجملة الاسمية بغير واو فإنها يكون هذا لناو بلها بالمفرد ، نحو قولهم  
 وكلته نوره إلى فرس أي مشافها ، وقولهم بشار :

إذا أنكرتني المديح أو تذكرتها خرجت مع البازي على سواد  
 فإنها على تقدير كائنا على "سواد" فيكون "سواد" مرتفعاً بالظرف لا مبتدأ ، ولا  
 يكون إذن من الجملة الاسمية ، وكذلك ما أشبهه نسي قول أبي الهيثم الثقفي في  
 مدح سيف بن ذي يزن :

ثأثريه هيثماً حالك التاج مرتفعاً في رأس محمدان دار أمانك محلاً (١)  
 وقد يحسن نسي الجملة الاسمية بغير واو لدخول حرف على المبتدأ ، كما في  
 قول الفرزدق :

فلمعت عصى أن تبصر بني كأنما - بني حوالى الأسود الحوارد

وكذلك إذا وقعت جارية معال مفردة كما في قول ابن الرومي :

والله يبقيك لنا - سالماً - بمرداك تبجيل وتعظيم

وثانياً : الجملة الفعلية إذا كان فعلها ماضياً ، ولا تدخل عليها الواو إلا إذا كانت  
 ميم قد ظاهرة أو متدورة كما في قوله تعالى ( قال رب أن يكون لي غلام وقد بلغني  
 السكبر ) أي حاقراً قال كذلك الله يفعل ما يشاء (٢) وقول امرئ القيس :

جئت وقد كلفت لغوم ثيابها لدى السنتر إلا لبسة المتفهم (٣)

وقد تبنى هذه الجملة بغير الواو كما في قول أبي منجر الهذلي :

هاني لنهوني إذا كراك مزقة - كما انتفض العصفور بالله القطر

وقول محمد بن سديد المري :

مضى أرى السراج قد لا ش غايته والليل قد ممرقت عنه السرابيل

ثالثاً : الجملة الفعلية إذا كان فعلها مضارعاً منفيّاً كما في قول مسكين الدارمي :

(١) محلاً : كشيء حلولها لكرم صاحبها (٢) آل عمران : ٤٠

(٣) هو الذي يبقى في ثوب واحد لنوم ونهوه .

أَكْسَبَتْهُ الْوَرَقُ الْبَيْضُ أَبَا وَقَد كَانَ وَلَا يَدْعَى لَابِ

وقول كعب بن زهير :

لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ وَلَمْ أَذْنِبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ  
وَقَدْ تَجَمَّعَ هَذِهِ الْجَمَلَةُ أَيْضًا بِغَيْرِ الْوَاوِ كَمَا فِي قَوْلِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ :  
كَانَ مُفَتَاتِ الْفَتَنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَوَلْنِي بِهِ سَبْهُ الْمُفْتَنَاتِ لَمْ يَمُحِطِيهِمْ (١)

الجلل الصالحة للربط بالضمير :

والجلل التي تصلح للربط بالضمير هي اجلل الفعلية إذا كان فعلها مضارعاً مشبهاً ،  
وهذه اجلل لا يصح ربطها بالواو ، بل يجب ربطها بالضمير ، وشأنها في هذا شأن  
الحال المفردة ، ولهذا لا تقع إلا في مقامها كما سبق ، ومن ذلك قوله تعالى  
(وَسَيَجْنِبُهَا الْآتِقُ ، الَّذِي يُوقِي مَالَهُ يَتَزَكَّى) (٢) وقول أبي داود الأيتادي :

وَلَقَدْ أَغْتَدَى مُدَارِغُ رَكْنِي أَحْوَذِي ذُو مَيْمَنَةٍ لِأَضْرِيحٍ (٣)

فاذا جاءت بالواو كقول عبد الله بن كهمام السلولي :

فَلَمَّا تَحْشَيْتُ أَظْفَرَهُمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِيكَ

فيجب تأويلها على حذف مبتدأ ، ويكون التقدير : وأنا أرهنهم ، فتكون جملة  
اسمية لا فعلية ، وقيل إن الواو في البيت للعطف وليست للحال ، وتقدير الكلام  
على هذا : فنجوت ورهننت ، وإنما قيل أرهنهم ، بافظ المضارع لحكاية الحال الماضية.

### ٣ — المساواة والايجاز والاطناب

الخلافاً في تفضيل الايجاز على الاطناب :

وهذا الباب أيضاً من أهم أبواب هذا العلم ، حتى نقل عن بعضهم أنه قال :

(١) المهن : الصوف المهبوغي ، وفتاته : ما تقطع منه ، والفنا : عنب الثعلب .

(٢) سورة الليل : ١٧ .

(٣) الاحوذى : السريع الحاذق ، والميعة : أول الجري وأنشطه ، والإضرىح :

السريع العدو .

البلاغة هي الإيجاز والإطناب . وقد اختلف في الإيجاز والإطناب أيهما أفضل من الآخر ؟ فقال أصحاب الإيجاز : الإعجاز قصور البلاغة على الحقيقة ، وما تجاوز مقدار الحاجة ، فهو فضل داخل في باب المذر والخطل ، وهما من أعظم أدواء الكلام ، وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة . وفي تنضيل الإيجاز يقول جعفر بن يحيى لكتّابه : « إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا » .

وقال أصحاب الإطناب : المنطق إنما هو البيان ، والبيان لا يكون إلا بالإشباع ، والشفاء لا يكون إلا بالإقناع ، وأفضل الكلام أيدنه ، وأبينه أشده إحاطة بالمعاني ، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالإطناب .

والقول القصد في ذلك أن الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام ، ولكل منهما موضع فيه ، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في موضعه ، وسيأتي بيان موضع كل منهما .

#### تعريف المساواة :

المساواة هي أن يكون اللفظ بقدر أصل المراد لا ناقصا عنه ولا زائدا عليه ، أو هي تأدية المقصود بما لا يزيد عن الكلام الدرفي ولا ينقص عنه ، وهو كلام أوساط الناس في مجرى عرفهم في تأدية المعاني عند معاملاتهم ومخاطباتهم في سائر شؤونهم ، وهؤلاء الأوساط هم الذين لم يصلوا إلى رتبة البلاغة ولم يدحطوا إلى حالة الفهامة ، وهم يعبرون عن مقصودهم بكلام صحيح الإعراب من غير مراعاة ما يقتضيه الحال في بلاغة الكلام .

#### تعريف الإيجاز :

والإيجاز هو التعبير عن المقصود باللفظ أقل منه بحيث لا يقصر عن تأديته ، ولا يخل ببيانته ، وإلا كان إخلالا لا إيجازا كقول عروة بن الورد :

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم هذه الوغى كان أهذرا

فإنه أراد إذ يقتلون نفوسهم في السلم ، ولكنه لم يقطعه يقصر عن تأديته لأنه لا دليل فيه عليه ، إلا أن يقال إن الدليل فيه قوله « عند الوغى » ، وكقول الحرث بن حليمة :

عَلَيْشِي بِحَسَنَةٍ لَا يَضُرُّكَ أَلَمْ تَرَ مَا أَفْعَيْتَ رَبِّكَ  
وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظُلُمٍ لِّلْغُثَّةِ وَنَاشِ كُنْدًا  
فإنه أراد : والعيش الناعم في ظلال الجنة خير من عاش كذا في ظلال العقل ،  
وقد يقال أيضا إن سياق الكلام يدل على هذا الحذف فلا يكون فيه تعديف أيضا .  
والمعنى المستعمل في الزبرقان بن بدر :

وأبوك بدر ثان يمشي من (١) الحصى

وأبي الجواد ربيعة بن قبال

فقال له الزبرقان : لا بأس شينعان اشتركا في صفة ، وكقول الآخر :  
لا يرمشون إذا سجدت مشافروهم ولا يرى مثلهم في الطعن ميمالا  
ويفشلون إذا نادى ريشهم ألا اركبمن فقد آست أبطالا (٢)  
أراد : ولا يفشلون ، فتركه ، فصار المعنى كأنه ذم .

تعريف الانشأ :

والإنشاء المعبر عن المقصود بالخط زائد عليه لفائدة تقديمه ، فإذا زاد  
عليه غير فائدة كان تنويلا أو حشو ، والتطويل هو : لا يتعين فيه الزائد في الكلام  
كقول علي بن زيد :

وفقدت الأديم لراشيتهم وألفي قوطا كذبا ومينا  
وقد روى كذبا مينا فلا يكون فيه تطويل ، وكقول السهلي :  
الاحتبذا هند وأرض بها هند

وقد سبق أن مثل هذا يحمل على عطف التفسير ، ولكن عطف التفسير ليس  
من أساليب البلاغ ، نعم سيأتي أن مثل هذا يعتذر لضرورة القافية .  
والحشو هو الذي يتعين فيه الزائد في الكلام : وقد يكون بيضا فيسبب المدي  
فيكون أمره أقبح ، كقول أبي الطيب :

(١) النهس : أخذ اللحم بمقدم الأسنان .

(٢) الرمد : شدة الحر ، والربء : اللغائم في حراسة القوم .

ولا سفضل للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شدة ثوب  
فإن لندى والندى حنى يفسد المعنى، لأن المراد أنه لا فضل في الدنيا للشجاعة  
والندى والصبر لولا الموت، وهذا صحيح في الشجاعة والصبر دون الندى، لأن  
الشجاعة والصبر إذا نالها أنها مخلدان لم يخفيا الملاك ودوام المسكروه، فلا يكون  
للشجاعة والصبر فيهما فضل، أما الباذل فإن تقدير الموت هو الذي يهون عليه  
البذل لا تقدير الخلود، فيكون فضل الندى مع تقدير الخلود أظهر، وإنما كان  
تقدير الموت هو الذي يهون البذل، لأن الباذل يعلم أنه لا يبقى لماله، فيهون عليه  
بذله قبل أن يتركه ليعتصم به غيره، وعلی هذا قول طرفة :  
فإن كنت لا تستطيع كفتح مني كذا فذكرني بأدركها بما ملكك يدي  
ومن الحشر الذي لا يفقد المعنى قول أبي العيال التمهيلي :

ذكرت أخى فما ودني صداع الرأس والوصب

فذكر الرأس عشو لأن الصداع لا يستعمل إلا فيه، وكذا قول زهير :  
وأعلم علم اليوم والامس قبله ولست كنفي عن علم ما في غد سعي  
فإن قوله قبله اليوم والامس قبله

وكذلك يجرى الأمر في ألفاظ اشتاد الناس وصال الكلام بها، وهذا نحو قولهم  
د لعمري، ولعمري، وأجمع، وأمسى، وظل، وأضحى، وبات، وبا صاحبي،  
وبا نليل، وبا يبر، هذا المجرى . وأكثر ما ترد هذه الألفاظ في الأشعار ليم  
بها الوزن كقول أبي تمام :

أقترت لعمري لحكم السيوف وكانت أحق بفصل القضاء

فهو محمول لا فائدة فيه إلا إخراج الوزن، لأن القسم إنما يرد لتأكيد المعنى  
لشك فيه أو تحوه، وما معنا ليس مما يشك فيه، إذ لا شك في أن السيوف حاكمة،  
وأن تل وأسد يقرن حكمهما، ويذهبن لطاعتها، وكذلك قول الجعفي :

ما أسن الإيتام إلا أنها يا صاحبي إذ مضت إلى ترجع

ولكن أسى هذه الألفاظ يستغنى في الشعر، لا تالو عنها ما على الشعراء الصيغ

عليهم ، والوزن يحوج في بعض الأحوال إليها ، وقد ترد في الشعر لفائدة وهو  
الاحسن ، كما في قول البُحْتَرِيّ :

قومٌ أهانوا التوفّر حتى أصبحوا أولئى الأنامِ بِسَكُلٍ عَرَضِيٍّ وإِفْرِ  
لأن د أصبحوا ، فيه بمعنى صاروا ، لا بمعنى دخلوا في الصباح .

#### مقام المساواة :

ومقام المساواة في البلاغة هو مقام الإتيان بالأمر حيث لا مقتضى للعدول  
عنه ؛ ولا يخفى أن مثل هذا قد سبق أنه لا قيمة له في البلاغة ، وقد ذهب السكاكي  
إلى أنها لا تحمد من البلاء ولا تدم ، لأنها عنده هي الكلام العرفي الذي يجرى بين  
أوساط الناس ، وكلامهم عنده لا يحمد منهم ولا يذم ، فما يصدور عن البليغ مساويا  
له لا يكون بليغا مثله ، لعدم اشتغاله على تكتة يعتد بها ، ولا يقدح في هذا  
وقوعها في القرآن الكريم ، لأنها إذا وقعت فيه فإنما تقع في بعض آية فقط ، ومع  
هذا فإن وجوه البلاغة لا تنحصر في الإيجاز والإطناب ، فلا يلزم من فقد مزيتهما  
في كلام ألا تكون فيه مزايا أخرى غيرهما .

#### مواضع المساواة :

وأغلب ما تكون المساواة في كلام أوساط الناس ومن إليهم من البلاء الذين  
يقرب أسلوبهم من أسلوبهم ، وهي نادرة الوقوع في كلام غيرهم من فحول البلاء ،  
لأسيما الشعر ، لبقاء أمره على الإيجاز ، ومن المساواة في الشعر قول بشار :

رَبَابَةٌ رَّبَّةُ الْبَيْتِ      تَصْبُ الْخُلَّةُ فِي الزَّيْتِ  
لَهَا عَشْرُ دَهَاجَاتٍ      وَدَيْكَ سَحْنُ الْعَصَوَاتِ

وكذلك ما أنشده عبدة الكرم في اعتدال الوزن :

أَنَا الذَّلْفَاءُ سَمْسَى      فَلْيَلْنِي مَنْ يَلُومُ  
أَحْسَنُ النَّاسِ جَمِيعاً      حِينَ تَمْشِي وَتَقُومُ  
أَمَلُ الْحَبِيلِ لَتَرْضَى      وَهَى لِلْحَبِيلِ مَهْرُومُ

فإن جاء فيها في الشعر البليغ قول زهير :



و مهما يكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم ولا يقدح في عدّه من المساواة حذف جواب الشرط فيه ، لأن اعتبار الحذف في هذا وفي الاستثناء المفرغ ونحوهما لرعاية الإعراب ، ولا يفتقر إليه في تأدية أصل المراد ، حتى أنه لو صرح به يكون حشواً في الكلام .

ومن المساواة في النثر البليغ قوله تعالى ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ (١) وقول النبي ﷺ « لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنما والزكاة مغرماً » .

#### مواضع الإيجاز والإطناب ومقاماتهما :

وللإيجاز مواضع يطلب فيها على العموم ، ومقامات خاصة تقتضيه في تلك المواضع ، وكذلك الإطناب له مواضع ومقامات ، والكلام ينقسم بينهما إلى قسمين : قسم يطلب فيه الإيجاز كالأشعار والمسكيات ، وقسم يطلب فيه الإطناب كالخطب والمنشورات وكتب الفتوح التي تقرأ في ملأ من عوام الناس ؛ فإن الكلام إذا طال في مثل هذا أثر فيهم وأفهمهم ، وعلى هذا جرى القرآن الكريم فيما يخاطب به العرب وغيرهم ، فإذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحى ، وإذا خاطب بنى إسرائيل وغيرهم أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطاً ، فما خاطب به أهل مكة ﴿إن الذين تدعون من دون الله أن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾ (\*) وقوله تعالى ﴿إذا ذهب كل إليه بما خلق ولما لا بعضهم على بغض﴾ (٢) وفي أشباه هذا كثرة ، وقبلها تجمد قصة لبنى إسرائيل في القرآن إلا معطولة مشروحة ومكررة في مواضع معادة ، لأنهم لم يكونوا في العربية بحيث يلحقون الخالص من أبنائها ، وإن كان بعضهم قد تعرب بغيرها .

ويؤخذ من هذا أن الإيجاز للخواص ، والإطناب مشترك فيه الخاصة والعامة (٣) وقد ذهب ابن الأثير إلى أن فهم العامة ليس شرطاً معتبراً في اختيار الكلام ، والذي يجب توخيّه فيه عدده وأن يسلك المذهب القويم في تركيب الالفاظ على المعاني

(\*) الحج : ٧٣

(١) الكوثر : ١

(٣) المثل السائر ١٩٢

(٢) المؤمنون : ٩١

بحيث لا يزيل كل منهما عن الآخر مع الإيضاح والإبانة . وليس على من جعل هذا أن يذهب إلى أن كلاهما ، فإنه نور الشمس إذا لم يره إلا على لا يكون هذا تقسماً فيه ، إنما الشمس نور بحر الأضواء إذا لم يستطع النظر إليه .

على نعمت الترافى من مبادئها وما على إذا لم تنهم البقرة .  
وإننى أراه فى هذا أنه تحت ظاهر ، وأن أوصاف الناس لا يصح إسقاطهم عن الاعتبار إلى هذا الحد فى أمره رشيدة .

والإيجاز به هو هذا مقامات تقتضيه فى مواضعه فتزيد أمره توكيداً عند وجودها فيها ، وهى مقامات الحذف السابقة فى بابها . وللإيجاز مقامات أيضاً تقتضيه فى مواضعه فتزيد أمره توكيداً ، وهى مقامات الذكر السابقة أيضاً .

#### أنواع الإيجاز :

والإيجاز نوعان : إيجاز القصر وإيجاز الحذف ، وإيجاز القصر يكون بكثرة اللفظ مع قصر اللفظ من غير حذف فيها ، وهذا يأتي من أن اللفظ لا يقتصر على دلالة واحدة ، بل يتبع دلالة إلى دلالة مطابقة ودلالة تضمن ودلالة التزام ودلالة من يقتضيهما نفساً كيب من الدلالة الثانوية التى يبحث عنها فى هذا العلم ، وهو يدل باللفظ من وما بعده على أكثر مما يدل عليه بالمطابقة .

#### إيجاز القصر :

ومن إيجاز القصر قوله تعالى : **لَعَنَهُمُ اللَّهُ** وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين (١) فإنه ليس فى القرآن ذكرهم أبداً أجمع لمكانهم فى سورة من هذه الآية . وقوله تعالى : **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ** يأول الباب **لَكُمْ** فتقون (٢) فإن قوله **وَلَكُمْ** فى القصاص حياة إلى ما فات عنهم أو جزئ بلام فى معناه ، وهو قولهم **وَالْقَتْلُ أُنْفَى لِلْعَتَى** ، وجاء فيه فنل كثير عليه ، لأن عدة من وفه أقل ، وليس فيه تكرار لفظ ، وقد مرّح فيه بالمطلوب وهو الحياة مع تشكيكه الدال على تعظيمه فيكون أجز عن القتل بغير حق ، وكذلك تجمع فيه بين الحياة والقصاص

(١) الأعراف : ١٩٨ . (٢) البقرة : ١٧٩



وقول حاتم :

أماوى ما يُبغى الشراء عن الفنى  
إذا حشرت يوماً وضاق بها الصدور  
يعنى النفس ، ولم يحشر لها ذكر .

وقد يكون حذف مفرد كما سبق فى حذف أحد طرفى الجملة أو متعلقاتها ، مثل قوله تعالى ( وأسأل النرية التى كنا فيها والعهد التى أقبلنا فيها وإنا لصادقون )<sup>(١)</sup> أى أهل القرية ، وقول البُحرى<sup>(٢)</sup> فى وصف إيوان كسرى :

فإذا ما رأيت صورة أنطا كيسة ارتعت بين روم وفرس  
والميايا موائ وأنوشرو وإن يزجى الصفوف تحت المدرفس<sup>(٣)</sup>  
فى اخضرار من اللباس على أحد فرس يختال فى صليفة ورس  
أى فرس أصفر ، وكقوله أيضاً :  
كل عذر من كل ذنب ولكن أعوذ العذر من بياض العذار  
أى كل عذر من كل ذنب مقبول أو مسموع ، أو ما جرى هذا الجرى ،  
وكقول أبى تمام :

لو يعلم الكفر كم من أعصر كنت له العواقبه بين السمر والقضب  
فإن جواب دلو ، محذوف تقديره : لأخذ أهبة الحذار أو نحو هذا .  
وقد يكون حذف جملة كقوله تعالى : ( ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره  
المجرمون )<sup>(٤)</sup> أى فعل ما فعل ليحق الحق ، وقول أبى الطيب :  
أتى الزمان بقوة فى شبيبته فتعمرهم وأتيناها على المترم  
أى فساءنا .

وقد يكون بأكثر من جملة ، وهو أبلغ الحذف وأحسنه ، كقوله تعالى ( فقلنا  
اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً )<sup>(٥)</sup> أى نأيتهم فأبلغناهم  
الرسالة فكذبوها ، فدمرناهم تدميراً ، وقول الشافعى :

(٢) الدرفس : العلم الكبير .

(٤) الإسراء : ١٦

(١) يوسف : ٨٢

(٣) الانفال : ٨

لا تدفوني إن دفني محرّم عليكم ولكن غامري أمّ عامر  
 أى ولكن دعوني للضبيح التى يقال لها إذا أريد صيدها بعد سد جحرها عليها :  
 غامري أم عامر ، أبشرى بجحراد عظلى ، وكمر رجال قتل (١) ، فتذل للصيد ،  
 وتخضع لصائدتها .

#### قرينة الحذف :

ولا بد فى الحذف من قرينة تدل عليه كما سبق فى باب الذكر والحذف ، وأدلة  
 الحذف كثيرة منها دلالة العقل ، كقوله تعالى : ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ (٢)  
 أى وجاء أمره ، ومنها دلالة العادة كقوله تعالى ﴿ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم  
 تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو أنهم قتالا لا تبعناكم ﴾ الآية (٣) أى  
 لو نعلم مكان قتال ؛ لأنهم كانوا أنخبر الناس بالحرب ، وإنما يريدون أنهم يقاتلون  
 فى مكان لا يصلح للقتال ، وكانوا قد أشاروا فى هذه الغزوة بعدم الخروج  
 من المدينة .

ومنها دلالة الحال كقولك لمن أعرس : د بالرفاء والبنين ، أى أعربت .

#### أنواع الاطناب :

##### وللإطناب أنواع منها :

الإيضاح بعد الإبهام : ونكتته قصد تشويق السامع إلى الشيء لتسكينه فى نفسه ،  
 كقوله تعالى : ﴿ قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ﴾ (٤) فإن قوله « اشرح  
 لى ويسر لى » يفيد طلب شرح وتيسير لشيء ما ، و « وسدرى وأمرى » يفيد  
 تفسيره ، والمقام يقتضى التأكيد للإرسال المؤذن بتلقى المكاره والشدائد .  
 وكقول ابن المعتز :

(١) غامري : استترى ، وعظلى : يركب بعضها بعضاً . والسكر : واحد هاكرة وهى  
 رأس الذكر . وهم يزعمون أن الضبيح إذا وجدت قتيلاً القته على قفاه ثم ركبته .  
 وهذا المثل د غامري أم عامر ، يضرب للذى يرتاع من كل شيء جهنماً .  
 (٢) الفجر : ٢٢ . (٣) آل همران : ١٦٧ . (٤) طه : ٢٥ .

تستحيى في ليل شديده بشعرها      شديده شديدها بغير وقية  
 فان ليل في ليل شعر وظلة      وشمن من شعر ووبه شديده  
 وقول البحرى .

انما منى بنى الاراك اشجارها      اعطاني قنجان به وقود  
 في محاني بحر وروض قاتق      وشمان وشى مربي وشى بروج  
 وسفرن فاملاات عيون واقبل      وردان ورد جنى وود مخدود

وقد سمى بعضهم تفدير المثلث والجمع على نحو ما في شعر ابن المعتز والبحرئ  
 وغيرهما باسم التوشيم ، والآتي إدخاله في الإيضاح بعد الاجام قليلا هذه  
 الانواع . وما يدخل في هذا النوع أيضا باب نعم وبئس على قوله من يجعل  
 المخصوص من غير متكلم محذوف أو مبتدأ متروك محذوف ، بخلاف ما في قوله  
 مبتدأ والجملة قبله خبرا ، وكذلك بامية ضمير الشان والنصة لكل ما يحزى  
 هذا البحرى .

في تشخيص نوع النعاس :

فيها ذكر النعاس من الادم : ونكتته التاجية على : نزل الطامس والادنام بأمره  
 لادام فطاهه ركة له فقال في من كان من آفة هلا فكتته ورسك وبعه يان . وديكال  
 فان انما حاد للنفارين (١) وقوله في من ، اغد على ولو الدى واني دخل . يلى دوما  
 ولله فمدين وانا فمات ولا نور : انطالين الا تبارا (٢) .

وقول بعض شعراء النعاسة :

وان الذى بنى ربين بنى ابي      وبين ربي عمى لختاف جهدا  
 اذا اكوا لحي وفرت بلوهم      وان هدموا مجدى بنيت لهم جهدا  
 وان غديموا انبيى برقت ذنوبهم      وان هم مووا غيت رويت لهم ردا

(٢) نوح : ٢٨

(١) الاقرة : ٩٨

(٣) هذا هو من النعاس ، لأن كل ليم يؤكل للإنسان فهو النعاس لغيره وليس  
 كل النعاس لغيره أكل لغيره .

## التكرير :

ومنها التكرير ، ونسكتة التأكيده ، كقوله تعالى ﴿ كلا سوف تعلمون ﴾ ثم كلا سوف تعلمون ﴿١﴾ وقوله ﴿ وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا مقام ، وإن الآخرة هي ، دار القرار ﴾ ﴿٢﴾ وهذه أيضا تكرير قوله تعالى ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ﴿٣﴾ في سورة الرحمن ، وكذلك ما ورد من نحوه في سور أخرى من القرآن . وقد ورد مثل هذا كثير في الشعر كقوله الملاحم :

على أن ليس عدلاً من كليب      إذا ما ضيم جوارُ المستجير  
على أن ليس عدلاً من كليب      إذا ضاقت رحيبات المدور  
على أن ليس عدلاً من كليب      إذا برزت مصيبات المدهور

وعما يلحق بالتكرير أنه إذا طال الفصل من الكلام وكان أوله يقتدر إلى تمام لا يفهم إلا به ، فالأولى في باب البلاغة أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية ليكون مقارناً لتمام الفصل ، لا سيما إن وأخواتها إذا طال الفصل بين اسمها وضميرها ، كقوله قول بعضهم شعراء الحنابلة :

أسمعتنا وقباً واشتياقاً وغربة      ونأى سبيب إن ذا المنام  
وإن أمره أدامت موافيق عهد      على مثل هذا إنه الكريم

## التكرير المعيب :

فإذا لم يمكن التكرير مفيداً لممكنة كان قبيحاً ، مثل قول أبي نواس :  
أقما بها يوماً ويوماً وثالثاً      ويوماً له يومُ الترهل خادس  
ومراد به هذا أنهم أقاموا بها أربعة أيام ، وهو من الذي الفاحش .  
وكذلك قول أبي تمام :

قسم الزمانَ ويومها بين الصبا      وقبورها ودبورها أثلاثاً

(١) النكاش : ٣ و ٤      (٢) غافر : ٢٨      (٣) الرحمن : ٢٣

فإن الصبا هي القبول ، ولا معنى لعطفها عليها ، وهذا من التكرير في المعنى دون اللفظ ، وهو يعاب في النثر مطلقاً ، وأما في الشعر فتدقيل باعتفاره في أعجاز الأبيات دون صدورهما ، لأن الأعجاز مكان القافية والشاعر مضطر إليها ، فيجمل له ما حرم على غيره ، وكقول امرئ القيس :

وهمل ينعمن إلا سديدٌ غلدةٌ قليلُ الهموم لا يديع بأوجالٍ  
وقول الخليلي :

قالت أمانة لا تجزعِ فقلت لها إن العزاء وإن الصبر قد مضيا  
هلا التستِ أنا إن كنتِ صادقةٌ مالا نعيش به في الناس أو نشيا  
فالبيت الأول معيب لأنه كرر العزاء والصبر لزم معناهما واحد ولم يردا قافية ،  
وأما البيت الثاني فليس بمعيب لأن التكرير في المثلث وهو قافية .

الإيفال :

ومنها الإيفال وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها ، كزيادة الحب  
على اتباع الرسل في قوله تعالى ﴿ اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ﴾ (١)  
وكزيادة المبالغة في قول الخنساء :

وإن صخرأ لتأثم المسداة به كأنه علم في رأسه نارٌ  
وكتحقيق التشبيه في قول امرئ القيس :

حلتُ مردنياً كأن سنانهُ سنا لُبٍ لم يتصل بدخان  
فإن قوله لم يتصل بدخان هو الذي يحقق التشبيه الذي قبله .

التذييل :

ومنها التذييل وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها لتوكيده بها ،  
والمراد باشتغالها على معناها إفادتها بنحوها لما هو مقصود منها ، وبهذا يمتاز  
التذييل عن التكرير ، لأن دلالة الثانية على معنى الأولى في التكرير بالمطابقة  
لا بالفحوى . والتذييل ضربان : ضرب يجري مجرى المثل لاستقلاله عما قبله



وعدم توقفه عليه ، كقوله تعالى : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ (١) ، وقول النابغة الذبياني :

ولست بمستبِقٍ أخاً لا نلتهُ على شمسٍ أي الرجال المهذب  
وضرب لا يجرى مجرى المثل لتوقفه على ما قبله ، كقول ربيعة بن مقروم :  
فدعوا أنزال فيكنت أول نازلٍ وهَلَام أركبه إذا لم أنزل  
وقد اجتمع الضربان في قوله تعالى ﴿ وما جعلنا البعير من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ ، كل نفس ذاتة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ (٢) فقوله ﴿ أفإن مت فهم الخالدون ﴾ من الضرب الثاني ، وقوله ﴿ كل نفس ذاتة الموت ﴾ من الضرب الأول .

وإذا وقع التذييل في آخر الكلام صح أن يقال له إيغال أيضاً ، وإذا لم يقع في آخر الكلام قيل له تذييل لا إيغال ، فهو أعم من الإيغال من هذه الناحية ، كما أن الإيغال أعم منه من جهة أنه قد يكون بخير الجملة ولغير نكتة التوكيد ، كما سبق في الكلام عليه .

### التكميل

ومنها التكميل ويسمى الاحتراس أيضاً ، وهو أن يوثق في كلام يوم خلاف المقصود بما يدفعه ، كقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ (٣) دفع بقوله ﴿ أعزة على الكافرين ﴾ ما قد يتوهم من أن ذلتهم عن ضده لا من تواضع وإنما قال : ﴿ أذلة على المؤمنين ﴾ فعداها بعدل دون اللام لأن المعنى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم على المؤمنين خافضون لهم أجهضتهم ، ومنه قول طرفة :

فسق ديارك غير مفسدها صوبه الربيع وديمة تمحي

وكقول كعب بن سعد الغنوي :

حليم إذا ما الحلم زيق أهله مع الحلم في عين العدو ممهيب

(٣) المسائدة : ٥٤

(٢) الانبياء : ٣٥

(١) الإصرار : ٨١

### التمهيد

ومنها التتميم : وهو أن يؤتى في كلام لا يؤتم خلافاً المقهور وبفصلة من مقهور ونحوه لذكره كالمبالغة ونحوها ، فهو أعم من الإيغال من جهة أنه لا يتقيد بآخر الكلام ، والإيغال أعم منه من جهة أنه لا يتقيد بأن يكون فضلة ، ومن التتميم قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتايا وأسيرا) (١) إذا جعل للضمير في قوله دلي حبه ، للطعام فيكون تكميلاً يقصد منه المبالغة في مدحهم ، فإذا جعل الضمير لله تعالى لم يكن تكميلاً ، لأن معناه على هذا يدخل في أصل المراد من الكلام ، إذ الاتفاق لا يمدح شرعاً إلا إذا كان لله لا لرباه وسمعة ، ومنه أيضاً قول زهير :  
من يأت يوماً على عملاته هزماً يأت السباحة منه والنخيل خلفاً

### الاعتراض

ومنها الاعتراض وهو أن يؤتى في أثناء الكلام ، أو بين كلامين متصلين معتمدين بحيلة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لغرض من الأغراض ، واتصال الكلامين بأن يكون ثانيهما بياناً للأول أو تأكيداً أو بدلاً أو منطوقاً عليه ، والاعتراض على هذا التعريف يبين الإيغال والتتميم ، ويشمل بعض صور التكميل والتفصيل ؛ وله أغراض كثيرة كالتنزيه والتعظيم في قوله تعالى (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) (٢) وكالدعاء في قول أبي الطيب :

وتحتقر الدنيا احتقاراً هزماً يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا  
والواو في قوله وحاشاك تسمى واو الاعتراض ، وهي غير واو العطف وواو الحال . وكالتنبيه في قول الشاعر :

واعلم نفسك المرء ينفعه أن سوف يأتي كل ما قدورا

وهذه الغاء تسمى فاء الاعتراض أيضاً .

وكتنخيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد في أمر هاتق بهما ، كقوله تعالى :

(١) الإنسان : ٨

(٢) النحل : ٥٧

(١) ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي  
ولو اليك إلى المصير (١) وكالمطابقة مع الاستعطاف في قول أبي الطيب :

وَنُخْفِقُ قَلْبَ لَوْ رَأَيْتَ لَهِيْبَهُ يَا جَسْتِي لَرَأَيْتَ فِيهِ جَهَنَّمَ

وقد يأتي اعتراض في اعتراض كقوله تعالى ( فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه  
لقسم لو تعلمون عظيم ، إنه لقولان كريم ) (٢) فقوله ، لو تعلمون ، اعتراض  
في اعتراض ؛ لأنه اعترض به بين الصفة والموصوف ، واعترض بالجلتين بين  
القسم والمقسم عليه .

#### الاعتراض المغيّب :

فإذا لم يكن الاعتراض لغرض وفائدة فهو على ضربين : أولهما ضرب يكون  
دخوله في الكلام كخروجه منه لا يكتسب به حسناً ولا قبحاً ، ومنه قول النابغة  
الذبياني :

يَقُولُ رَجُلٌ يَجْهَلُونَ تَخْلِيْقَتِي لَعْلَ زِيَاداً لَا أَبَا لَكَ حَاقِلٌ

فقوله ، لا أبا لك ، اعتراض لا فائدة فيه ، ولا يفيد في البيت حسناً ولا قبحاً ،  
وقد وردت هذه اللفظة في موضع آخر فكان للاعتراض بها فائدة حسنة ،  
كقول أبي تمام :

✽ عَنَابِكَ حَسَنِي - لَا أَبَا لَكَ - وَاقْصِدِي ✽

فإنه لما كره عتابها اعترض بين الأمر والمعطوف عليه بهذه اللفظة على طريق  
الدم . وثانيهما ضرب يؤثر نقصاً في الكلام ، وهو الذي يحدث تعقيداً فيه  
كقول بعضهم :

فَقَدْ وَالشُّكُّ بَيْنَ لِي عَنَاءٌ رِبْوَ شُكِّ فِرَاقِهِمْ مُصَرَّدٌ يَصِيحُ

يريد : فقد بين لي صردي يصيح بوشك فراقهم ، والشك هناك ، ففصل بين وقد  
والفعل لاختلال عايه بقوله ، والشك ، وهو اعتراض ردي لقوة اتصال قد بما تدخل  
عليه من الأفعال ، وإنما يفصل بينهما بالقسم ، كما تقول وقد والله كان كذا ، ثم

فصل بين المبتدأ وخبره بقوله « بين لي » ، كما فصل بين الفعل وفاعله بخبر المبتدأ وهو قوله « عناء » ، وبهذا كله جاء معنى البيت كأنه صورة مشوهة قد نقلت أعضاؤها بعضها إلى مكان بعض ، وقد حدث بعض ما في هذا البيت من الاعتراض على مذهب من لا يشترط في الاعتراض أن يكون جملة أو أكثر من جملة .

#### الإيجاز والإطناب النسبيين :

وقد يوصف الكلام بالإيجاز والإطناب باعتبار كثرة حروفه أو قلتها بالنسبة إلى كلام آخر مساو له في أصل المعنى الذي يشتركان في الدلالة عليه ، فيقال للأكثر حروفاً إنه مطنّب وإن كان في نفسه من المساواة أو الإيجاز بمعناها السابق في أول الباب ، ويقال للأقل حروفاً : إنه موجز وإن كان في نفسه من المساواة أو الإطناب بمعناها السابق أيضاً ، ومن هذا قول أبي تمام :

يصدّ عن الدنيا إذا هنّ مسوددٌ      ولو برزت في ريّ هذراء ناهدٍ

مع قول أبي سعيد الخزومي :

ولست بمنظاري إلى جانب اليفتى      إذا كانت العلياء في جانب الفقر

فإن أبا تمام قد جمع في القطر الأول من بيته ما جمعه الخزومي في بيته كله .  
ومنه أيضاً قول الشماخ :

إذا ما رايةٌ رفعتٌ لمجدٍ      تلتقيها عرابةٌ بالبين

مع قول بشر بن أبي خازم :

إذا ما المكرماتُ رفعنَ يوماً      وقصصنَ مبتغونها عن مداها

وضاقتُ أذرعُ المثربِ عنها      سبا أوُسٌ إليها فاحتواها

ويقرب منه قوله تعالى ( لا يسأل عما يفعل وهم يسألون )<sup>(١)</sup> مع قول السموءل :

ونذكر إن شئنا على الناس قولهم      ولا يتكرون القول حين نقول

ولأنما كان هذا قريباً منه ولم يكن منه ؛ لأن الآية والبيت لم يتساويا تماماً في

(١) الأنبياء : ٢٣

أصل المعنى ، لأن ما في الآية يشمل كل فعل ، فيدخل فيه القول لأنه فعل أيضا ، أما البيت فخاص بالقول وحده .

### الاطناب في الحروف :

وقد يكون الإطناب بزيادة حرف على أصل المعنى لغرض من الأغراض ؛ ومن هذا زيادة أن بعد لما ، كما في قوله تعالى ﴿ فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارثد بصيرا ﴾ ، قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون ﴿١﴾ فزيادة أن فيه للدلالة على أن الفعل بعدها لم يكن على الفور بل كان فيه تراخ وبطء ، وكذلك قوله ﴿ فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾ ﴿٢﴾ زيد فيه د أن ، بعد د لما ، للدلالة على أنه لم يسارع إل قتل الثاني كما سارع إلى قتل الأول .

ومنه أيضا زيادة د ما ، بعد د إذا ، كما في قوله تعالى ﴿ والذين يهتدون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ ﴿٣﴾ . وقول بشار :  
إذا ما غضبتنا غضبة مضرية

هتكتنا حجاب الشمس أو قطرت دما

فزيادة ما فهما للدلالة على قلة حدوث الفعل الذي بعدها ، فهي تشير في الآية إلى أن المؤمنين لا يغضبون إلا قليلا ، وتشير في البيت إلى أن قومه لا يغضبون إلا حين يوجب الحرم أن يغضبوا .

وهكذا الشأن في كل الأحرف التي يسميها النحويون أحرف زيادة ، ويفضلون عن دلالتها في الكلام على هذه الدقائق والرموز ، لأنها ليست من شأنهم ، وإنما هي من شأن الباحثين في علم المعاني ، لأنه هو الذي يعنى بأمثالها ، وهذا آخر ما أردنا ذكره في هذا العلم .

— تم بحمد الله —

---

(١) يوسف : ٦ (٢) القصص : ١٩ (٣) الشورى : ٣٧

## ترجمة المؤلف بقلم ابنه

- مولد رحمه الله عام ١٣١٣ هـ ، ١٨٩٤ م بقرية دكفر العجباء ، مركز أجا محافظة الدقهلية . توفي والده وهو في صاه الأول ، ولما لم يكن له أشقاء أو أعمام أشرفت والدته على تربيته ، فأرسلته إلى الكتّاب ، المدرسة الإلزامية بالقرية حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، ثم رحل إلى مدينة طنطا لالتحاق بالمرحلة الابتدائية في المدارس الأزهرية . وقد ظهر نبوغه مبكراً فقطع المرحلة الابتدائية في سنتين بدلاً من أربع سنوات ، فكان ينجح في العام الدراسي في الدور الأول ويدخل امتحان العام الدراسي التالي في الدور الثاني ، وكان في كل ذلك الأول على أقرانه دائماً .
- تخرج بالجامع الاحمدى عام ١٣٣٦ هـ وحصل على العالمية وكان أول دفعته .
- ظهرت عليه ملكة التأليف مبكراً ، فكان يقوم بوضع شروح لبعض كتب التراث المقورة ، أو يبسطها في لغة مصرية .
- بدأ بالتدريس بالجامع الاحمدى بطنطا في ١٣٦٨ هـ ثم انتقل استاذاً بكلية اللغة العربية إحدى كليات الجامع الأزهر .
- شارك بكتابة مئات المقالات في كبرى الجرائد والمجلات الثقافية والعلمية مثل مجلة الرسالة والأزهر والسياسة الأسبوعية وغيرها ، وكانت له معارك أدبية وعلمية مع معاصريه من الأدباء والمفكرين والمهايخ رحمهم الله .
- ألف رحمه الله أكثر من ستين مؤلفاً حازت قبولا وانتشاراً في العالم العربي والإسلامي أغلبها إسلامي أو أدبي ومن أشهرها :

— لماذا أنا مسلم ؟	— النظم الفنى فى القرآن
— توجيهات نبوية	— فى مهدهان الاجتهاد
— القرآن والحكم الاستعماري	— بغية الإيضاح ( ٤ أجزاء )

- القضايا الكبرى في الإسلام
- المجددون في الإسلام
- قضية مجاهد في الإصلاح
- تاريخ الإصلاح في الأزهر
- السكيت بن زيد
- النهر الجديد
- الميراث في الشريعة الإسلامية
- تجديد علم المنطق
- وغيرها وغيرها ...

- لما اشتد عليه المرض أهدي مكتبته الضخمة لجامعة الأزهر ، وكذلك بعض المؤلفات التي لم يسعفه الوقت لنشرها .
- توفي رحمه الله في الثالث عشر من مايو ١٩٦٦ م عن عمر يناهز السبعين عاماً .
- اعترافاً من الدولة بجهوده في خدمة العلم والإسلام أطلقت اسمه على أحد شوارع مدينة نصر بالقاهرة . ومنح وسام الدولة للعلوم والفنون .

لواء / وهب عبد المتعال الصعيدي

جمادى الثاني ١٤١١ هـ ديسمبر ١٩٩٠ م





# فہارس الکتاب



## فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة	الصفحة
٦٠٥	الفاتحة	٧٠	٣٥	آل عمران	٢٨
٥	د	٨١	٣٦	د	٤٧
١	د	٨٤	٣٦	د	٦١
٩٦	البقرة	٤٠	٦٢	د	٥٣
٢٠١	د	٤٥	١٤٤	د	٥٣
١٤	د	٤٦	٤٠	د	١١٥
١١	د	٥٤	٨٦	النساء	٥٨
١٢	د	٥٤	٧٩	د	٧٥
١٤	د	٥٨	٦١	المائدة	٨٩
٧	د	٧٧	٩٤	د	٩٧
٩٦	د	٧٨	٣٧	د	٥٩
١٧٩	د	٧٨	٧	د	٧١
٢٢٣	د	٧٩	١١٦	د	١٠١
٢٣	د	١٠٠	٩٠	د	٥٠
١٤٥	د	١٠١	٥٤	د	١٢٩
٢٤	د	١١٥	١٥١	الأنعام	٨٤
١٨٩	د	١٠٩	٢٨	د	٩٢
١١٢	د	١١٢	٣٦	د	٥٦
١٧٩	د	١٢٢	٣٨	د	٩٢
٩٨	د	١٢٦	٢١	د	٤٦
١٣٧	د	١٢	١٣١	الأعراف	٩٩
٥	د	٦٢	١٤٣	د	١٢٣
١٤	د	١١٣	٩٩	د	١٢٢
٢٢	د	١١٤	٢٧	الأنفال	٦١
٧٥	آل عمران	٨٩	٧	د	٦٣
٩٧	د	٩٥	٤٢	د	١٠٨
١٦٧	د	١٢٥	٨	د	١٢٤

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة	الصفحة
٣٠	التوبة	٦٥	٢٠	النحل	٨٩
٧٢	"	٧٩	٩٨	"	٩٢
١٠٦	"	٩٨	٥١	"	٩٢
٦٠	"	٩٨	٥٧	"	١٣٠
١٠١	"	٨٨	٣١	الإسراء	٨٤
٢٥	يونس	٦٩	٣٥	"	١٢٩
٦١	"	٨٢	٩٣	"	٥١
٩٩	"	٩١	١٠٥	"	٦٢
٥٩	"	٩١	٨١	"	١٢٩
٦٩	هود	٥٨	١٦	"	١٢٤
٦٩	"	١١٢	٢	الكهف	٦٥
١٠٨	"	٨٢	٩٦	"	١٠١
٩٢	"	٨٨	٧٩	"	١٠٢
٩١	"	٨٨	٤٥	مريم	٧٩
٨١	يوسف	١٠٨	٤	"	١٢٣
٥٣	"	١١٢	٤٦	"	٨٥
٩٦	"	١٣٣	٥	طه	١٣
٨٥	"	١٢٣	٦٣	"	٢١
٨٢	"	١٢٤	١٨	"	٦٠
٩٦	"	٤٣	١٧	"	٦٢
٣٥	"	٤٣	٦٧	"	٨٦
٩٠	"	٤٦	٥٦	"	٩٢
٣٥	الرعد	٧٤	٢٥	"	١٢٥
١١، ١٠	ابراهيم	٥٣	٥٥	الأنبياء	٥٨
٦	الحجر	٧٣	٣	"	٩٣
٣٥	"	٩٢	٣٦	"	٧٣
٨١	النحل	١٠٣	٢٢	"	١٠٢

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة	الصفحة
٢٣	الأنبياء	١٣٢	٤	الأحزاب	٢٨
٤٦	الحج	٧١	٢٤	سبا	٩٧
٧٣	"	١٢١	٣١	"	١٠٢
١٦	المؤمنون	٤٥	٣	"	٨٣
٢٧	"	٤٣	٢٣	فاطر	٥٣
٣٣	"	٨٠	٤	"	٧٩
١٤، ١٣، ١٢	"	٩٧	٢٣	"	٨١
٢٤	"	٨١	١٤، ١٣	يس	٤٥
٣٣	"	٨٥	٧٨	"	٦٣
١٤	"	٩٢	٣٠	"	٨٤
٩١	"	١٢١	٢١	"	١٢٨
٤٥	النور	٨٢	٣٢	ص	١٢٣
٥٥	"	١٢	٩	الزمر	٥٥
٣٣	"	١٠١	٩	"	٦٧
٣٨	"	١١٣	٣١	غافر	٢٢
٦٩	الفرقان	٩٥	٢٨	"	٨٥
٦٥	"	١٦	٣٨	"	١٢٧
٨٥	الشعراء	٩٦	٦	فصلت	٥٢
٦٣	"	٤٧	٢٣	"	٧٤
٢٥	التقصص	٦٩	٣٧	الشورى	١٣٣
٤٤	"	١١١	٤٠	"	٢٣
١٩	"	١٣٣	٥	الزخرف	١٠٠
٢٠	"	٨٤	٨١	"	١٠٠
٨	"	٩٦	٩	"	٦٢
٣٩	الروم		١٠	الفتح	١٣
١٤	لقمان	١١	١٨	"	٧٥
١٢	السجدة	٧١	٧	الحجرات	١٠٢

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة	الصفحة
٤٣	النجم	٦٧	٥١	المدثر	١٦
٥٤	د	٧١	٣٥، ٣٤	القيامة	١٠٧
٧	الرحمن	٤	٨	الإنسان	١٣٠
٧٢	د	٤٨	١٩	طيس	٩٧
٢٣	د	١٢٧	٢٢	الفجر	١٢٥
٧٥	الواقعة	١٣١	١٧	الليل	١١٦
٢٢	أوح	١٦	١	والضحى	٦٧
٢٨	أوح	١٢٦	٣، ٢، ١	العلق	٨٤
•	التحریم	١٢	٤، ٣	التكاثر	١٢٧
•	د	١٠٥	٢	الماعون	٧٣
١	المالك	٤٩	١	الكوثر	١٢١
٢٢	د	١٦	٢، ١	المشهد	٧١
١٦	المزمل	٧٥			

## الأحاديث الشريفة والآثار

---

- ص ٤ قول علي رضي الله عنه « السفر ميزان القوم » .
- ص ٧ حديث « إن من البيان لسحراً » .
- ص ١٥ حديث « اللهم بارك لهم في محضها ... » .
- ص ٢٣ حديث : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم » .
- ص ٢٦ حديث عائشة رضي الله عنها : « كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد فما رأيت منه ولا رأى مني » .

## الأمثال

---

ص ٤ : ولدك من دمتى هتعبيك .

من يسمع يخل .

إذا نزل الخول استكشف النقبس .

الحاكم ميزان الله في الأرض .

قول أوشروان : لا يكن عندك عمل البرّ غاية في السكثرة، ولا لعمل

الإثم غاية في القلة .

لا يشحذ امرؤ منكم سيفه حتى يشحذ عقله .

ص ٤٦ : إن البلاء مؤكل بالمنطق — إن خدأ لناظره قريب — إنما هو الفجر

أو البحر — إن المناكح خيرها الأبقار .

ص ٦٧ : طابت سريرته حمد الناس سيرته .



## فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	العجز	المصدر
( الهمزة )			
٢١	امرؤ القيس	الصحرَاء	ما إن رأيت
٥٤ ، ٣٩	ابن قيس الرقيات	للظلماء	إنما مصعب
٤٠	القاسم بن حنبل المرى	أضاءوا	من البيض
٤٠	د	شأوا	هم حلوا
٤٧	—	الحداء	فغنها
٧١	—	الظلماء	أبت الوصال
١١٩	أبو تمام	القضاء	أقروا
( الباء )			
٦	معن بن زائدة	بالحجاب	إذا كان الجواد
١٩	المتنبي	النسب	مبارك الاسم
٢٦	أبو العتاهية	وهب	مات
٢٦	د	قلى	يا أبا
٢٨	ابن هرمة	بالباب	ها لله ربك
٣٣	النايفة الذبياني	الكواكب	كليني لهم
٣٣	د	بآيب	تطاول
٣٣	بشار	الحبائب	أعيدوا
٣٣	د	غياهب	فإن نهاري
٣٨	الأخطل	جدب	وقد جعل
٣٨	كثير	ضبابي	وما زلت
٣٨	د	التراب	ويرقيني
٣٩	ابن قيس الرقيات	الذهب	يعتدل
٤٣	—	ويوهب	ولقد نصحتك
٥٥ ، ٥٠	—	والآداب	ليس اليتم
٥١	النايفة الذبياني	الكتائب	ولا هيب
٥٦ ، ٥٢	—	تذهب	إلى الله
١٢٢ ، ٥٤	شوقي	ذهبوا	ولما الأسم

( تابع ) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	العجز	المصدر
٥٥	—	الأسياب	ما أنت بالسبب
٥٥	—	الأوصاب	فاليوم حاجتنا
٦٠	—	الأجرب	ذهب
٦٥	ضاعى البرجمي	لفريب	ومن يك
٦٥	—	الكتاب	لسن
٦٦	النافعة الديباني	وأقرب	ملوك
٧٠	—	أبي	لأن الفقى
٧٦	المتنبى	محبوب	أنت الحبيب
٧٨	—	الأقارب	إذا كركب
٧٨	القتال السكلابي	سأخبر	لذا جاع
٧٩	مروان بن أبي خفصة	حاجب	له حاجب
٨٦	—	سليب	وكانت يدي
٩٠	البارودي	ويلعب	سراى
٩١	الصابي	تسكب	تشابه
٩٠	المتنبى	غربه	مشك يثنى
٩٠	المتنبى	مشبه	ولم أقل
٩٣	عبد الله بن مسلم الهذلي	رجبا	لكنه شافه
٩٤	"	شربا	كم حرة
٩٤	—	جانب	فأياك
١٠٥	أبو نواس	لا تسكذب	وقد حلفت
١٠٥	"	والمحصب	برب
١٠٥	الكميت	والشعب	أم هل ظمائن
١١٦	مسكين الدارمي	لأب	أحسبته
١١٩	المتنبى	شعوب	ولا فضل
١١٩	الهذلي	والوصب	ذكرت
١٢٤	أبو تمام	والقضب	لو يعلم
١٢٦	ابن المعتز	رفيب	سقتي
١٢٦	"	حبيب	فما زلت

(تابع) الأبيات الشعرية

الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
قالت أمامة	قد غابا	الحطيئة	١٢٨
هلا	نشجا	د	١٢٨
ولست بمستبق	المهذب	الديلمي	١٢٩
حليم	مهيب	كعب بن سعد الغنوي	١٢٩
وما مثله	يقاربه	الفرزدق	٨٠ ، ٢٤
(النساء)			
رماية	الزيت	بشار	١٢٠ ، ٢٦
لها عطر	الصوت	د	١٢٠ ، ٢٦
فلو أن قومي	اجرت	عمرو بن مقديس	٦٧
وحرب	الدبرات	امرأة من بني عاص	٧٨
سيتركها	مضطربات	د	٧٨
(النساء)			
بادر	لا تلبث	—	١٠٨
قسم الزمان	أثلاثا	أبو تمام	١٢٧
(الجميع)			
وقاحا	مسرجا	العجاج	١٦
واقده اغتدى	إضرع	أبو داود الأدي	١١٦
(الحساء)			
أخذنا بأطراف	الأباطح	كثير عزة	٩
ولما قنعينا	ماسح	كثير عزة	٨
وشدت	رائح	د	٩
كأنه في اجتماع	روح	أبو تمام	٢٢
وظلمت	ملاح	ابن المعتز	٢٢
جاء شقيق	رماح	سجل بن فضلة	٤٥
هل أحلوت	سلاج	د	٤٥

(تابع) الأبيات الشعرية

الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
المح	الضاحي	—	٩٥، ٤٥
قم يا ابن مضر	لمراح	خافظ ابراهيم	١٠٨
فقد والملك	يصيح	—	١٣١
(الذال)			
والخير تزداد منه زاد	—	الافوه الاودي	٤
عيشي بجدة	جدة	الحارث بن حلانة	٦
والعيش	كدا	د	٦
فأطورت	بالبرد	—	١٦
أو دمية	بقرمد	النايفة الذبياني	١٩
وصاحب	مجتهد	—	٢٣
ما إن	الأبد	—	٢٣
كريم	وحدى	أبو تمام	٢٣
سأطلب	لتجعدا	العباس بن الأحنف	٢٥
تقى	بمقلد	زهير	١٩
سقط النصف	باليد	النايفة الذبياني	٢١
بمخضب	يعقد	د	٢١
ألا أيذا	مخلدى	طرفة بن العبد	٢٠
ظفروا	لبيد	—	٢٥
أجير	وقود	—	٢٥
سأطلب	لتجعدا	العباس بن الأحنف	٢٠
ألا إن عينا	لمجود	أبو عطاء	٢٦
وعبد العزيز	ولود	رجل من كلب	٣٤
وما أنا	أرشد	دريد بن الصمة	٤٨
إنما الدنيا	مستردة	—	٤٩

(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	المعجم	المصدر
٤٩	—	شدة	شدة
٥٢	—	فينخله	وما لأمرى
٥٤	المتنبي	الأولاد	إنما أنت
٦٣	البارودي	النوادي	أنا مصدر
٦٣	البارودي	ونادي	أنا فارس
٧١	المتنبي	تمردا	إذا أنت
٧٢	أبو العلاء	لهده	إن الذي الوحشة
٧٢	أبو العلاء	جساد	والذي حارت
٧٥	الخطيب	وبني الجرد	مطاعين
٩٠	أبو تمام	الأيادي	وغيري
٩٤	جميل	وعمودا	لا لأبوح
٩٤	الذياني	والسند	والمؤمن
٩٤	الذياني	يدى	ما إن
١٠٥، ٩٥	ذو الرمة	برد	لمياء
١١٨، ١٠٧	الخطيب	والبعد	ألا حبذا
١٠٨	شوقي	مديدا	يا فتية النيل
١٠٨	—	الأيام	بنونا
١٠٩	—	لم يجد	اعطيت
١١٥	بشار	سواد	إذا أنكرتني
١١٥	الفرزدق	الجواد	فقلت
١١٩	طرفه	يدى	فإن كنت
١٢٦	البيهقي	وقدود	لما مشين
١٢٦	البيهقي	برود	في حلقى
١٢٦	البيهقي	خدرود	وسفرن
١٢٦، ١١٨	—	جدا	وان الذي يبنى
١١٨	—	كدا	والعيش
١٣٢	أبو تمام	ناهد	يصند
١٣٢	أبو تمام	واقعه	عتابك

(تابع) الابيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	المعجز	الصدر
	(الراء)		
٩	أبو تمام	وزير	ولاني لأرجو
٩	د	وأمر	تكون عن
٩	ابراهيم بن عباس	نصير	فلو لاذ بها
١٥	بشر	عسرا	وأطلقت
١٥	د	مشهم خرا	فقر مضر حيا
١٩	أبو نواس	السطار	وملحة بالزل
٣٢	أنشده الجاحظ	قر	وقبر حرب
٢٤	الفرزدق	تصاخره	إلى ملك
٣٢	ابن المعتز	عنبر	فانظر إليه
٨٥، ٣٩	أبو بكر بن الطاح	الدهر	له هم
٨٥، ٣٩	د	البحر	له راحة
٤٧، ٤٤	بشار	النيسكير	بسكر
٥٠	الخنسار	وإدبار	توقع
٨٧، ٥٢	المتنبي	نارا	وما أنا أمقت
٥٥	أبو فراس	البدو	سيد كرنى
٦٣	المرجى أو جعفر بن أبي	البصر	بالله يا غلبيات
٦٦	ابن هنياء الفزاري	صمر	رأى
٦٨	د	البصر	غلام
٦٨	الجوهري	تغشكرا	فلم يبق
٧١	—	وزرا	نعم امرا
٧٥	الاعشى	عشادا	هو الواهب
٧٧	جميل	شمرا	أبوك
١٠٩، ٧٦	—	المواطن	أسود
٨٢	البحترى	الجارى	يترققن
٨٢	البحترى	اللاتار	كالنقى

(إتباع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	المعجز	المصدر
٨٣	محمد بن وهيب	والقمر	ثلاثة تشرق
٨٩	طرفة بن العبد	ينشقر	نحن في المشتاة
٩٣	الخرقي	الجزر	لا يبقدن
٩٥	الجلدي	مظهورا	يلفنا
١٠٨	—	يجري	أخط مع الدهر
١٠٨	المصاحب بن عباد	الامر	رق الزجاج
١٠٩	—	يضره	المرء يأمل
١٠٩	—	مره	قفى
١١٥	أبو صخر الهذلي	القطر	واني لتعروني
١١٧	عروة بن الورد	اعذرا	عجبت
١٢٠	البحثري	وافر	قوم
١٢٢	—	البقر	على نصف
١٢٤	حاتم الطائي	الضمر	أماوي
١٢٤	البحثري	العداء	كل عذر
١٢٥	الشنفرى	حاصر	لا تدفوني
١٢٧	المهازل	المستجير	على أن ليس
١٢٧	د	العدور	على أن ليس
١٢٨	الخنساء	نار	ولن صخرا
١٣٠	—	قدرا	واعلم قدرا
١٣٢	أبو سعيد الخزوي	الفقر	ولست بنظار

(س)

٢٢	المتنبى	شرس	دان
٤٣	أبو نواس	الياس	عليك بالياس
٥٠	—	القاس	ان الجديدين
٥٦	الحريري	أمنه	لعمرك
٢٥١			

(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	المعجز	الصدر
١٢٤	البحترى	وفرس	فاذا ما رأيت
١٢٤	"	الدرفس	والمنايا
١٢٤	"	ورس	في اخضرار
١٢٧	أبو نواس	خامس	أقنا بها

(النناد)

١٧	أبو الشيص	المقراض	وجناح
٣٢	ابن الرومي	الأرض	وقد نشرت
٣٣	أبو العلاء	أبيض	يطروها
٣٣	أبو العلاء	من بعض	كما ذيال
٥٧	—	لا تنقض	فروح
١١٢	أبو العلاء	ما غرنا	وقد غرنا
١١٢	"	غرنا	جربنا

(الأمين)

٢٢	ابن بابك	ومسمع	حمامه
٢٥	أوس بن حيدر	جدعا	وذات هدم
٢٧	الصمة بن عبد الله	أخذعا	تلقت
٤٨	لبيد	ساطع	وما المرء
٥٤	—	وعى	وانما المرء
٥٦	—	الوقائع	وما شاب رأسى
٦٦	الاقشير الاسدى	بسرير	سريع
٦٦	الاقشير الاسدى	بمطيع	حريص
٦٧	البحترى	واعى	شجر
٦٧	اسحاق الخزيمى	أوسع	ولو شئت
٦٨	الفزردى	المجامع	أولئك آباي
٧٣			



(تابع) الايات الشعرية

الصفحة	الشاعر	المعنى	المصدر
٩٠	المتنبي	شجعوا	غيرى
٧٢	هبة بن الطيب	تضرعوا	ان الذين
٨٦	الاذىشر الاسدى	بسررع	سريع
١٠٣	أبو ذؤيب الهذلى	مصرع	سبحوا
١٠٩	—	وارتفاع	دنوت
١١٩	البحررى	لا ترجع	ما أحسن الايام

(ف)

١٧	—	الصيارف	تفنى يداها
٧٠	عمرو الخورجى	مختلف	نحن بما عندنا
١١١	أبو العتاهية	وغافا	الفقر
١١٣	مساود بن هند	إلاف	زعمتم

(ق)

٤٧	العباس بن الاحنف	ما رزقا	أنا لم أرزق
٥٨	النضر بن جؤية	منطلق	لا يالف
٧٤	الراوندى	مرزوقا	كم عافل
٧٤	الراوندى	زديقا	هذا الذى
٧٧	جعفر بن علبة الحارثى	موتق	هوى
١٢٣	الشريف الرضى	تنفق	مالوا
١٢٣	حافظ ابراهيم	الأعراق	الأم
١٣٠	زهيد	خلقا	من يلق

(الكاف)

١٣	تأبط شر	المسالكة	يظل بموماه
١٣	المتنبي	ابتشكاكا	وما أرضى
٢٨	أبو تمام	خرقك	يا دهر

(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	المعجز	المصدر
٦٠	—	حصاكا	الحى عبدك
١١٦	السلولى	مالكا	قلبا خشيت
(اللام)			
٦	—	البنخيل	لماذا كان الجواد
١٢	امرؤ القيس	المنعشكيل	وفرع يزين الماتن
١٢	د	ومرسل	غدائره
١٧	النجاشى	فضل	فلست بآتيه
١٨	أبو النجم	الجزل	الحمد لله
١٩	زهير	والقمل	وأقسمت
٢٠	—	مسلول	ليس إلاك
٢٠	امرؤ القيس	مرسل	غدائره
٢١	امرؤ القيس	واغل	فاليدوم
٢٢	المتنبى	صل	أقل
٢٢	ديك الجن	للمعانى	أحل
٢٣	الحريوى	مبيل	وما ناكح
٢٥	هنترة	فاجهل	ولذا يلبس
٢٥	—	لبيد	ظعموا
٢٥	امرؤ القيس	معوئل	وان شفائي
٢٥	د د	فحومل	قفانبك
٢٧	د د	الباقل	إن لم تنيلوه
٣١	د د	المسائل	يطلب
٣١	د د	القائل	يا من رأى
٣١	د د	المسائل	عيني على
٣١	د د	المسائل	

(تابع) الأبيات الشعرية

الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
ولا تلو موا	شاغل	امرؤ القيس	٣١
أر كنتم	قابل	"	٣١
يا إخوتي	عاجل	أبو العتاهية	٣١
إن محلا	مهلا	الأعشى	٤٧، ٦٦
هل اليهود	صقيل	—	٥٠
نقل فؤادك	الأول	أبو تمام	٥٠
لك القلم	المفاصل	—	٥٢
قال لي	طويل	—	٦٥، ١١٢
قد طلبنا	مثلا	البيهقي	٦٩
ولم أمدح	مالا	ذو الرمة	٦٩
إن الذي	وأطول	الفرزدق	٧٢
إذا قبج	الجيل	الخنساء	٧٦
بدر مطر	أشبه	مروان بن أبي حفصة	٧٧
إذا ستمت	شمالا	—	٨٠
أعندى	سائل	أبو العلاء	٨٥
فيا وطني	البال	أبو العلاء	١٠١
تمام عيني	لم يحل	—	١٠٩
زعم العواذل	لا تنجلي	—	١١٢
أيقناني	أغوال	امرؤ القيس	١١٥
فاشرب	محلا	أبو الصلت الثقفى	١١٥
فجئت	المتفضل	امرؤ القيس	١١٥
متى أرى	السراويل	حنديج بن حنديج المري	١١٥
لا تأخذني	الأقاريل	كعب بن زهير	١١٦

(تابع) الأبيات الشعرية

الصدر	الفجوة	الشاعر	الصفحة
وأبوك بدر	قبال	المخبل	١١٨
لا يرمضون	مبالا	—	١١٨
ويقتلون	أببالا	—	١١٨
وهل ينعمن	بأوجال	امرق القيس	١٢٨
فدعوا	أنزل	ربيعة بن مفرور	١٢٩
يقول رجال	عاقل	الفايزة الديباني	١٣١
ونفسك	نقول	السمول	١٣٢
(الميم)			
مستسلم	استسلام	أبو تمام	٨
جلفت	شيطم	ابن جحدر	١١
وما شبرقت	ذيريزم	د	١١
ولطت	مظلم	أبو تمام	١٣
يشق	وأقم	البحتري	١٧
أذاق الغواني	بالصرم	المتنبى	١٨
قد كان صرم	بالصرم	الهدلي	١٨
ولو أن مجدا	مطعما	حسان بن ثابت	٢٠
فأصبحت	قلما	—	٢٤
ومن لم يند	يظلم	زهير	٢٥
إذا ما غضبنا	دما	بشار	١٣٣، ٢٦
إذا ما أغرنا	ملبا	د	٢٦
ومن مائي	كالدي	همر بن أبي ربيعة	٢٨
أصاحت	مخدم	أبو القاسم بن هاني	٣٠
وما ذعرت	مخدم	د	٣١
أيها الرائعان	شما	أبو نواس	٣٣
لنا الجففات	دما	حسان	٣٥
إذا ما	ملبا	د	٣٥

(تابع) الابيات الشعرية

الصدر	المعجز	الشاعر	الصفحة
وأنت الذي	يلوم	أمامة الخثعمية	٦٠ ، ٤٠
فأنتى	مستقيم	أبو نواس	٣٤
هذا ابن	العلم	الفوزذقي	٦٣ ، ٤٣
أيها الرائحان	شيبا	أبو نواس	٤٣
أوكلنا	يتوسم	طريف بن تميم	٥٧
هنا	تبسبا	—	٦٠
وكم ذدت	العظم	البحتري	٦٨
ولقد نمت	اساموا	أبو نواس	٧٢
وبلغت	أنا	أبو نواس	٧٢
هذا أبو الصقر	والسلم	ابن الرومي	٧٣
ولله صفاوك	مقدما	حاتم الطائي	٧٣
في طلبات	مختما	د د	٧٤
إذا مارأى	صمما	د د	٧٤
ترى ربحه	مخظما	د د	٧٤
وأحناء	مسوما	د د	٧٤
فذلك	مذما	د د	٧٤
قومر	سهمي	الحارث بن وحلة	٧٧
سعدت	الأيام	—	٨٣
سلام	السلام	—	٨٤
خيرى جنى	المتقدم	—	٩١
ولو دامت	دوام	أبو العلاء	١٠٢
كيف أصبحت	السكريم	—	١٠٤

تابع الايات الشعرية

الصفحة	الشاعر	المعجم	المصادر
١٠٥	—	المردحم	الى الملك
١١٣	—	تهيم	وتظن
١١٥	ابن الرومي	وتعظيم	والله يبقيك
١١٦	زهير	لم يحطهم	كان فئات العهن
١١٩	زهير	همي	وأعلم
١٢٠	عبد الكريم	يلوم	انما الذلفاء
١٢٠	د	تقوم	أحسن الناس
١٢٠	د	صروم	أصل
١٢١	زهير	تعلّم	ومهما يكن
١٢٣	أبو عجين الشقي	الحاميا	رايت الخمر
١٢٣	د	نديما	فلا والله
١٢٤	المتنبى	الحرم	أق الزمان
١٢٧	—	تعظيم	أسجنا وقيدا
١٢٧	—	لكريم	ولن امرأ
١٢٩	طرفة	تهمي	فسق مبارك
١٣١	المتنبى	جهنما	وخفوق
( ن )			
٤	المتنبى	الثاني	الرأى
١٧	يزيد بن المفرغ	المكثان	وبرود
٢٨	المتنبى	الدوران	لو الغلك
٣٣	بشار	أحيانا	يا قوم
٣٣	د	ما كانا	قالوا
٤٠	د	والداني	أنا المرعث
٤٧	—	بالإحسان	لن دهر
٤٨	عمرو بن كلثوم	قادرينا	لنا الدنيا
٥٠	—	ما اقتنى	والفق
٥٩	تأبط شرا	بطان	ألا من مبلغ

( تابع ) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	العجز	المصدر
٥٩	تأبط شرا	صحصحان	بأني قد أقيت
٥٩	د د	لى مكانى	فقلت لها
٥٩	د د	يمان	فشدت
٧٠	ابن زيدون	مأقينا	بلم
٥٩	د د	والجران	فأضربها
٨٣	أبو العلاء	دخان	وكالنار
٨٨	هروة بن أذينة	أينا	سليمى
١١٨١٠٧	عدي بن زيد	ومينا	وقددت
١٢٨	امرؤ القيس	بدخان	حملت ردينيا
١٣٢	الشاخ	باليين	إذا ما راية

( الماء )

٨	ابراهيم بن عباس	حبوبها	قريبة عهد
٨	د د	هبوبها	تمر الصبا
١٢	المتنبى	سويداواتها	إن الكريم
٢٤	الخطوبة	علاها	ومن يطلب
٥٦	—	ذكرناها	أساميا
٦٣	ليلي الاخيلية	فشفاها	إذا نزل
٦٣	د د	سقاها	شفاها
٦٥	د د	تراها	أحجاج
٩٨٠٦٥	أوبة بن الحخير	لجورها	وقد زعمت
٩٩٠٤٥	عبد الرحمن بن حسان	واصطناعها	ذمت
١٠٠	د د	باهها	أبي لك
١٠٠	د د	أطاعها	إذا هي
١٠٠	الارجاني	عها	فبت

( تابع ) الأبيات الشعرية

الصدر	المعجز	الشاعر	الصفحة
والليل	ينعاه	الأرجاني	١٠٩
والنجم	أسراه	د	١٠٩
يفغنيك	شكه	—	١١١
إذا ما المكرمات	مداها	بشر بن أبي غازم	١٣٢
والليل وضافت	فاحتواها	د	١٣٢
( الواو )			
وأخذت	أهوى	—	٧٣
( الهاء )			
إذا ما تقاضى	للتقاضيا	أبو حية	٢٨
كأن آذريونها	كاليه	ابن المعتز	٣٢
مداهن	غاليه	د	٢٢
هم يفرشون	المغاليا	المعذل البيه	٨٩
ألا فليمت	حذاريا	—	٥٦
وتحتمر الدنيا	فانها	المتنبي	١٣٠



## كتب للوآف صدرت عن مكتبة الآداب

- لماذا أنا مسلم ؟
- النظم الفنى فى القرآن
- توجيهاً نبوية
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة ( ٤ أجزاء )
- المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجرى
- القضايا الكبرى فى الإسلام
- البلاغة العالية
- الميراث فى الفريعة الإسلامية
- للقرآن والحكم الاستعماري
- شرح أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك .
- تجديد علم المنطق فى شرح الخببى على التهذيب
- البكيت بن زيد

## كتب تراث وكتب إسلامية صدرت عن مكتبة الآداب

- الإعراب الكامل لآيات القرآن الكريم د . عبد الجواد الطيب
- نهج البردة لأمير الشعراء أحمد شوقى شرح شيخ الأزهر الشيخ سليم البشرى
- قاموس المصطلحات الإسلامية عبد الرحيم الجبل و د . عبد الحميد شبيحة
- مسند الإمام أبى حنيفة
- وصية الإمام أبى حنيفة
- مختصر صحيح البخارى لابن أبى جرة الأزدي ، شرح العلامة الشرنوبى
- الصداقة والصديق لأبى حيان التوحيدى
- المصباح فى المعانى والبيان والبدائع لابن الماظم تحقيق د . حسنى عبد الجليل
- نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الجحاز لرفاعة الطمطاوى

- مختصر الشرائع للمحمدية للإمام الترمذى
- أعلام النبوة للإمام أبى الحسن البصرى الماوردى
- تفسير المصنفات الثلاث للدكتور عبد الجواد الطيب
- تفسير الفاتحة للإمام محمد هبده
- خصائص على بن أبى طالب الإمام الساسى
- المسيح هيمى ابن مريم للحافظ ابن كثير
- ألفية ابن مالك فى النحو والصرف
- كلية ودمنة لابن المقفع
- فضل الكلاب على كثير من لبس الشباب لابن المرزبان
- ديوان مهنون ليلى لأبى بكر الوالى
- الإكسير فى علم التفسير للإمام الطوفى
- شرح التبريزى لقصيدة بانة سماعة تحقيق عبد الرحيم الجمل
- الأدب المفرد للإمام البخارى
- لامية العرب للشنفرى
- مع القرآن للشيخ الباقورى
- النموذج فى النحو للعلامة الزعزعى
- موسوعة عصر سلاطين المماليك وتناجه العلمى والأدبى
- 8 أجزاء تأليف د . محمود رزق سليم
- رحمة الله للعالمين تأليف محمد حسن عبد الله
- مائة حديث وحديث من أحاديث خاتم المرسلين تأليف محمود خاطر
- عذراء البصرة رابعة العدوية . ابراهيم الإبيارى
- تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ومضارعتهم د . محمد الساداقى
- الشيخ محمد إلباس حياته ومنهجه فى الدعوة . عبد الحاق بهزادة
- تراث الإسلام زكى محمد حسن وآخرون
- عقيدة المسلم
- روح الإسلام تأليف السيد أمير على
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس تحقيق د . محمد محمد حسين
- البردة للإمام البوصيرى شرح شيخ الأزهر الشيخ الباجورى

## فهرست الكتاب

١٩	الكراهة في السمع	تقديم للدكتور عبد القادر حسين (ج)
٢٠	الفصاحة في الكلام	١ مقدمة المؤلف
٢٠	ضد التأليف	٣ البلاغة والفصاحة
٢٠	ضد التأليف لا يخل بالفصاحة	٣ وجودهما في سائر اللغات
٢١	لا قبح إلا فيما لا يميزه النحو أصلاً	٤ أقوال الندما في معناها
٢١	الحاق عيوب القافية بذلك	٦ ذم البلاغة الساحرة
٢١	تنافر الكلمات	٧ تعريفها
٢٣	التعقيد	٧ تعريف أبي هلال العسكري
٢٣	الخلاف في الألفاظ	٩ تعريف عبد القاهر
٢٤	التعقيد اللفظي	١٠ تعريف الخفاجي
٢٤	التعقيد المعنوي	١١ تعريف السكاكي
٢٦	ابتذال الكلام	١١ تعريف الخطيب
٢٦	الابتذال لا يخل بالفصاحة	١١ الفصاحة في الكلمة
٢٧	البلاغة في الكلام	١١ تنافر الحروف
٢٧	تفاوت مقامات الكلام	١٣ الغرابة
٢٨	منزلة المحسنات البديعية في البلاغة	١٣ الغرابة لعدم الإلف
	تكلف الاستعارات ونحوها	١٤ الغريب القبيح والحسن
٢٩	تكلف المحسنات	١٥ لا قبح في الغرابة لعدم الإلف
٢٩	مراتب البلاغة	١٦ الغرابة لعدم التخريج
		١٧ غواية التخريج من مخالفة القياس
٣٠	اللفظ والمعنى	١٧ مخالفة القياس
		١٧ ابتذال الكلمة
٣٠	رجوع البلاغة إلى اللفظ والمعنى	١٩ لا قبح في ابتذال الكلمة

(تابع) فهرس الكتاب

ص	ص
٤١	٣٠
أبواب علم المعاني	من يؤثر اللفظ على المعنى
(الباب الأول)	٣١
٤٢	المعاني المحدثه
أحوال الامتناد	٣٢
٤٢	الاستشهاد بمعاني المولدين
(١) التأكيد	٣٣
٤٢	موازنة بين القدماء والمحدثين
٤٢	٣٤
مقام التأكيد	علوم البلاغة
٤٢	إدراك الجاهليين بعض مسائل
٤٢	البلاغة
تنزيل غير الخالي منزلة الخالي	٣٤
٤٣	تدوين الجاحظ فيها
٤٣	تدوين ابن المعتز
٤٣	تدوين قدامة
٤٣	تدوين عبد القاهر
٤٤	تدوين السكاكي
٤٤	مجاوراته تطبيق أساليب العرب
٤٤	٣٧
٤٤	على أساليب اليونان
٤٥	إنكار ابن الأثير هذه المحاولة
٤٥	تدوين المتأخرين
٤٥	٣٧
٤٦	(علم المعاني)
٤٧	٣٨
(٢) القصر	تعريف الخطيب
٤٧	الفرق بين موضوعات العلوم الثلاثة
٤٧	٣٨
٤٨	تعريف ثان لعلم المعاني
٤٨	الفرق بين علم النحو وعلم المعاني
٤٨	٣٩
٤٩	غفلة السكاكي عن الفرق بينهما
٤٩	٤٠
٤٩	المعنى الاصل والوائد
٤٩	٤١

(تابع) فہرست الکتاب

ص	مقامات الذكر	ص	القصر بالاستثناء من النفي
٦٢		٥٠	
٦٤	(٢) الحذف	٥١	القصر بإنما
٦٤	مزايا الحذف	٥٢	القصر بالنقدم
٦٤	مقامات الحذف	٥٢	مقامات القصر
٦٧	الحذف للسجع من علم البديع	٥٣	مقام الاستثناء من النفي
٦٧	مقامات حذف المفعول	٥٤	مقام إنما
٦٩	(٣) التعريف والتنكير	٥٥	مقام العطف والتقديم
٦٩	مقام التعريف والتنكير	٥٦	اجتماع أداتي قصر
٧٠	مقام الضمائر	٥٧	الاسناد الاسمي والفعل
٧١	مقام العلم	٥٧	الفرق بينهم ما عند عبيد القاهر
٧١	مقام الموصول		مقامات الاستمرار التجددى
٧٣	مقام اسم الإشارة	٥٧	في الفعل
٧٤	اسم الإشارة لا يأتي موضع الضمير		مقامات الاستمرار المتصل في
٧٤	مقام التعريف باللام	٥٨	الاسم
٧٥	تعريف الخبر باللام	٥٩	استعمال المضارع في مقام الماضي
٧٦	تعريف المبتدأ والخبر	٥٩	استعمال الماضي في مقام المضارع
٧٧	مقام التعريف بالاضافة	٦٠	(٤) أغراض الاسناد الخبرى
٧٧	مقامات التنكير	٦٠	الأغراض الأصلية
٨٠	(٤) التقديم والتأخير	٦٠	الأغراض غير الأصلية
٨٠	مزايا التقديم		(الباب الثانى)
٨٠	تقسيم التقديم	٦٢	أحوال الطرفين والمتعلقات
٨١	مقامات التقديم الذكرى	٦٣	(١) الذكر
٨١	تقديم الأكثر على الأقل	٦٢	الذكر ضرب من الاطباب

(تابع) فهرس الكتاب

ص	ص
٩٢	٨١ تقديم الالعجب فالعجب
٩٣	٨٢ التقديم للترقى
٩٤	٨٢ تقديم الالائق بالسياق
٩٤	٨٣ مقامات التقديم المعنوى
٩٥	٨٣ التقديم للتشويق
٩٥	٨٣ التقديم للمعجيز بالمقصود
٩٦	٨٤ التقديم للاهتمام
٩٦	٨٥ التقديم لدفع تورم خطأ
٩٧	٨٦ التقديم للضرورة
٩٧	٨٦ التقديم للضرورة ليس من البلاغة
٩٨	٨٦ التمهيد للخصيص
٩٩	٨٦ التقديم المتعين للخصيص
٩٩	٨٧ اتفاق الشيعيين فيه
١٠٠	٨٧ التقديم المحتمل للخصيص والتقوية
١٠٠	٨٩ مميزات الاحتمالين
١٠١	إبطال إلحاق نحو زيد عارف
١٠١	٨٩ بنحو هو عرف
١٠٢	٩٠ التقديم فى مثل وغير
١٠٢	٩١ تقديم أداة المعلوم على المفق
	٩١ فقد ذكره فى هذا العلم
	٩١ التقديم فى الاستفهام
	(٥) التقييد والاطلاق
	إرجاعهما إلى اعتبار الشك
	٩٢ وبال حذف
	١٦٦
٩٢	مقام النعت
٩٣	مقام التوكيد
٩٤	مقام عطف التبيان
٩٤	مقام البدل
٩٥	الخلاف فى بدل الغلط
٩٥	مقام عطف النسق
٩٦	مقام الواو
٩٦	مقام التاء وثم وحقى
٩٧	مقام بل ولا ولكن
٩٧	مقام أو وإما
٩٨	التقييد بحروف الجر
٩٩	التقييد بالشرط
٩٩	مقامات إن وإذا
١٠٠	استعمال إن فى مقام إذا
١٠٠	استعمال إذا فى مقام إن
١٠١	استعمال الماضى شرطاً لإن
١٠١	مقامات لو
١٠٢	استعمال المضارع شرطاً للو
١٠٢	مقامات الاطلاق
	(الباب الثالث)
١٠٤	أحوال الجمل
١٠٤	(١) الوصل والفصل
١٠٤	تعريف الوصل والفصل
١٠٤	إبطال إتيانهما فى المفردات ونحوهما

( تابع ) فهرس الكتاب

ص	ص
مواضع الایجاز والاطناب	إبطال إبانهما في غير الواو ١٠٦
١٢١ ومقامتهما	الاختلاف في الخبر والانشاء
١٢٢ أنواع الایجاز	اعتبار نحوى ١٠٦
١٢٢ إيجاز القصر	كمال الاتصال اعتبار نحوى أيضا ١٠٦
١٢٣ إيجاز الحذف	مقامات الوصل ١٠٨
١٢٥ قرينة الحذف	مناسبات خفية ١٠٩
أنواع الاطناب : الايضاح	مقامات الفصل ١١١
١٢٥ بعد الاجام	(٢) فروق الحال ١١٣
١٢٦ ذكر الخاص مع العام	فروق الحال من علم المعاني ١١٢
١٢٧ التكرير	مقامات الربط بالواو والضمير ١١٤
١٢٧ التكرير المعيب	الجل الصالحة للربط بالواو ١١٤
١٢٨ الإيغال	الجل الصالحة للربط بالضمير ١١٤
١٢٨ التنذيل	(٣) المساواة والایجاز
١٩٢ التكيل	والاطناب
١٣٥ التقسيم	١١٦
١٣٠ الاعتراض	الخلاف في تفضيل الایجاز على
١٣١ الاعتراض المعيب	الاطناب
١٣٢ الایجاز والاطناب النسبانيان	١١٦
١٣٣ الاطناب في الحروف	تعريف المساواة ١١٧
ترجمة المؤلف بقلم ابنه ١٣٤	تعريف الایجاز ١١٧
فهرس الآيات القرآنية ١٣٩	تعريف الاطناب ١١٨
» الأحاديث النبوية والحكم ١٤٣	مقام المساواة ١٢٠
» الآيات الشعرية ١٤٥	مواضع المساواة ١٢٠

رقم الإيداع ١٩٩١/١٥٥١  
التقديم الدولي I.S.B.N. 477-241-022-2





حقوق الطبع محفوظة لمكتبة الآداب (علي حسن)

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

٣٠٠